يونيو (حزيران) ١٩٨٩ - ذو القعدة ١٤٠٩


# المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest June '89 N° 127



أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا







من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول ادمون صعب.
امانة التحرير راغدة حداد. الاخراج جورج عالي. الخطوط جبران مطر.

الامتياز شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت
رئيس مجلس الادارة - المدير العام الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون داني دحداح - بار.

التحرير والادارة مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١- ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief Edmond Saab.
Managing Director Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel 492670 — 491630, Telex. MUKTAR 44615 LE

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير فرنسيس ح. شيل. المدير العام جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية



لبنان ٢٥٠٠ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف -
السعودية ١٠ر - مصر ١٠٥ح - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٧ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب -
تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢٠٥د

# حديقة أفكار

- لا يسع المرء أن يكون مرتاحاً رخيّ البال من دون موافقته.

مارك توين، روائي أمريكي

- يتشبث برأيه مَن بناه على قليل من الوقائع.

أ.ع.

- تسلَّقْ احدى التلال عند المغيب. فكل انسان يحتاج الى نظرة شاملة بين حين وآخر، وانك لواجدها هناك.

ر.س.

- ليس بالرويّة تُصنع الابطال.

ك.ن.

- النسب لا يزال الاهم لمن لم يحصّلوا شيئاً بأنفسهم.

لوي لامور، روائي أمريكي

- من فنون رفع السأم عن الحديث قول كلام غلط.

ف.ش.

- احدى أعاجيب الحياة... أعجوبة الحياة نفسها.

ب.ك.

- هناك بعض الانتصار في العمل الجيد، مهما يكن متواضعا.

جاك كمب، نائب أمريكي

- أحياناً تكون صغار الحياة أصعب ما يكابده المرء. فأنت تستطيع الجلوس على جبل براحة أكثر من الجلوس على مسمار.

ل.ش.


من ريدرز دايجست

يونيو (حزيران) ١٩٨٩ السنة الحادية عشرة (سلسلة جديدة)

مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

# ساعدوا أولادكم على اختيار المهن التي يحبون

□ يعمل والدا بوب محاسبين في مصلحة الضرائب. ويقول بوب (٣٨ عاماً) عارضاً أحد الاسباب التي جعلته محاسباً: "كان هذا العمل مألوفاً لدي، وكنت أعرف كيف أنجح فيه." ولسوء الحظ كان بوب يفضل العمل في مجال آخر، في الطيران أو في التجارة. لكنه لم يعمل في أي من هذين الحقلين لانه لم يكن يعرف السبيل الى ذلك.


□ طوال حياته أراد ستيف (٢٩ عاماً) ان يصبح محامياً. لكنه ترك كلية الحقوق بعد أشهر قليلة من دخولها مدركاً أنه لم يكن أهلاً لها. وذهب للعمل مع جده في تجارة الأقمشة. وهو الآن أسعد كثيراً مما كان.

□ تكسب ماليسا (٢٧ عاماً) راتباً شهرياً جيداً في عملها كمديرة تسويق في مصرف. لكنها غير سعيدة في عملها. وهي في الواقع لم تكن راغبة في مهنة تجارية أو ادارية، لكنها دخلت هذا الحقل ارضاء لاهلها. وأخيراً ساعدها مستشار مهني على اكتشاف الحقل الذي ترغب فيه حقاً، وها هي اليوم تدرس لنيل شهادة في المعالجة الفيزيائية.

بوب وستيف وماليسا هم ضحايا تخطيط سيىء، وبسبب افتقارهم الى التوجيه السليم أخفقوا في اختيار المهن التي تناسبهم. وهم ليسوا الوحيدين في ذلك، فكثير من طلاب الصفوف الثانوية يقولون أنهم يحتاجون الى مساعدة في تقرير مجال العمل الصحيح.

ان اختيار مهنة من بين عشرات ألوف المهن ليس بالامر السهل. وعلى الشباب العديمي الخبرة وغير القادرين على اتخاذ القرار أن يلتمسوا مساعدة الآخرين. ومع

Illustration: Mark Schuler



# أفكار من خبراء لتوجيه أولادكم نحو اختيار المهن المناسبة

أن المرشدين المهنيين في المدرسة قد يزودون التلاميذ أكداساً من المعلومات، فان معظم الخبراء يتفقون على أن الاهل هم المؤثر الاول في اختيار الولد مجال عمله.

ومن المؤسف أن معظم الاهل يجهلون كيف يقدمون العون الى أولادهم. وفي ما يأتي سبع أفكار من خبراء لتوجيه أولادكم نحو المهنة الصحيحة:

## ١. حددوا اهتمامات أولادكم.

يتوهم كثير من المراهقين أنهم في مستهل درب العمل. والحقيقة أنهم على الدرب منذ سنوات. فمن خلال الدراسة والنشاطات الرياضية والهوايات ينجذب كل ولد نحو اهتماماته الشخصية.

بروكس بنس (٣٦ عاماً) طبيب في ايستون بولاية بنسلفانيا. وهو اختار حقل عمله عندما كان تلميذاً في الصف الثانوي الاول. يقول: "أدركت أنني أحب العمل مع الناس. وكنت كثير الاهتمام بالمواضيع العلمية، ولدي فضول فطري لمعرفة أحوال الكائنات الحية."

ساعدوا أطفالكم على اكتشاف العلامات الاولى الدالة على رغباتهم المهنية، بطرحكم بعض الاسئلة عليهم: ما هي النشاطات التي تثيرك أكثر؟ ما هي المواد الدراسية المفضلة لديك؟ وما هي المواد التي لا تحبها؟ هل تحب العمل مع الناس؟ هل تعمل أفضل تحت الضغط أم في جو هادىء؟ ما الذي يجذبك الى هوايات معينة ورياضات معينة؟

ان الاجوبة عن هذه الاسئلة هي خطوة تمهيدية نحو تحديد الوجهة، وأداة قيمة لحذف المهن غير الملائمة.

تذكروا أيضاً أن تستشيروا المعلمين والقادة الكشفيين والاصدقاء والاقارب والمدربين الرياضيين وآخرين شاهدوا أولادكم في ظروف مختلفة. ففي وسع هؤلاء تزويدكم رؤية اضافية لستم وأولادكم على بينة منها.

وبرامج الادمغة الالكترونية المتوافرة في مكاتب التوجيه المهني في بعض المدارس والجامعات قد تساعد الفتيان على تحديد اهتماماتهم وتوجههم الى آفاق مهنية واسعة.

## ٢.أعطوا توجيهات لا أوامر.

مهم أن يترك الخيار الاخير للولد. في كثير من الاحيان يشير الاهل على أولادهم، صراحة أو على نحو غيرمباشر، بالمهنة التي يتعيّن عليهم احترافها. وفي هذه الحال قد يتبع الاولاد أحلام أهلهم بدل أحلامهم الخاصة.

ولكن ماذا عساكم تفعلون ان ظننتم أن ولدكم متوجه نحو اختيار هدام؟ يقول البروفسور ادوين هر، وهو مستشار مهني وأستاذ في جامعة بنسلفانيا الحكومية: "قليلة هي القرارات التي يتعذر تغييرها." دعوهم يخطئون. قد يكون ذلك ضربة موفقة. ويضيف لي ريتشمود منسق برنامج الارشاد التربوي للمتخرجين في جامعة لويولا بولاية مريلاند: "ليست هناك قرارات خاطئة وأخرى صحيحة في اختيار مهنة ما، انما هناك قرارات خيارية بين مهنة وأخرى."

تقول ايلين كابك وهي مرشدة مهنية في تورانس بولاية كاليفورنيا: "يجب على الاهل أن يطلعوا ولدهم على حسنات المهنة التي يريد مزاولتها وعلى سيئاتها." عندما أخبرها ابنها دوغلاس أنه يريد أن يصبح ممثلاً، لم تحاول التدخل في قراره. وهي تقول: "لو فعلت ذلك لنفر مني. وهو كان سيمتهن التمثيل في النهاية." لكنها حدثته عن وقع الصدمة عليه عندما يرفض لتمثيل دور ما، وعن اضطراره الى قبول أعمال موقتة ريثما يحصل على الدور الكبير. وهو اليوم

يمثل دوراً رئيسياً في مسرحية "هاملت" كجزء من شهادة الماجستير التي يحضرها في جامعة كاليفورنيا الجنوبية. وقد ظهر على شاشة التلفاز في مسلسل درامي. ووجب عليه تأمين مصروفه بالخدمة في المطاعم وبتعليم فنون المسرح، لكنه سعيد جداً.

### ٣. وسعوا لاولادكم آفاق الخبرة.

ان الاولاد الذين يتعرفون الى مهن متنوعة خلال فترة نموهم لن يواجهوا صعوبة في التعرف الى الخيارات الملائمة عندما يصلون الى مرحلة الاختيار المهني. اصطحبوا الاولاد الى المحكمة، مثلاً، وسيتعرفون هناك الى عدد من أصحاب المهن الممارسة: محامي الدفاع، المدعي العام، القاضي، كاتب المحكمة، الحاجب، الشهود ذوي الخبرة، الصحافيين والمذيعين.

وفي وسع أولادكم أن يستكشفوا عالم العمل من خلال وظيفة مفيدة بدوام جزئي في الصيف، يتعلمون من خلالها أمور المهنة. عمد أحد الآباء، وهو مدير مجموعة من المخازن الغذائية، الى تدبّر وظيفة لابنه لدى زميل مسؤول عن الصيانة. أدرك الولد هناك أنه يحب العمل بيديه. وبعد تخرجه في الجامعة أدار مشروعاً لاعادة تصميم المخازن الستين في هذه المجموعة.

حثّوا أولادكم على المشاركة في عمل جماعي وتطوعي. ان الذي يتطوع للعمل في مستشفى، مثلاً، يحظى بفرصة كبيرة لاختيار عمل في المجال الطبي، بدءاً بالطبيب وانتهاء بالموظف الاداري.

عندما يحدد الاولاد المهن التي تستميلهم، من الضروري أن يدركوا معنى العمل خمسة أيام في الاسبوع، أو أكثر. تقول دوان براون، أستاذة التربية في جامعة كارولينا الشمالية: "لا يجوز أن يصبح المرء طبيباً بيطرياً إلا إذا خرج مع طبيب بيطري وشارك في عملية ولادة عجل، أو إذا عمل في مستشفى للحيوانات الاليفية".

ان العمل الصيفي والوظيفة بدوام جزئي والعمل التطوعي لا تعطي الفتى خبرة عملية قيّمة فحسب بل تجعل ملف الشاب البالغ أكثر جاذبية لارباب العمل.

### ٤. فكروا في المستقبل.

ينشر بعض الدوائر الحكومية تصورات للاتجاهات المستقبلية في مجالات العمل. وهذه المعلومات قد تبعد الاولاد عن اختيار المهن المكتظة أو تحذرهم من أن المزاحمة فيها ستكون على أشدها.

قبل سنوات واجه مهندسو النفط والمعلمون والمتخرجون في ادارة الاعمال مزاحمة قوية في مجالاتهم المهنية. واليوم يظهر أن مبرمجي الدماغ الالكتروني يسيرون نحو مصير مماثل.

### ٥. ركزوا على الايجابيات.

اياكم والتأفف. يقول المستشار المهني ادوين هر: "ان التهويل على الاولاد بغية قولبة شخصياتهم أو ترحيلهم عن المنزل لا يجدي، اذ انه يقف حاجزاً أمام الاسئلة التي يحاول الاولاد ايجاد أجوبة لها، كما أنه يضعف شخصيتهم ويهدم احترامهم الذاتي".

تقبلوا حيرة ولدكم بواقعية. فهذا طبيعي بالنسبة الى كل من يقفز في المجهول. تجنبوا العبارات الهدامة.

يقول الطبيب النفساني مارك غاولستون من لوس انجلس: "من الطبيعي عندما يحاول الولد القيام بعمل جديد أن ينظر الى الوراء منتظراً التشجيع من أهله. فالاهل مصدر دعم مهم لاولادهم، والاولاد يريدون من أهلهم أن يكونوا حاضرين متى دعت الحاجة".

عندما تتعقد قنوات الاتصال بينكم وبين ولدكم وجهوه نحو مرشد مهني أو معلم مفضل لديه أو شخص بالغ يحترمه للأخذ بنصحه.

اصطحب زوجان قلقان إبنهما البالغ ١٧ عاماً الى المستشار المهني هر يشكوان من علاماته المدرسية وافتقاره الى الدافع. قالت الام باكية: "انه لا يهتم بمستقبله البتة".

عندما كلم هر الشاب على انفراد تبين له على الفور انه كان منشغلاً باختيار مهنة. ويقول هر في معرض حديثه عن قلق الاولاد من تخييب ظن أهلهم بهم: "كانت المشكلة في عدم معرفته كيف يبدأ. وكان خائفاً من اطلاع أهله على الامر".

أحياناً يكون عدم الاهتمام المزعوم أسلوباً يلجأ اليه الولد لاخفاء عدم استقراره.

## ٦. لاحظوا ميل الولد الى الأعمال الحرة.

بعض الناس مفطورون على ممارسة الاعمال الحرة. يفضلون العمل المستقل، وهم مستعدون لمخاطرات مدروسة، ولديهم احساس قوي بأنهم سينجحون، ويسرون بأنهم مسؤولون تماماً عن نجاحهم أو اخفاقهم. وهم لا يخافون العيش من دون راتب شهري مؤمّن.

وبما أن المتعهد المبتدىء مسؤول عن كل جوانب العمل، فيمكنه الافادة من الدراسة الجامعية لادارة الاعمال ومن العمل كموظف في حقله قبل الشروع في الاعمال الحرة الخاصة.

تعلم مايكل ارينفتون الامور المتعلقة بوكالات السفر في معهد مهني خاص. وافتتح أعماله الخاصة عام ١٩٦٩ وأسس في شيكاغو "مركز أرينفتون للسفريات" الذي غدا شركة يبلغ دخلها السنوي ٧٠ مليون دولار.

هناك أمر واحد يجب أن يتذكره جميع الذين يتوقون الى الاعمال الحرة. يقول توم رايكس مدير برنامج التخطيط المهني في جامعة ميسوري - كولومبيا: "إن الاثارة في العمل الحر تكمن في قدرة المرء على أن يعمل ساعة يشاء وأن يربح مالاً اكثر من موظف يعمل براتب شهري. لكن الواقع هو أن العمل الشخصي الحر يتطلب جهداً قوياً وساعات طويلة من العمل الشاق".

## ٧. لا تقيّدوا بناتكم.

على الاهل أن يكونوا حذرين فلا يوصدون الابواب في وجه بناتهم عن غير قصد. إن الفتيات يبعدن أحياناً عن الرياضيات والعلوم بتأثير من رفيقاتهن ومعلماتهن ومرشداتهن في المدرسة. هنا يتضاعف دور الاهل في تشجيع بناتهم.

يجب تشجيع الفتيات على القيام بما يرغبن، فالنساء ينجحن في جميع الحقول كما الرجال. وعلى رغم أن فتيات كثيرات يفضلن أن يصبحن ربات بيوت، وهذه مهنة لا تقل شأناً عن غيرها، يتفق المرشدون على أن من الحكمة التحضير لمهنة بديلة للجوء اليها عند الحاجة المادية. يقول توم رايكس: "إنني أشجع المهنة البديلة بسبب احتمالات الطلاق أو وفاة الزوج".

قد تبدو عملية اختيار المهنة مربكة، ولكن من المهم أن يتذكر الاهل والاولاد أن التعديلات ممكنة دائماً. وبما أن المهنة تتطور، فإن بعض التغييرات سيحصل.

يقول لوثر اوتو رئيس دائرة علم الاجتماع وعلم الانسان في جامعة كارولينا الشمالية الحكومية: "يؤمن الشباب بأن المهنة التي يبدأون بها ستكون المهنة التي يتقاعدون فيها. لكن هذا غير صحيح أبداً".

على الموظفين أن يبحثوا دائماً عن طرق لاقتحام مجالات جديدة، وإن تكن تختلف كلياً عما يتعاطون.

**ماري هودج وجيف بليسكال** ■

## بساط الريح!

مع أني أقود سيارة منذ عدة سنوات فاني لم أُضطر يوماً الى تعبئة خزانها بالوقود لأن زوجي كان يوفر علي دائماً هذه المشقة. الى أن جاء يوم لاحظت أن مقياس الوقود يشير الى نفاده، فقررت أن أجرِّب ذراعي بضخ الوقود في محطة للخدمة الذاتية.

تعنّيت حتى صففت السيارة قرب المضخة كما يفعل زوجي، وقرأت التعليمات بعناية وباشرت ملء الخزان. وعندما اقترب المسؤول ليأخذ المال أعلنت بفرح: "أنا أقود سيارتي منذ ١٢ سنة، وهذه هي المرة الاولى أضع فيها وقوداً!"

فقال لي: "أخبريني يا سيدتي كيف تفعلين ذلك، فنصبح كلانا غنيين."

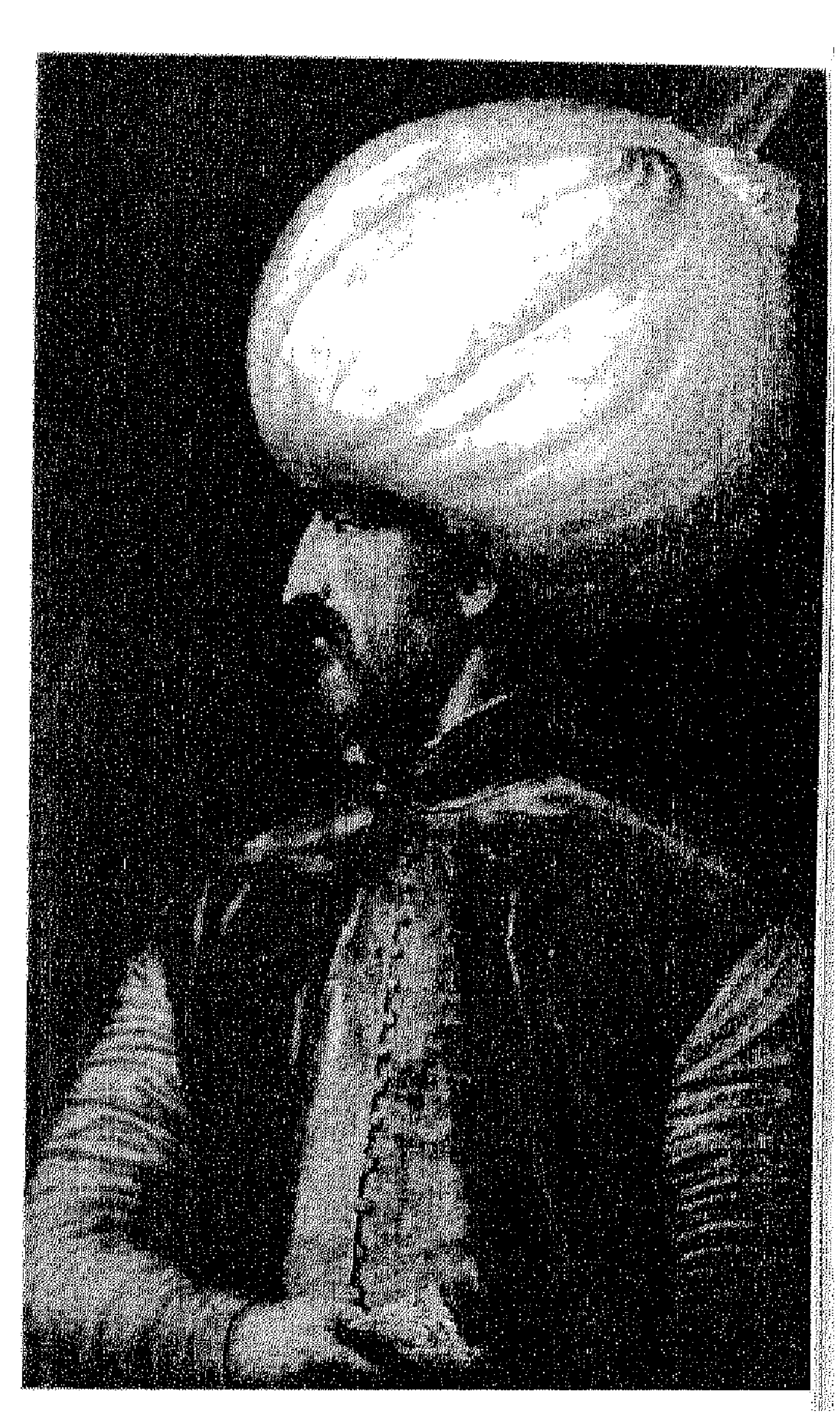
س.غ.

---

## أطفال الكومبيوتر

في أحد صفوف الروضة كنت أعلّم الاطفال كيف يستخدمون الدماغ الالكتروني (الكومبيوتر). وكانوا تقدّموا الى حد أنهم باتوا يطبعون الاجوبة عن الاسئلة. ولما لاحظت أن أحد الاطفال ينظر حوله باضطراب اقتربت من مقعده وقلت له: "يريد الكومبيوتر أن يعرف اسمك." وما إن ابتعدت عنه حتى سمعته يهمس للدماغ الالكتروني: "اسمي سامي."

ل.ف.



# السلطان سليمان

## أجلّه قومه وخافه الغرب وفي أيامه بلغت الامبراطورية العثمانية ذروة مجدها

الجهاد يُشن بايمان متوقد. جحافل السلطان العثماني، سيف الاسلام، تندفع من تركيا الى قلب أوروبا في بلغراد وبودابست وتبلغ أسوار فيينا. قوات المسلمين ونصارى الغرب تتلاحم في صراع مميت على أراض وبحار تنتشر في ثلاث قارات.

وتشمل لائحة المتصارعين رجالات من القرن السادس عشر: شارل الخامس عاهل الامبراطورية الاسبانية والمحارب الصليبي ضد الإسلام طوال حياته، وخصمه فرنسوا الأول ملك فرنسا، ومارتن لوثر المصلح السكسوني الذي فرط من دون قصد وحدة الكنيسة، وهنري الثامن ملك بريطانيا وهو الحليف المتلوّن وعدو الثلاثة معاً.

ووسط هذه الساح العالمية يقف رجل أعلى ممن عداه: سليمان، أمير المؤمنين وحامي الحرمين الشريفين وسلطان سلاطين الشرق والغرب. هذا الرجل أجلّه قومه ولقبوه "القانوني". وخافه الغرب وأعجب به ولقّبه "الأعظم". لقد تمكن سليمان من ايصال الامبراطورية العثمانية الى ذروة قوتها. وقد ذكر أحد

الديبلوماسيين من البندقية عام ١٥٢٥: "لا أعرف دولة أسعد من هاته. فهي غنية بذهبها وناسها وسفنها وطاعة الرعية لراعيها. فليحفظ الله أعدل الاباطرة طراً".

لقد وُهب سليمان حكماً تطاول مناهزاً ٤٦ عاماً، وعمراً بلغ ٧٢ سنة مترعاً بالانتصارات المظفرة والمآسي القاتمة. وكان مقر حكمه اسطنبول، مدينة القسطنطينية الشهيرة التي اسست قبل ١٢ قرناً وهزّ سقوطها عام ١٤٥٣ أركان أوروبا. لكن أمنية المسلمين تحققت، فقد توصل محمد الفاتح، والد جدّ سليمان وسليل بدو تركستان، الى التربع على عرش أباطرة الرومان معلناً أنه وارث الاراضي التي كانت تحت حكمهم. وزاد من تعطشه الى الجهاد هدف توسعي جلي هو الحلم الذي راوده بتوحيد العالم تحت راية الاسلام. وبذا انطلقت الفتوحات غرباً. وفي العام ١٥١٤، بعد ٣٠ سنة على وفاة محمد الفاتح، طرق السلطان سليم الأول والد سليمان أبواب ايران. ثم انعطف جنوباً فاتحاً سورية ومصر مما ضاعف رقعة الامبراطورية.

**حمل وديع!** ولد سليمان عام ١٤٩٤ في تريبيزوند، مدينة القوافل الشهيرة على البحر الاسود، التي حكمها سليم حين كان أميراً. هنا تدرب الفتى على حرفة صياغة الذهب، اذ درجت العادة أن يحذق الأمير العثماني في صناعة ما إضافة الى الحكم والحرب. عُين سليمان والياً على مانيسا قرب بحر ايجه لما بلغ الثامنة عشرة، وتابع تلقي دروس في التاريخ والقرآن الكريم والشعر ووصايا الحكم. ومضت الدروس حثيثاً مع ابرهيم، وهو صياد يوناني فتى اقتاده المغيرون الاتراك عبداً. وقد درس العلوم في بيت أحد الاثرياء في مانيسا. وكان فطناً جذاباً، يتكلم عدة لغات بطلاقة، فوصل الى بلاط الامير سليمان معتنقاً الدين الاسلامي. وغدا الامير والرقيق نديمين وصاحبين. كانا يتصارعان ويتبارزان بالسيف ويرميان النبال ويركبان الخيل ويتناولان الطعام معاً، متناقشين في الكتب التي قرأاها.

وفي أواخر سبتمبر (أيلول) ١٥٢٠ جاء رسول الى مانيسا يخبر بوفاة السلطان سليم. وبعد ثلاثة أيام من الارتحال الشاق على ظهور الخيل وصل سليمان الى مضيق البوسفور. واذ جاز به المركب المياه الساكنة عند القرن الذهبي رمق سليمان للمرة الاولى المدينة التي ستصبح عاصمة حكمة.

رأى سليمان الحصن ومدفعه الضخم "الذي لا مثيل لحجمه وماسورته الضخمة". ولاحت له في الأفق قبة آيا صوفيا، الكنيسة التي حوِّلت جامعاً. وجالت عيناه على الهضاب فرأى بيوتاً خشبية حقيرة تؤوي أُسراً كان سلاطين بني عثمان نقلوها الى هنا من كل صقع في الامبراطورية وبينها يهود اسبان ومغاربة أقصتهم محاكم التفتيش الاوروبية.

وعلى قمة القرن الذهبي يقع مقام أيوب عليه السلام الذي استشهد عام ٦٧٠. هنا، في ٣٠ سبتمبر (أيلول) من العام نفسه، تنطق سليمان بسيف

عثمان، أول سلطان عثماني، وقد غدا بدوره الآن سلطاناً وفي يده قوة قاهرة. وكان أول أعمال سليمان الرسمية الأمر ببناء ضريح ومسجد ومدرسة إكراماً لذكرى أبيه، وإطلاق ٦٠٠ سجين مصري، وإنزال العقوبة بعتاة المجرمين. وتعقيباً على ذلك قال أحد المراقبين: "بدا للناس حينذاك أن حملا وديعاً خَلَف أسداً هصوراً."

**غزو أوروبا.** لكن الحمل كان أسداً متنكراً. انطلق سليمان غرباً ليحقق ما أنجزه والده شرقاً. في ربيع ١٥٢١ باشر حملته على أوروبا. وسقطت بلغراد، مركز دفاعات منطقة البلقان، بعد أسابيع من القصف تخللها عشرون هجوماً كثيفاً.

في الصيف التالي حاصر سليمان رودس، الحصن الحصين لفرسان القديس يوحنا والواقعة بين عاصمته وبلاد مصر. انقضى الصيف ودخل الشتاء وسقط الحصن الهائل بعد ١٤٥ يوماً. وعرض سليمان شروطاً كريمة للصلح: أن يرحل الفرسان والمرتزقة أحراراً خلال ١٢ يوماً، وفي وسع الاهالي أن يغادروا المكان في أي وقت يشاؤون خلال ثلاث سنوات. وقد حظي السلطان باعجاب أوروبا قاطبة لمروءته في معاملة خصمه الباسل.

وسليمان اذ لا يكون في غزو أو صيد كان يقطن قصر توبكابي الذي بناه محمد الفاتح. وكان توبكابي مدينة داخل أخرى، فهو مستقر الوزراء والقضاة ورؤساء الأقسام الذين يسيرون تجارة الامبراطورية، وفيها مواقع تدريب صفوة الجند ومدرسة للموظفين ومحترف للفنانين واسطبلات للجياد ومقصد لرافعي العرائض والشكاوى. وفي القصر عشرة مطابخ تطعم ألوف الضيوف. وكثيراً ما كان يذبح نحو ٣٠٠ خروف يومياً.

وكانت استقبالات السفراء تُعد بحيث تظهر أبهة العثمانيين وقوتهم. وعند البوابة السلطانية رؤوس معلقة للخونة ترحب بالقادم. وبعد مرور السفير بحجرات الجلادين يلقى الوزير الاكبر الذي يمضي به، في مناسبات خاصة، ماراً بألفي موظف مطأطئين رؤوسهم، ثم يلجان الغرف الداخلية المهيبة.

وقد روى الزوار عن الصمت الذي يرين هناك، وهو أشبه بصمت القبور. هناك، على عرش مرصع بالجواهر، ينصت السلطان ساكن الجوارح متلففاً في قفطان رسمي سميك من حرير مقصب. قد تند عنه ملاحظة أو يشير بإيماءة لانصراف الحضور. عندئذ يُساق السفير خارج الغرفة من دون أن يسمح له بأن يدير ظهره للسلطان. ويأتيه الجواب بعد ذلك بواسطة الوزير الاكبر.

**ازدهار ورفاه.** أي الرجال سليمان؟ نتخيله ممتطياً صهوة فرسه الأسود متقدماً في موكب الى الجامع يوم الجمعة، متجلبباً بالبياض. أو طارحاً النقود الذهبية الى الممثلين حين يرئس الاحتفال بختان أبنائه.

وفي رسائله الموجهة الى الملوك الآخرين نبرة صلف: "أنا، سلطان السلاطين، ملك الملوك، موزع التيجان على الملوك المنتشرين على وجه الأرض".

وقد وردت هذه العبارات في رد خليفة المسلمين على فرنسوا الأول ملك فرنسا.

كان سليمان ورعاً يأخذ مشورة الفقهاء في القرارات الحاسمة منصفاً اذ أعاد فائض الضرائب المجباة من مصر، عادلا فلا يترك فساداً أو جوراً من دون عقاب. وهو من حذق الصنائع والحرف بنفسه فرعى الكثير منها. وخلال نصف قرن بنى سنان، مهندس العمارة في بلاطه، مساجد وحمامات وجسوراً ومشافي وكليات وخانات وأسواقاً مسقوفة وقنوات لجر المياه، لم يجاره في عددها أي مهندس عثماني آخر. وجامع السليمانية هو المفخرة التي تتوج مدينة اسطنبول.

وعلى رغم انغماس السلطان في الحروب فقد جلب الى شعوب سلطنته، على اختلافها، منافع السلام. وأدى السلم على الطريقة العثمانية الى توسع سكاني ومدّ شبكات الطرق ونمو التجارة وازدهار الحرف. وجعلت الخدمات الاجتماعية تلك الامبراطورية دولة الرفاه الأولى في ذلك العصر. وتعايشت أسر النصارى والمسلمين واليهود في ظل حكمه العادل.

وعلاوة على ذلك كان سليمان فاتحاً يضمن انتصار جيشه الذي يقوده بنفسه. وحسبما أورد في كتابه الى فرنسوا الأول: "نسرج حصاننا ليل نهار ونتنطق سيفنا المنصل." وفي ٢٣ ابريل (نيسان) ١٥٢٦ انطلق السلطان من اسطنبول لقتال هنغاريا (المجر) وملكها لويس الثاني ذي العشرين ربيعا، وزاد عديد جيشه بالخيالة من بلاد البلقان، وعززه بالمدفعية الثقيلة المشحونة من الدانوب، فبلغ ١٠٠ ألف رجل.

**روكسيلانا.** في ٢٩ أغسطس (آب)، على سهل موهاكس، أطبقت الفرق العسكرية للسلطان كمصيدة حديد على الخيّالة الهنغارية فمنيت بهزيمة منكرة وانتهى القتال في ساعتين اثنتين. وفي صبيحة اليوم التالي عثر على جثة الملك لويس غارقة في نهر اذ كان يحاول الفرار. وقد قال سليمان معقباً: "ليرحمه الله، وينزل العقاب بمن أضلّه".

نشرت واقعة موهاكس الذعر في أوروبا. واذ سقطت معظم أراضي هنغاريا (المجر) جاء دور النمسا. لكن الامطار الهاطلة باستمرار أخرت سليمان فأمضى ١٤١ يوماً في طريقه الى فيينا. وتساقط رجاله صرعى في الدروب، ونفقت الابل بالمئات بفعل هجمات فرق الخيالة المعادية وبرد الشتاء. وتحت ندف ثلج كثيف أرغم سليمان وابرهيم، وهما على مسافة ألف ميل من اسطنبول، على رفع الحصار بعد ثلاثة اسابيع من بدئه.

وقد حاول سليمان معاودة الاقتراب من المدينة بعد ثلاث سنوات، إلا أنه بلغها متأخراً هذه المرة أيضاً. واذ كان السلطان معتاداً الاجهاز على الممالك المنيعة في حملة عسكرية واحدة فقد صب غضبه على شرق النمسا فأعمل فيه نهباً وتقتيلا.

وعلى مر السنين ازداد تأثر سليمان بعبدين دفعهما الى مراقي السلطة: أولهما ابرهيم الذي عمل صدراً أعظم على نحو باهر مدة ١٣ عاماً، والثانية فتاة روسية وقعت في الأسر اسمها روكسيلانا وقد أصبحت زوجته. وبعد حريق شب في القصر القديم عام ١٥٤١ انتقلت روكسيلانا مع الحريم الى قصر توبكابي

مركز السلطة. وبغية ممارسة تأثير غير مزاحم على سليمان، عملت على التخلص من ابرهيم الذي كان يختلي بالسلطان ويشاركه في طعامه وشرابه، وهو صهر سليمان زوج أخته.

نجحت دسائس هذه المرأة، اذ وردت تقارير الحسّاد من حملة عسكرية جردت على ايران، بأن ابرهيم يتصرف كأنه هو السلطان. ولدى عودة ابرهيم الى القصر دعي الى تناول العشاء مع سليمان ووجد مخنوقاً صباح اليوم التالي.

وأرادت أن تقضي على مصطفى أيضاً، وهو الابن البكر لسليمان من أمة شركسية. فبموجب القانون المسنون، اذا تولى مصطفى الخلافة فينبغي اعدام أولاد روكسيلانا. وبُعث مرة أخرى بخبر من الحملة على ايران مفاده أن مصطفى، الوالي الاقليمي، كان محبوباً فلجَّ عليه جنوده بأن يقودهم هو في المعارك بدل السلطان الشيخ. وقد نجحت روكسيلانا في القضاء على مصطفى.

**الرحلة الاخيرة.** بعد ذلك نشبت حرب أهلية بين أثنين من أبناء روكسيلانا. ففرّ أكبرهما مدحوراً الى ايران ملتمساً اللجوء الى عدو أبيه. وأرسل جلاد سليمان الخاص الى هناك فأخمد أنفاس الابن الى الأبد. ولم يبق إلا الابن الأقل جدارة بين أولاد السلطان، وهو سليم الذي فتح قبرص. وقد هزم العثمانيون في ليبانتو عام ١٥٧١، تاريخ آخر معركة حربية كبيرة. وثمة عدد من المؤرخين يعزو انحطاط العثمانيين بعد وفاة سليمان الى زوجته روكسيلانا.

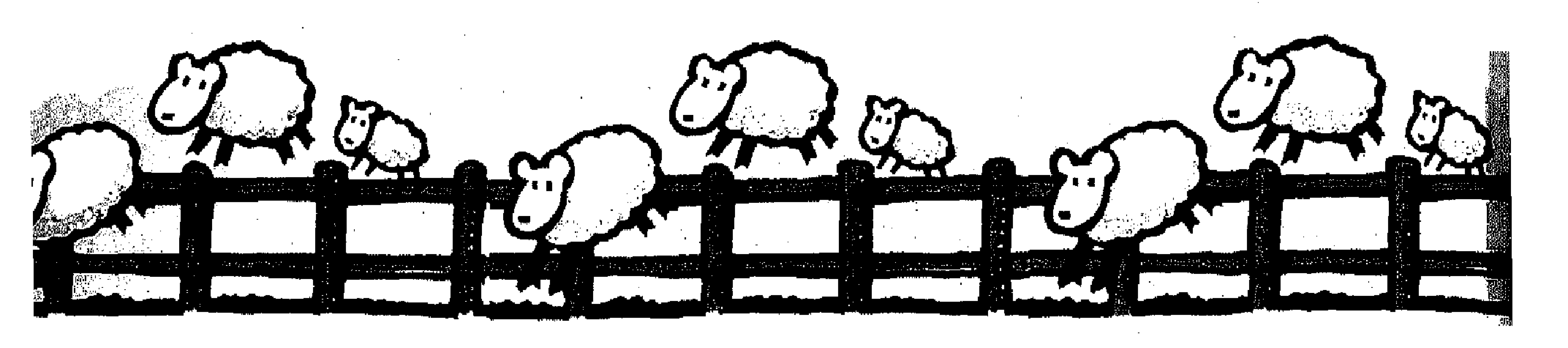
ثم أعد سليمان جيشاً جراراً انطلق به الى الدانوب في الاول من مايو (أيار) ١٥٦٦. كان التقدم بطيئاً جداً. وما كان السلطان يقوى على امتطاء صهوة الفرس، فركب عربة عمل المهندسون على تمهيد الطريق أمامها. وجاء الخبر أن كونت هنغاريا ذبح أحد ولاة سليمان وتمترس في زيغيتفار قرب موهاكس. انتابت سليمان سورة غضب فحوّل مسار جيشه اللجب لاخضاع الحصن.

وأعاق مستنقع زيغيتفار العثمانيين شهراً كاملا على رغم أن المدافعين عنه لم يتعدوا ٢٥٠٠ رجل. وحصد الهجوم الحاشد ركاماً من الجثث. وفي نهاية المطاف خرج الكوّنت مع ٦٠٠ من جنوده الناجين لابساً أفخر ثيابه وسيفه في يده. لكن الرجل الذي قُصد أن يرى مشهد البطولة هذا لم تتح له رؤيته. فقد توفي سليمان في خيمته ليلا.

ما كان ينبغي تسرّب أي خبر بوفاة السلطان قبل أن يتبوأ سليم الابن العرش وهو على بعد ١٣٠٠ كيلومتر في كوتاهيه بالأناضول. وظلت التعليمات تصدر كعادتها من خيمة السلطان. وأخيراً بدأ جثمان سليمان المحنّط رحلته نحو مسقط رأسه. وبعد ثلاثة أسابيع، لدى ورود النبأ بوصول سليم، أعلنت وفاة سليمان.

صعق الجيش للخبر المفجع. ومشى سكان اسطنبول في المأتم الضخم الى جامع السليمانية. فقائدهم سليمان أعلى شأن امبراطوريته فبلغت عصرها الذهبي. وكان سلطاناً لن يروا له مثيلا بعد.

ميرل سيفري ■



# ٩ خطوات إلى نوم هادئ

## نصائح مفيدة الى الذين يتقلبون في أسرّتهم فلا يغمض لهم جفن

بدأت نانسي قبل سنوات تواجه صعوبات في النوم اثناء عطلتها الصيفية. حينذاك أنحت باللائمة على الفندق الصاخب. لكن نومها لم يتحسن بعد عودتها الى المنزل، فبدل فترة نومها المعتادة التي كانت تستغرق ست ساعات أو سبعاً في الليلة الواحدة، أصبحت تنام ثلاث ساعات أو أربعاً. وتقول نانسي وهي مدرِّسة في السابعة والثلاثين من عمرها: "كنت أجد صعوبة في النوم. فأتقلب في سريري لساعات ثم أنهض وأذرع الغرفة ذهاباً واياباً."

حاولت نانسي أن تأوي الى فراشها أبكر من المعتاد، لكن أقل ضجة كانت تزعجها، بما فيها تنفس زوجها. ووصف لها طبيبها دواء منوماً على مدى أسبوعين، لكنها عندما توقفت عن تناول الدواء عاودها الارق على نحو أسوأ.

معظمنا يعاني صعوبات في النوم أحياناً، لكنه لا يلبث أن يعود الى حاله الطبيعية بعد بضع ليال. ولكن بالنسبة الى عدد غير قليل من الناس يشكل الارق مشكلة مزمنة.

واليوم طلع "مركز جونز هوبكنز لاضطرابات النوم" في بلتيمور بولاية مريلاند بنظام من تسع خطوات لمساعدة مرضى الارق على شفاء أنفسهم. ويستند هذا النظام الى مقولة مفادها أننا ننام بهناء إذا ما قللنا، ارادياً، الفترة التي نقضيها في السرير وعدَّلنا نشاطاتنا أثناء اليقظة.

ويعتبر العالم النفساني ريتشارد آلن، وهو أحد مديري مركز جونز هوبكنز، أن الارق حالة اضطراب على مدار الساعة. ونظامه المرتكز على أبحاث آرثر سبيلمان من "مركز اضطرابات النوم" في جامعة

نيويورك، يتضمن نصائح تتناول تصرفات المرء في النهار كما في الليل:

**١ • احفظ سجلا بأنماط نومك لمدة أسبوع.**

سجل الوقت الذي تأوي فيه الى السرير والوقت الذي تستيقظ فيه صباحاً. دوّن ملاحظاتك حول فترات نومك النهارية والعقاقير وأنواع الشراب التي تتناولها لتساعدك على النوم.

**٢ • اذهب الى سريرك فقط عندما يحين وقت النوم.**

هذا يعني أن عليك عدم القراءة أو مشاهدة التلفاز في السرير. إذا كنت تستيقظ طبيعياً في السابعة صباحاً، وأشار سجلك اليومي الى أن معدل فترات نومك هو خمس ساعات في الليلة، فلا تأوِ الى فراشك قبل الثانية بعد منتصف الليل. ولكن عليك أن تقضي خمس ساعات على الاقل في السرير كل ليلة. أما اذا كنت عادة لا تحظى بأكثر من أربع ساعات ونصف ساعة نوماً، فقد تحتاج الى مساعدة طبية مختصة.

**٣ • أطِل الفترة التي تقضيها في السرير ١٥ دقيقة.**

القاعدة هي الآتية: عندما يصبح في امكانك أن تنام ما بين ٨٥ و٩٠ في المئة من وقتك الذي تقضيه في السرير على مدى أربعة أيام متتالية، يمكنك ان تأوي الى الفراش أبكر من المعتاد بخمس عشرة دقيقة. ولكن إذا كنت تغفو أقل من ٨٠ في المئة من هذا الوقت فعليك أن تؤخر ميعاد نومك. عندما تدرجت نانسي لتأوي الى السرير في الثانية عشرة والنصف ليلا بدأت تعاني صعوبات في النوم، فعادت الى المبيت في الاولى بعد منتصف الليل الى أن تمكنت من تخطي المشكلة.

**٤ • افعل شيئاً يبعد عنك النعاس المبكر.**

فتش عن الاعمال التي تتطلب منك نشاطاً معتدلا. كانت نانسي، مثلا، تقرأ وتكتب الرسائل. وهي تقول: "تعجبت لشدة تمتعي بالهدوء والعزلة."

**٥ • أطلب من صديق، أو من زوجك، أن يساعدك على البقاء مستيقظاً خلال الاسبوع الاول.**

كان زوج نانسي صبوراً وداعماً، "حتى عندما كنت أكلمه بعصبية،" كما تقول. كان يبقى مستيقظاً ويهزها لتستيقظ إذا ما غلبها النعاس. وبعض ضحايا الأرق يجدون في مكالمة هاتفية مع صديق وسيلة تبعد عنهم النعاس المبكر.

**٦ • أقلع عن عادة تناول الحبوب المنومة.**

كان هذا عملا شاقاً على مارلين التي عانت الارق على مدى ١٥ سنة. كانت تتناول أدوية منومة بانتظام، بوصفة طبيب ومن دون وصفة.

عندما خضعت مارلين للعلاج (في اشراف طبي بسبب اعتمادها على الحبوب المنومة) سمح لها بمتابعة تناول الدواء. ولكن عندما بدأت تنام لمدة خمس

ساعات متواصلة في الليلة أُخر موعد نومها الى الثانية بعد منتصف الليل لتخليصها من الاعتماد على الدواء. ومن دون الحبوب المنومة كانت تحتاج بادىء الأمر الى ساعة لكي تغفو. ولكن بعد فترة وجيزة تحسن نومها.

**٧ • ابدأ يومك بتمضية عشرين دقيقة على الاقل في الشمس.**

ويشرح ريتشارد آلن السبب: "يشير ضوء الشمس الى أن الوقت نهار. ويساعد ذلك في تنشيط ساعة جسدك الطبيعية مما يجعلك متنبهاً." ترفع مارلين كل الستائر في مطبخها وتتناول الفطور في غرفة مشمسة. تقول: "ان ذلك يرفع المعنويات ويزيد من الحيوية." وفي الايام الممطرة يمكن استعمال مصباح ساطع كبديل.

**٨ • تناول فطوراً وغداء خفيفاً لتزيد من يقظتك أثناء النهار، واجعل عشاءك قبل أربع ساعات أو خمس من ذهابك الى السرير.**

على رغم ان الوجبة الثقيلة تزيد النعاس لدى ضحايا الارق، فلا يستحسن الذهاب الى السرير بمعدة مليئة. انك تحتاج الى وقت لتهضم معدتك الطعام قبل النوم.

**٩ • مارس الرياضة كل يوم.**

أي تمرين يتطلب جهداً يجب أن يؤدى في وقت متقدم بعد الظهر ليساعد في صرف الطاقة العصبية التي تسببها الضغوط خلال النهار. وينصح آلن بالتمارين المعتدلة كالمشي البطيء وركوب دراجة ثابتة قبل ساعتين من النوم. يقول: "ان أسوأ ما يفعله المصاب بالارق هو أن يكون خاملا."

في برنامجه الرائد الذي يجمع بين أنظمة النوم والافادة من النور، عالج آلن ٣٩ مريضاً بالارق. وقد تحسن نوم بعضهم خلال ثلاثة أسابيع، واحتاج آخرون الى ثلاثة أشهر لملاحظة أي تحسن. وبعد انهاء البرنامج بفترة راوحت بين ٩ أشهر و١٢ شهراً، أقر ٧٥ في المئة من المرضى بأن نومهم تحسن على نحو ملحوظ.

قد لا يكون هذا النظام مفيداً لكل الناس. ففي بعض الحالات هنالك اضطرابات أخرى يمكن أن تسبب الارق، مثل الاختناق الليلي (١) حين يتوقف التنفس في أثناء النوم فيفيق المرء منتفضاً، والتشنج العضلي خلال النوم (٢) حين يتسبب انقباض العضلات لا ارادياً في الانتفاض وفي حركات جسدية أخرى.

وقد انقضت أربع سنوات على اشتراك مارلين في البرنامج، وهي سعيدة بحيويتها الجديدة نهاراً وبنعاسها ليلا. وعندما تصيبها نوبة أرق تكون متحضرة.

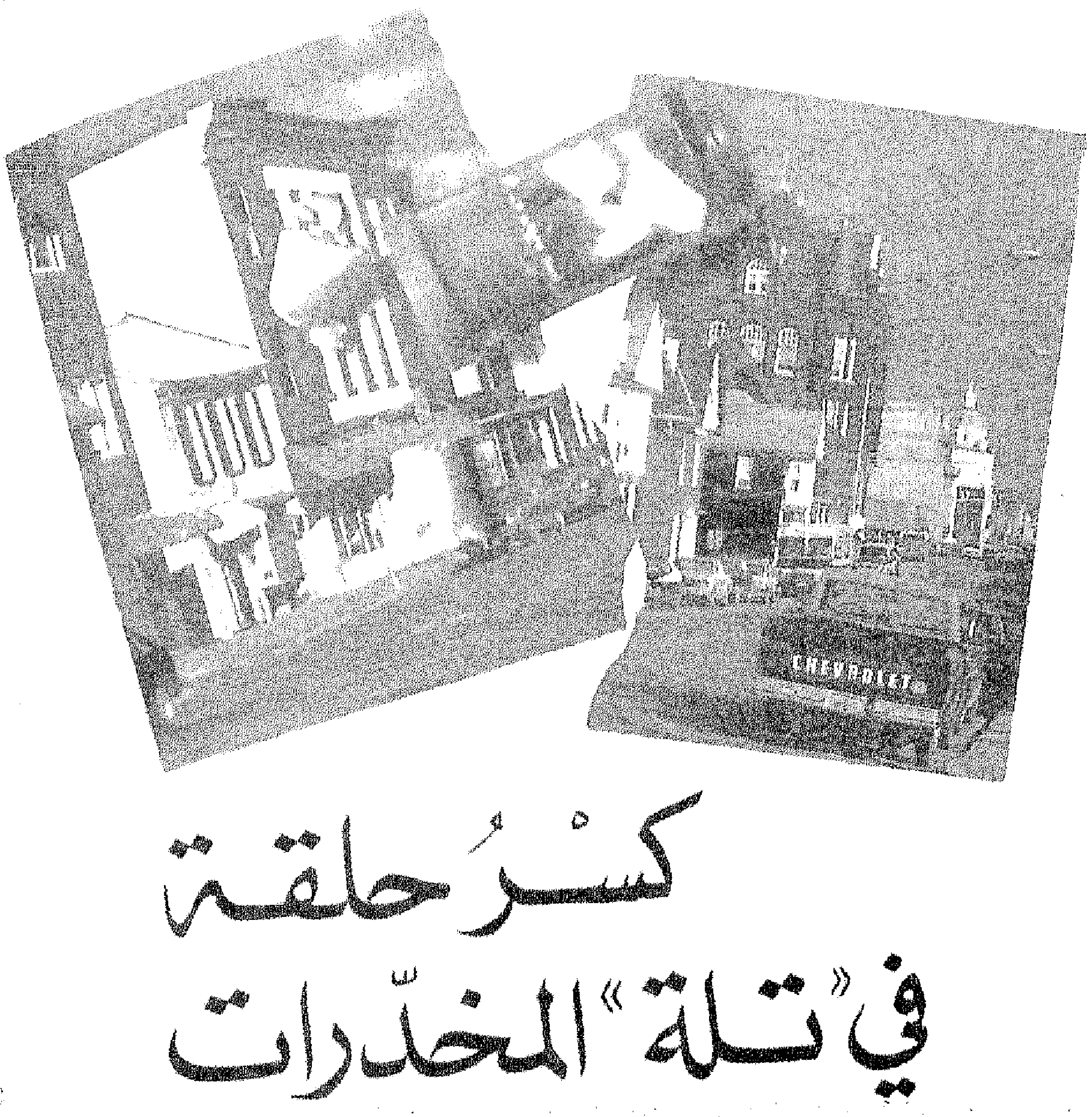
أما نانسي التي اتبعت البرنامج لاكثر من سنة فهي تنام اليوم سبع ساعات هانئة كل ليلة. وتقول: "اني أعاني بعض المشاكل بين الفينة والاخرى، لكنني لم أعد أرتعب من الامر."

**أليس ليك** ■

---

(١) Sleep apnea

(٢) Sleep myoclonus




# كسر حلقة في "تلة" المخدّرات

تبدو مارتنسبرغ للزوار الغرباء مدينة أمريكية من القرن الثامن عشر مرمية في وادي شناندواه بولاية فيرجينيا الغربية، كأنها بسكانها الاربعة عشر ألفاً ملجأ للهاربين من مشاكل المدن الكبيرة. لكن الحقيقة كانت مختلفة تماماً. فمنذ ربيع ١٩٨٦ كانت مارتنسبرغ تخوض معركة حياة خاسرة ضد المخدرات.

ان ما جرى في مارتنسبرغ يقدّم أمثولات قيّمة الى مئات المدن التي تحاصرها عصابات ترويج المخدرات.

كانت ماري سميث (١) تقطع الرجاء. فهذه الام الوحيدة التي تربي ابنتين مراهقتين صدمت عندما شاهدت أولاد جيرانها يخطرون بثياب غالية الثمن ويمتطون دراجات باهظة. لقد عرفت أن أهلهم يساعدون مروّجي المخدرات الذين انتقلوا الى منطقة في الجوار تدعى "التلة" ويكسبون في أسبوع أكثر مما تدر عليهم أعمالهم المشروعة في شهر. ومهمتهم أن يخبّئوا في منزلهم

(١) اسمها مستعار.



Photo: © Wally McNamee / Woodfin Camp & Associates;
inset of crack vial: © A. Tannenbaum / SYGMA

الكوكايين وأحد مشتقاته الرخيص الثمن والقوي الادمان المسمى "كراك" (٢) وأن يتداولوا اموال التهريب ويوظفوها لابعاد شبهة الحصول عليها من مصدر غير شرعي.

قاومت ماري، مثل غيرها، تجربة الحصول على مال سهل في مقابل هذا العمل "البريء"، لكن التجربة كانت اقوى من ارادتها على الصمود، خصوصاً أنها كانت تمارس وظيفتين من دون ان تستطيع موازنة مصروف عائلتها مع دخلها. وتساءلت: ما الفائدة من رفض هذا النوع من المال؟ وسرعان ما أصبحت مروّجة مخدّرات، ناقلة الكوكايين والكراك من مكان الى آخر في "التلة" المكتظة بغرف حقيرة للايجار.

بعدما وقعت ماري في شرك عالم المخدرات المغري سهل عليها أن تفقد ما بقي لديها من قيم. وكان لا بد من أنْ تجرب المخدر الذي تنقله.

بعد أسبوع أصبحت تتناوله يومياً، وبعد ذلك ثلاث مرات في اليوم. وغدا جسدها يتطلب الكوكايين الى حد انها تظل بلا نوم عدة أيام وهي تتنشق المخدر بنهم مرضي. وفي تقهقر شخصي سريع يرجّع صدى ما حصل لمدينتها، أصبحت مرتهنة تماماً بالكوكايين وبمروجيه الذين يوزعونه بتقتير. ولم يحررها من قبضة المخدر خوفها من الوقوع في أيدي الشرطة ولا قلقها على ابنتيها اللتين أهملتهما تماماً.

**بؤرة الكوكايين.** انتشر السم في مارتنسبرغ من مصدر غير متوقع. فقد ظلت محاصيل بساتين الدراق والتفاح في وادي شِناندواه تجنى بأيدي عمال شرفاء نشيطين من المهاجرين الجامايكيين الذين استقر معظمهم في المنطقة. ولكن في أواسط الثمانينات بدأ يفد اليها شبان عنيفون من الأحياء الفقيرة في مدينتي كينغستون ومونتيغو باي في جامايكا بالبحر الكاريبي. ولم يكن هؤلاء يرغبون في قطف الثمار، بل في تشكيل عصابات لترويج الكوكايين والكراك بعدما خبروا المكاسب الضخمة الممكنة انطلاقاً من مارتنسبرغ الواقعة على مسافة قريبة بالسيارة من بالتيمور وواشنطن وفيلادلفيا. وسرعان ما أغووا عدداً من عمال البساتين ودفعوهم الى توزيع المخدرات.

في البدء حُصرت تجارة المخدرات في ملاهي المدينة. ولكن لم تمضِ أشهر حتى ذاع صيت مارتنسبرغ من فلوريدا الى نيويورك كسوق ناشطة تكاد الشرطة لا تبدي حيالها مقاومة فعالة.

وما ان أقبل العام ١٩٨٥ حتى ازدادت العمليات وصولا الى "التلة" على مسيرة قليلة من المبنى البلدي في المدينة. ولم يطل الامر حتى احتشد المروّجون في كل ركن من الحي، يتحرشون بالسائقين والراجلين ويسألونهم هل يبغون شراء كراك أو كوكايين. اكتست الشوارع والساحات بالمحاقن المستعملة وسوى ذلك من معدات المخدرات. وساد الفحش والفساد. واضطر السكان الى التحصّن خلف مقضّبات نوافذهم الفولاذية ابعاداً للمدمنين النهّابين.

(٢) Crack, known also as free base, base or rock

وأدمن الاهل الكوكايين أو الكراك فهجروا أولادهم.

وفيما طغت موجة الادمان والاتجار بالمخدرات ارتفعت وتيرة السرقات والسطو المسلح على البيوت والمحلات. قبل مجيء المروجين كان متوسط حوادث القتل في مارتنسبرغ جريمة واحدة في السنة. ولكن بين يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ ويونيو (حزيران) ١٩٨٦ حصل ١٧ حادث قتل، بما فيها بضع تصفيات.

مع ذلك قُيِّض لماري سميث ألا تتمرغ طويلاً في حمأة المخدرات لسبب واحد بسيط هو أن ابنتيها لم تدعاها تسقط. كانت تتعاونان على اجلاسها الى طاولة المطبخ، وتمسكان بيديها وتواجهانها بما كانت تعلّمهما قبل أن تصبح مدمنة. كانت كبرى الاختين تقول لها: "ماما، لن ندعك تحطمين حياتك". وهما بقيتا الى جانبها نهاراً وليلاً خلال انقطاعها القسري المؤلم عن المخدرات، وساعدتاها على المقاومة الى أن استعادت سلامة ذهنها وجسدها.

لكن الحياة السوية المستعادة، مهما تكن رائعة، ليست سوى نقطة مضيئة صغيرة في لوحة كئيبة تماماً. إذ ما ان انتصف العام ١٩٨٦ حتى غدت "التلة" قبلة المخدرات، تصل اليها يومياً كميات من الكوكايين الصرف في أكياس يسع كل منها خمسة كيلوغرامات. وأفلت زمام الامور بحيث كان السير يتوقف في شوارع "التلة" لان المارين في شاحناتهم أو سياراتهم أو دراجاتهم النارية والهوائية كانوا يُحاصرون بعشرات البائعين المتسكعين.

ظلت ماري أسابيع تراقب الشارع من نافذة غرفة الجلوس وتسمع بلا انقطاع طلقات نارية تدوي في الشوارع. فازدادت اقتناعاً برغبتها في المساعدة على محاربة مروجي المخدِرات. فلقد بدا واضحاً لديها أن مارتنسبرغ مهددة بالهلاك – مثلما كانت هي من قبل – ما لم تُنظَّف من المخدرات. وكانت تعرف أيضاً أن رجال الشرطة عاجزون عن التغلغل في الشبكة المراوغة التي نظمها المروِّجون الجامايكيون. فلا بد لجمع البيِّنات الضرورية من شخص سبق له العمل داخل أوكار "التلة".

**تقارير مرعبة.** صبيحة يوم ربيعي من العام ١٩٨٦ قصدت ماري السلطات وعرضت خدماتها كمخبرة. وبعدما تأكد المسؤولون من أنها ليست طعماً أرسله المروِّجون لزرع معلومات خاطئة، حذّروها من المجازفة الرهيبة التي تواجهها. فتجار المخدرات الجامايكيون العتاة يجازون المخبرين بالتعذيب والقتل. لكن ماري كانت مصممة. فابنتاها أنقذتاها من الادمان، وهي تدين لهما ببذل ما تستطيع من أجل انقاذ المدينة.

على رغم أن تجار المخدرات اعتقدوا انهم سيطروا على المقدرات الهزيلة للقانون، كانت شرطة المدينة تدعم حملة سرية يقودها "جهاز مكافحة الجريمة المنظمة وترويج المخدرات" الذي أنشأه الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغن. وسمح النائب العام الاقليمي وليم كوليباش بتضافر جهود الحكومة الاتحادية والقوة المجابهة ومكتب

التحقيقات الاتحادي (FBI) وشرطة ولاية فيرجينيا الغربية، رأس الحربة في التحقيق. والهدف هو التسرب الى شبكة تجارة المخدرات في مارتنسبرغ ومقاضاة رؤوسها، المعروفين حتى من أقرب شركائهم بأسمائهم الحركية "اليد اليسرى" و"الطبل" و"الفزاعة" وسواها. وهنا كان المكان المناسب لماري. فمهمتها أن تقتفي أثر هؤلاء "الرؤوس" وتعرف هوياتهم الحقيقية. وحينئذ فقط تستطيع مصلحة الهجرة ومكتب التحقيقات الاتحادي رصد تحركاتهم واظهار تورطهم في تجارة المخدرات عبر الولايات، ببيّنات متينة تتيح محاكمتهم.

كانت ماري معروفة في أوساط كبار المروّجين فلم تجد صعوبة في التعامل معهم من جديد كمهرّبة للبضاعة، مثلما كانت سابقاً. وهي جازفت مرة بالتنقيب بين أوراق شخصية لاحد البائعين حتى وجدت جواز سفره. ومكرت بآخر حتى أراها "بطاقته الخضراء" (٣). وما مرت بضعة أشهر حتى حصلت ماري على أسماء كل كبار المروّجين وعلى بيّنات ثمينة عن ارتباطاتهم بشبكات تتعامل عبر الولايات.

وكلما توغلت ماري في ظلال عالم المخدرات غدت تقاريرها مرعبة في اطراد. ففي صيف ١٩٨٦ كان معظم المروّجين مزوّدين أسلحة ثقيلة. واعتاد أحد البائعين التبختر على أرصفة المشاة في "التلة" وهو يحمل مسدساً أوتوماتيكياً كبيراً في حزام سرواله. كذلك روت ماري في تقاريرها أنها شاهدت في "بيت الكوكايين"، وهو احد مستودعات "التلة"، كتلة من المنحدر الصرف في حجم كرة السلة. كتبت: "كان الكوكايين يغطي الارض حتى ان عينيك تلسعان وأنت تطأها". وخمّن رجال الشرطة أرباح سوق المخدرات في مارتنسبرغ بأكثر من ٧٠٠ ألف دولار في الاسبوع. وتباهى أحد المروّجين بأنه يكسب ١٥ ألف دولار في الليلة الواحدة.

سكان المدينة المحافظون على القانون أرغوا وأزبدوا أمام عجز الشرطة الظاهر. وفي اجتماع لاعضاء مجلس البلدية في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ اشتكى السكان الغاضبون من أن متعاطي المخدرات يغزون الابنية ويهدّدون المشاة.

كبشا المحرقة اللذان وُجّهت اليهما سهام النقد والتجريح كانا رئيس البلدية ادوارد دوكني ورئيس الشرطة مايكل ماكلافلن. فلقد مرت اشهر وهما مضطران الى جبه المدّ المتنامي من الشكاوى بجواب ضعيف من نوع "اننا نعمل على ترتيب الامور". فلا رئيس البلدية ولا رئيس الشرطة كانا ليكشفا أن هناك تحقيقاً جباراً تتضافر عليه الحكومة الاتحادية مع حكومة الولاية منذ نحو سنة.

**عملية دهم.** مع اطلالة اكتوبر (تشرين الاول) وبفضل معلومات ماري سميث وأدلة جهاز المراقبة في الحملة المشتركة، حصل النائب العام كوليباش على أمر رسمي بجلب ٤٦ شخصاً ليمثلوا

(٣) البطاقة الخضراء (Green Card) بطاقة هوية تمنحها سلطات الولايات المتحدة للمهاجرين اليها ريثما يمضون في البلاد مدة كافية تخولهم الحصول على جنسية وجواز سفر أمريكيين.

أمام المحكمة بتهمة الاتجار بالمخدرات في منطقة مارتنسبرغ.

في الساعات الاولى من فجر ١٦ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ أسرعت قافلة من ١٠٠ سيارة شرطة في اتجاه مارتنسبرغ. كانت تضم حوالى ٣٠٠ شرطي اتحادي واقليمي ومحلي جُمعوا في حملة مكافحة مشتركة هي الاضخم في تاريخ الولاية. كانوا مزوّدين أسلحة ثقيلة. ولعلع الرصاص في المدينة الغارقة في الظلام لسد منافذ الخروج من "التلة" فيما كانت فرق التوقيف تبلغ مواقعها الصدامية. وظهرت في الجو مروحيات وطائرات خفيفة تنقل رجال أمن اتحاديين واقليميين.

في السادسة والدقيقة الخامسة صباحاً عمد ٣٥ فريقاً للتوقيف وفرقتان لمكافحة العنف والشغب الى شن هجوم منسّق. فقبض على معظم المروجين في أسرّتهم. ومع أن الفرق وجدت مقداراً صغيراً من المخدرات فانها ضبطت مجموعة ضخمة من الاسلحة تتضمن بنادق ورشاشات ومدى ضخمة وأسلحة عسكرية أخرى، اضافة الى اكثر من ٣٠ ألف دولار نقداً وكميات كبيرة من الجواهر. واقتيد تجار المخدرات الى المبنى الاتحادي.

في الاسابيع التالية رفع مكتب كوليباش عدد المتهمين الى ٥٦ ودين ٤٧ من أصل ٤٨ تاجر مخدرات قُبض عليهم. ونظراً الى الادلة البيّنة التي وفرتها ماري سميث ورجال الحملة اصدرت في حق المتهمين أحكام تربو على ٤٠ سنة، وقضت بترحيل التجار الجامايكيين بعد تنفيذ احكامهم.

تقول ماري سميث، التي انتقلت من المنطقة تجنباً لانتقام محتمل: "اعادت حملة الردع الى سكان مارتنسبرغ احترامهم الذاتي. لكن المدينة لن تكون ذاتها أبداً". فمشاكل المتاجرة بالمخدرات أبعد من أن تكون ولّت الى غير رجعة. فثمة مروجون استطاعوا الافلات واستمروا في نشاطهم. لكنّ رئيس البلدية دوكني وأعضاء المجلس البلدي، في سعيهم الى ضمان عدم وقوع المدينة مجدداً بين براثن المروّجين، ضافروا الجهود الجماعية الطموحة:

□ انشأت دائرة الشرطة فريقاً لمكافحة المخدرات يحقق في الجرائم والجنح المتعلقة بترويج المخدرات وتناولها.

□ صدر قانون محلي لتنظيم شؤون السكن الفندقي يتّسم بالصرامة تجاه أصحاب الفنادق المتغيّبين الذي أفادوا من أوكار المخدرات في "التلة".

□ اعتُمدت برامج توعية جماعية ووقائية من مضار المخدرات في المدينة وجوارها. وأنشئت لجان مراقبة وحراسة وجُهّزت خطوط هاتف للطوارىء توصل المعلومات الواشية بمروّجي المخدرات الى السلطات المختصة.

يقول مساعد النائب العام جو ويتلي الذي نسق تحقيقات حملة الدهم لمصلحة وزارة العدل: "على المواطنين أن يؤدوا دوراً ناشطاً بالابلاغ عن مروّجي المخدرات". ولئن يكن الكفاح طويلاً وشاقاً فان ويتلي يؤكد "اننا جميعاً في المعركة، فلا بد للعمل الجماعي من أن يهزم عصابات المخدرات."

مالكوم ماكونيل ■

# صور من الحياة

## بُعد نظر!

حاول صديقي تشجيع أمه العجوز على الاستمتاع بالمال الذي وفّرته خلال حياتها المقتصدة. فقال لها: "يا أمي، عندك من المال ما يكفيك حتى تبلغي السن المئة."
فردت: "وما عساي أفعل بعد ذلك؟"
ك.هـ.

## تأثر متبادل

كان الزوجان يتابعان على التلفاز برنامجاً درامياً، فثار الزوج على طريقة زوجته في التأثر العميق بالاحداث وسألها: "كيف تستطيعين الجلوس هنا والبكاء من مشاكل مختلقة لاناس لم تصادفيهم قط؟"
فأجابت: "بالطريقة نفسها التي تجعلك تقفز من مكانك وتزعق عندما يهجم شاب لم تصادفه في حياتك ويدخل الكرة في شباك خصمه."
ك.ل.

## السكرتيرة ذاكرة المدير

اعمل في شركة ذات نشاط واسع كأمينة سر لمدير تنفيذي يعتمد عليّ كثيراً لترتيب مواعيده. وفي يوم مثقل استثنائياً بالاشغال كان المدير لا يزال داخل مكتبه عندما وصلت حوامة الشركة لتنقله الى المطار في رحلة عمل. فخرج مسرعاً وتناول حقيبته وانطلق مندفعا نزولا نحو الردهة. وإذ تنافس مختلف الموظفين على تسهيل امره ونيل حظوته صرخت به من بعيد: لا تنس. تذكرة الطائرة في حقيبتك؟"
لم توقفه ملاحظتي الا انه استدار وهو يهم بالخروج من الباب الرئيسي وسألني: "الى اين انا ذاهب؟"
ف.ا.غ.

## عين بعين...

ذهبت صديقة لي لشراء طابع من مكتب بريد حيث اشتهر بعض الموظفين بالفظاظة. فدفع أحدهم الطابع فوق المنضدة بقوة جعلته يسقط على الارض على بعد أكثر من نصف متر.
أخرجت صديقتي ثمن الطابع من حقيبة يدها، وبرباطة جأش وضعته على الارض مكان الطابع الذي أخذته وخرجت.
ت.س.

## أزياء العصر

كنتُ في أحد متاجر الالبسة النسائية عندما سمعت امرأة منهكة تقول لابنتها المراهقة: "طبعاً أنت تمقتين هذا الثوب، فهو يباع بنصف ثمنه، وفوق ذلك هو قابل للغسل!"
ر.ا.

قليل من عنصر المفاجأة ولفتة رومنطيقية
وكلمة أو كلمتان في الوقت الملائم
تحفظ الحب جياشاً
حتى في أطول
العلاقات الزوجية

# الجنس والزواج السعيد

هل صحيح أن الزواج والعلاقة الجنسية الناجحة متنافران، وأن العلاقة الجنسية بين الازواج مقضي عليها بأن تصبح باهتة لا اثارة فيها؟ ربما كان هذا صحيحاً بالنسبة الى بعض الازواج لبعض الوقت. ولكن خلال ١٦ سنة من ممارستي كعالم نفساني واختصاصي بمعالجة المشاكل الجنسية، وجدت حقائق كثيرة تثبت عكس ذلك. وتشير الدراسات الى أن أناساً كثيرين يتمتعون بعلاقات جنسية أكثر تنوعاً وارضاء ضمن حياة زوجية طويلة، منها في أي علاقة أخرى.

ليس جميع الازواج محظوظين هكذا. فكثيرون منهم يعيشون حياة جنسية فاترة. ولكن في الامكان مساعدة هؤلاء الازواج بتعليمهم الخصائص المشتركة لدى الازواج المكتفين جنسياً:

**١ اجعلوا العلاقة الجنسية اولوية ضرورية.**

ان الازواج المكتفين جنسياً يعتبرون الجنس جزءاً بالغ الاهمية في علاقاتهم. وهم مستعدون لفعل كل ما يتوجب لجعل حياتهم الجنسية مرضية. قد يتأخرون في الحضور الى العمل، أو يؤجلون تناول العشاء، أو يذهبون في عطلة من دون رفقة الاولاد أو الاصدقاء أو الامهات. وقد لا يشجعون الضيوف على المكوث مدة أطول في زيارتهم للمحافظة على وقتهم الخاص.

**٢ وفروا وقتاً لممارسة الجنس.**

تحديد "المواعيد" هو أحد الاساليب. وهكذا يظهر كلا الزوجين أنهما يعطيان الوقت الذي يقضيانه معاً أولوية مميزة.

ويمكنهما استغلال أوقات الفراغ غير المتوقعة لممارسة الجنس بدل القيام بأعمال روتينية.

### ٣ ابقوا على علاقة عاطفية حميمة.

ان الممارسة الجنسية التي توصل الى الاكتفاء تكمن عادة في علاقة موسومة بالتقارب والاهتمام والمشاركة، وهي قلما تتحقق في جو من الفتور والبعد والتجهم.

ومن المؤكد أن كل العلاقات الزوجية تقوى أحياناً وتفتر أحياناً. والزوجان المكتفيان يتخاصمان أحياناً، وقد يرفضان التخاطب. لكنهما سرعان ما يتجاوزان هذه الاوقات العصيبة بإيجاد طرق لحل مشاكلهما.

### ٤ اعرفوا كيف تتلامسون.

الزوجان اللذان يتمتعان بعلاقة جنسية جيدة هما أكثر حساسية من سواهما. فهما يدركان أن ملامسة الايدي والتقبيل والعناق لا تظهر الحب فحسب، بل تبقي المشاعر الجنسية متقدة. وهذا يختلف تماماً عن الطريقة العادية التي يتبعها الازواج في المبادرة الى ممارسة الجنس بعد أيام من التباعد الجسدي.

### ٥ حافظوا على الرومانسية في علاقاتكم.

ان الزوجين ذوي الرغبة الجنسية العارمة يدركان أهمية الحنان والاطراء والملاطفة، ويؤمنان بالاغراء. يخبر واحدهما الآخر كم يبدو جميلا وأنيقاً في نظره. وفي بعض المناسبات يتناولان العشاء على ضوء الشموع. يتذكران عيد ميلادهما وذكرى زواجهما ومناسبات خاصة أخرى، فيتبادلان الهدايا والمفاجآت. وتذكر احدى السيدات باعجاب حفلة حضرتها مع زوجها، وكانت بين المدعوات عارضة أزياء صارخة الجمال. فتمتم زوجها هذه الكلمات في أذنها: "انها رائعة، لكنني أريدك أنت".

### ٦ حافظوا على تشوقكم الجنسي.

يتذكر أحد الرجال يوم تلقى في مكتبه رسالة غير موقعة بخط زوجته جاء فيها: "أيها الرجل الانيق، ان كنت تتوق الى ليلة عاصفة فوافني الى فندق فيرمونت في الثامنة مساء". وتضمنت الرسالة مفتاحاً. لم يستطع الرجل انجاز أعمال كثيرة ذلك النهار، لكنه أمضى ليلة ممتعة.

### ٧ إعرفوا كيف تمرحون.

الزوجان اللذان يتمتعان بعلاقة جنسية حميمة لا يحملان الجنس كثيراً على محمل الجد. يعرفان أن لا بأس في المرح في السرير. وقد أخبرتني سيدة في الحادية والعشرين من العمر أنها تحب ممارسة الجنس مع زوجها لانهما يمرحان معاً. مثل هؤلاء الازواج يحبون المغامرة الصبيانية، إذ ليست لديهم قوانين صارمة حيال مفهوم الجنس. وهذا يكتسب أهمية كبيرة عندما يتقدم الزوجان في السن، فيسترخيان ويرتجلان ويتمتعان بوقتهما ما أمكن، وهكذا يعوضان آلام الشيخوخة والمرض والرتابة.

## ٨- اعرفوا كيف تتحدثون.

يجمع الخبراء على أن هناك علاقة قوية بين الكلام والاكتفاء الجنسي. وهذا لا يعني أن الزوجين اللذين يتمتعان بعلاقة جنسية حميمة يتكلمان دائماً عن الجنس، بل يعني ببساطة أنهما يعلمان بقدرتهما على هذا الحديث عندما تكون هناك حاجة الى الكلام.

ان الزوجين المكتفيين جنسياً يطلعان واحدهما الآخر على رغباتهما وكل ما يثيرهما. ولا يفعل ذلك طبعاً كل الازواج المحبين، لكن كثيرين منهم يجدون في مشاركة هذه الاسرار اثارة تغني حياتهم الجنسية.

## ٩- ظلوا عشاقاً وإن أصبحتم آباء وأمهات.

يشير بعض الدراسات الى أن الاكتفاء الجنسي يخف بعد ولادة الطفل الاول. لكن الزوجين اللذين يتمتعان بحياة جنسية جيدة لا يدعان عامل الابوة والامومة يؤثر في حياتهما الجنسية، ولا يسمحان للاولاد بدخول غرفة نومهما ساعة يشاؤون، بل يعلمانهم بالوقت الذي يريدان أن يكونا وحيدين.

هذه هي أفضل أسرار الاكتفاء الجنسي لدى المتزوجين. يبقى أن تعرفوا أن السر الاكبر هو أن ليس هناك من أسرار على الاطلاق. فالمؤشرات جميعها واضحة، لكن المشكلة هي أن كثيرين لا يضعون هذه الافكار موضع التنفيذ. معظم الازواج يستطيعون الحصول على علاقات جنسية أكثر اكتفاء إذا جربوا بعض هذه الافكار. أعرف أزواجاً استطاعوا زيادة اكتفائهم الجنسي بالتزامهم قضاء بعد ظهر كل سبت معاً.

هل يمكن الجنس أن يستمر، وينمو، في علاقة طويلة الامد؟

أنا سعيد بأن أقول ان الجواب هو نعم قاطعة. ومهما طالت الفترة التي يعيشها شخصان معاً، ففي امكانهما الاستمرار نحو الافضل بالتخطيط والمشاركة في المشاعر والاحلام وتعلم فنون اللعب والملامسة. ان الازواج الذين لا ينفكون يستعملون ذكاءهم وروح المرح لديهم وقوة مخيلاتهم لانعاش علاقاتهم الجسدية والعاطفية، يستطيعون الابقاء على علاقات جنسية مثيرة ومشبعة طوال حياتهم.

برني زلبرجلد ■



## للدلال حدود أيضاً

انقطع أحد معارفي مدة طويلة عن التحدث الى أهله. ثم قرر أن يفاجئهم بمكالمة هاتفية. وعندما رفع أبوه السماعة: قال: "مرحباً! هل ترغب في مليون دولار أم تفضل مكالمة من ابنك الحبيب؟"

ففكر الاب قليلا قبل أن يجيب: "أرجو ألا تكون ابني."

ل. ب.

# اوروبا ١٩٩٢




## تتجه مجموعة الدول الاوروبية نحو انشاء سوق موحدة تنتفي فيها الحواجز الجمركية. فكيف سيكون الوضع حينذاك؟

تصوّروا أوروبا في التسعينات:

ينتقل المرء من بلد الى آخر بأوراق ثبوتية يحملها عادة لدى تجواله في الشارع. كما يمكنه أن يدير أعمالا تجارية، وحتى أن يعمل كأي مواطن. وقد اختفت الحواجز الجمركية فعلا حتى ان المسافر لا يدفع ضرائبَ على الحدود في طريق العودة اذا تبضّع في بلد آخر. ولشراء بيت أو سيارة يمكنه الاقتراض من بلد تكون فيه الفوائد المصرفية في أدنى معدلاتها. ولجميع الاعمال التجارية والصناعية وصول سهل الى ٣٢٠ مليون مستهلك. وبذلك تتحول أوروبا، التي تغيرت على نحو لا يُصدَّق عبر إلغاء حواجزها الداخلية، أكبر قوة تجارية في العالم.

هذا الوضع ليس حلماً عقيماً، اذ تجرى في أوروبا اليوم عملية ضخمة لالغاء الحواجز البيروقراطية والحمائية التي وقفت أسواراً بين بلدان المجموعة

الاوروبية الإثني عشر (١). وتتدفق السلع والخدمات ورؤوس الأموال والأشخاص عبر بلدان المجموعة الاوروبية، ويتوقع أن يبلغ هذا الدفق بحلول العام ١٩٩٣ حدّاً يَعِدُ بإزالة العوائق المتبقية مما يؤدي إلى قارة أوروبية خالية من الحدود الداخلية.

ومع أن التكامل الاقتصادي كان طموح أوروبا منذ إنشاء السوق الاوروبية المشتركة بموجب معاهدة روما عام ١٩٥٧، فقد أحبط تحقيقه على الدوام.

وفيما العمل جار على إزالة التعرفات الجمركية تدريجاً، كانت هناك مجموعة متداخلة من الاجراءات الحمائية (٢) التي أضفي عليها طابع حماية البيئة أو المستهلك، أبقت أوروبا أسيرة الأسواق الوطنية الصغيرة، وكل منها أعجز من أن تكون قادرة على منافسة القوة الصناعية والقدرة التسويقية اللتين يتمتع بهما المنافسون في أمريكا واليابان.

**عوائق حالية.** استناداً الى دراسة رسمية أعدها باولو سيتشيني وهو خبير قانوني بارز، بتكليف من اللجنة الاوروبية، فان إزالة الحواجز التي تقسم هذه السوق "غير المشتركة" قد توفر على الاوروبيين نحو ملياري وحدة نقد أوروبية "إيكو" (Ecu).

فلنأخذ الأمور الآتية في الاعتبار:

□ أعيقت أعمال كثيرة بسبب تكاليف التصدير وتعقيداته، كاختلاف القواعد والمقاييس التقنية بين بلد وآخر. ولحماية المنتجين المحليين من المنافسة الاجنبية لم يكن على السلطات الوطنية إلا تأخير اجازة المنتجات الجديدة. وقد أمضَتْ شركة فرنسية سيئة الحظ خمس سنوات وهي تحاول الحصول على موافقة لادخال العوارض الخشبية التي تنتجها الى ألمانيا الغربية. هكذا يمكن تجميد الاستيراد لأتفه الأسباب. فالسيارة المعروضة للبيع يجب أن تكون مزوّدة أنواراً جانبية تبث اشارات متقطعة في ايطاليا، ومقعداً للسائق ينحني الى الوراء في ألمانيا الغربية، وأنواراً ضعيفة في بريطانيا، وأنواراً أمامية صفراء في فرنسا.

□ التأخير الحاصل على الحدود والمفروض على الشاحنات لاجراء المعاملات القانونية، يكلف الشركات المصدِّرة مبالغ تصل الى ٨٣٠ مليون إكو في السنة. وإلى ذلك، ممنوع على السائق المسجل في بلد ما ان ينقل البضائع كلياً في بلد آخر، لذا تسير ثلث شاحنات النقل في أوروبا فارغة من الحمولة.

□ تدفع السلطات العامة قرابة ٢٠ في المئة أكثر مما يتوجب عليها دفعه في الصفقات التي تعقدها. وتأمين كل أنواع البضائع، من بزات رسمية وحافلات وأدمغة الكترونية واسمنت وسوى ذلك، يكاد يكون مقصوراً على الشركات الوطنية التي تسجل أسعارها ارتفاعاً حاداً بسبب انعدام المنافسة الأجنبية. ففي العام ١٩٨٧، على سبيل المثال، دفع الاوروبيون ما يراوح بين ٢٢٥ و٥٠٠ دولار رسماً لكل خط هاتفي، في مقابل ١٠٠ دولار في الولايات المتحدة. ويعتقد سيتشيني أن

(١) بلجيكا والدانمرك وفرنسا وبريطانيا واليونان وايرلندا وايطاليا واللوكسمبور وهولندا والبرتغال واسبانيا وألمانيا الغربية.

(٢) Protectionist regulations

عروض الاسعار المفتوحة قد تخفض السعر الاوروبي الى ١٥٠ دولاراً.

□ يتحمل الناس مقداراً مرهقاً من الاحباط. ومع أنه يمكنهم، نظرياً، العيش والعمل في أي بلد من المجموعة الاوروبية، فثمة أنظمة وقوانين تخيّب الآمال في التوصل الى تحقيق فكرة التكامل. فمنطقة موز - راين، مثلا، على تقاطع الحدود بين بلجيكا وألمانيا وهولندا، معروفة بالتعاون عبر الحدود. ولكن حتى في هذه المنطقة لا يمكن أن يجتاز نجار الحدود بأدواته من دون أن يدقّق في شهادته ويحصل على اجازة مما يستغرق وقتاً كبيراً من النهار. كما أن مقيماً على الحدود في هولندا يعمل في شركة "مرسيدس - بنز" في بلدة آخن المجاورة في ألمانيا الغربية، لا يمكنه أن يقود الى مطار أمستردام (هولندا) سيارة للشركة تحمل لوحة تسجيل ألمانية، اذ ليس مشروعاً قيادة سيارة مسجلة في الخارج داخل بلد الإقامة.

زخم جديد. الا أن الحكمة والتعقّل بدأا يسودان في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥ عندما تبنى القادة السياسيون في المجموعة الاوروبية "الوثيقة الاوروبية المفردة" (٣) التي تهدف الى الغاء كل الحواجز التي تعوق حرية التحرك بين بلدان المجموعة، على أن يتم وضع الإطار الشرعي لهذا المشروع بنهاية العام ١٩٩٣. حتى ان هذا التاريخ أضحى شعاراً، لا بل صرخة واجب وثورة في طريقة العيش والعمل. ومن شأن المنافسة المفتوحة في حلبة سوق واسعة جداً أن تخفض الأسعار مما يشجع المستهلكين على زيادة مشترياتهم، ويؤدي بالتالي الى زيادة في الانتاج تترجّم بدورها انخفاضاً أكبر في الأسعار، مما يجعل البضائع مرغوبة أكثر في الأسواق الخارجية. ويتوقع تقرير ستشيني أن يؤدي هذا النمو اللولبي الى زيادة الناتج المحلي القائم لبلدان المجموعة الاوروبية بنسبة عظيمة قد تبلغ ٧ في المئة، والى إحداث نحو خمسة ملايين وظيفة جديدة بحلول العام ١٩٩٧. وتقول الدكتورة فكتوريا كورزن برايس الاستاذة في معهد الدراسات الاوروبية بجامعة جنيف: "ما من سبب يحول دون تمتع أوروبا الغربية ككل بدخل يساوي دخل الامريكيين أو حتى يزيد عليه."

ان أوروبا، بقرارها الحاسم هذا القاضي بإنشاء سوق داخلية موحّدة، نفضت عنها سنوات الشلل التي شهدتها. وبنهاية العام ١٩٨٨ تمت الموافقة على نصف التوجيهات الثلاثمئة الضرورية لتحقيق الهدف المنشود. والتقدم الآخر المهم يكمن في قرار أعضاء المجموعة الاوروبية التخلي عن السياسة السابقة الداعية الى محاولة تحقيق انسجام بين جميع الفوارق التقنية والبيروقراطية، والاستعاضة عنها بقاعدة أساسية بسيطة تعتمد الاعتراف المتبادل بالحقوق، أكان ذلك يتعلق بسلعة ما، كالنقانق، أو بعدة طبيب أسنان أو بأي من الخدمات، كالمصارف وشركات التأمين، أو حتى بكفاية حكم رياضي لقيادة مباراة في كرة القدم أو بممارسة مهنة كالمحاسبة. والمبدأ

(٣) Single European Act

الاساسي الواجب اتباعه في كل هذه الأمور هو عدم حظر بلدان المجموعة ما هو معترف به رسمياً في إحدى هذه البلدان.

في ظل هذا الزخم الجديد أصبح في الامكان ايجاد حلول سريعة لمشاكل كانت تعتبر مستعصية قبل سنتين. وكاشارة أولى الى تغير مهم في الاتحادات الاوروبية لشركات الطيران، يمكن طائرة تابعة للخطوط الجوية الاسكندينافية آتية من كوبنهاغن، أن تقل ركاباً من غلاسكو (بريطانيا) في طريقها الى دبلن (ايرلندا). كما تم التوصل الى اتفاقات حول مواضيع حساسة كالاعتراف المتبادل بالشهادات الدراسية لأغراض مهنية. ونتيجة لهذا التوجيه سيتمكن المحامون والمهندسون والمحاسبون والجيولوجيون وغيرهم من مزاولة مهنهم في أي من بلدان المجموعة الاوروبية.

**الكبير يبتلع الصغير.** لعل الاتفاق على السماح بحرّية تحرك رؤوس الاموال ابتداء من يوليو (تموز) ۱۹۹۰ هو أهم المبادرات الجديدة، اذ انه يسمح للاوروبيين بانتقاء أفضل ما يوافقهم من شروط تتعلق بالقروض أو التأمين أو الاستثمار أو مشاريع التقاعد في أي بلد. وقد يستعين مواطن فرنسي بالفروق في أسعار صرف العملات ليخفض رهن بيته الى النصف، وذلك باقتراضه من مصرف هولندي. ويمكن المواطن البريطاني أن يوفر في التأمين على بيته في بلجيكا كما يمكن البلجيكيين أن يفيدوا من التأمين على الحياة في بريطانيا. ويورد تقرير ستشيني أن من شأن المنافسة المتزايدة أن تؤدي الى انخفاض أسعار معظم المنتجات المالية بين ٤ في المئة في هولندا و٤١ في المئة في اسبانيا.

وتعدّل القواعد والانظمة بهدف فتح المشاريع العامة أمام عروض من جميع المقدّمين. كما أصبح عدد هائل من وظائف الخدمات العامة مفتوحاً أمام جميع مواطني المجموعة الاوروبية، بما في ذلك التعليم وأشغال السكك الحديد، ولكن باستثناء الشرطة والقضاء والجيش. ونتيجة للروح التي ستسود عام ۱۹۹۲، يمكن بعد سنوات قليلة أن يتولى ساعي بريد ألماني يقود شاحنة ايطالية تسليم الرسائل في مدينة فرنسية.

الا أن قارة أوروبية خالية من أي حدود ستشكل عالماً جديداً قاسياً على الاعمال والتجارة. ويتوقع رجل الاقتصاد الفرنسي ميشال ألبير حصول عملية تطهير للشركات الصغرى التي تفتقر الى الدينـاميكيـة، ويضيف: "ستـزدهـر الشركات التي تنجح في البقاء، أما تلك التي تعجز عن الصمود فعليها التوجه الى أعمال أخرى."

والتكيُّف جار. فقد أظهر تقرير أُعد في أغسطس (آب) ۱۹۸۸ أن لدى ٦٢ في المئة من الشركات التي شملها استطلاع في فرنسا خططاً استراتيجية للعام ۱۹۹۲. وبلغت هذه النسبة ٦١ في المئة في ألمانيا الغربية و٥٦ في المئة في بريطانيا. وفي هذه الاثناء تكتسح موجة عارمة من الشركات المدموجة والمتعاونة جميع مجالات العمل والتجارة في أوروبا. فتعمل شركات تأمين فرنسية وبلجيكية، مثلا، على تشكيل تحالفات لمواجهة

البريطانيين الذين يطمعون بالسيطرة على عالم التأمين. وعمدت أربعة معامل صغيرة للمفروشات الى الاندماج في شركة واحدة كبيرة لتعزيز فرص بقائها، خشية أن تُبتلع نتيجة الوضع الاقتصادي السائد.

كما تعاني الصناعة الثقيلة هزة مخيفة لأن القدرة الفائضة والانتاج غير الفعال الهادفين الى تحقيق تفوّق وطني مميز، هما من الكماليات التي لا يمكن تحملها. فإذا تم، مثلاً، تقليص عدد صانعي الحافلات الكهربائية في أوروبا من ١٦ الى ثلاثة أو أربعة، فقد ينخفض ثمن الحافلة نحو ١٣ في المئة. ويمكن التوفير على نحو مماثل في مجموعة كبيرة من المنتجات كالسيارات والطائرات المدنية والاتصالات الهاتفية.

مشاكل [illegible] في كل حقل نجد رابحين وخاسرين، ومن الأكيد أن هذه المرحلة الانتقالية ستكون شديدة الوطأة على البعض. ومع ذلك فهناك شركات لا تعبأ بهذا التحدي. فقد أظهر استطلاع عام ١٩٨٧ شمل ١١ ألف شركة في بلدان المجموعة، ان ٧ في المئة منها فقط يشعر بأن المخاطر المتأتية من انشاء السوق الموحدة ستفوق منافعها. والواقع أن جاذبية هذه السوق تثير اهتماماً خارجياً. فقد تقدمت تركيا رسمياً بطلب انضمام الى السوق، وتدرس النمسا والنروج الامكانات المستقبلية. وهناك بلدان عدة، بما فيها بلدان الكتلة الشرقية، توّاقة الى توقيع اتفاقات تجارية.

ولكن لا تزال هناك مشاكل شائكة عالقة. وأكبر عثرة في طريق الاتفاق هي المراكز الحدودية التي تنوي اللجنة في بروكسل إلغاءها. الا أن توقف هذه المواقع عن القيام بمهمتيها الاساسيتين سيؤدي الى نشوء مشاكل حقيقية لبعض البلدان:

□ التحقق من تذكرة الهوية: بريطانيا متصلبة في اصرارها على التحقق من هوية القادمين على جميع النقاط الحدودية، حتى أولئك القادمين من داخل بلدان المجموعة. وقد يتوجب على الدانمرك أن تتخلى عن جواز السفر الموحّد مع البلدان الاسكندينافية المجاورة التي تؤيد فكرة حدود مفتوحة مع بقية أوروبا. وتبقى هناك قضايا عالقة كمنع اللجوء السياسي وتأشيرات الدخول للأجانب ورخص حمل السلاح.

□ الضريبة على القيمة المضافة (٤) والرسوم الجمركية. تراوح النسب الضريبية على القيمة المضافة في المجموعة الاوروبية بين صفر و٣٨ في المئة. وتنوي اللجنة الاستعاضة عنها بترتيبين آخرين: رسوم مخفضة بين ٤ و٩ في المئة على السلع الاساسية كالمواد الغذائية والكتب والادوية، ورسوم قياسية بين ١٤ و٢٠ في المئة. ولن يكون هذا التحول ملحوظاً في معظم البلدان. ولكن سيتعين على الدانمرك، التي تواجه خسارة في عائداتها الضريبية تفوق تكاليف خدماتها الصحية، أن تبحث عن مصدر آخر للمال. أما في بريطانيا فليس وارداً سياسياً التفكير في فرض ضريبة

(٤) Value-added tax

## أسئلة مطروحة

**هل ستكون أوروبا كالولايات المتحدة، وتكون بروكسيل شبه عاصمة اتحادية؟**

لا، ستظل بلدان المجموعة تتخذ جميع قراراتها الخاصة، ما عدا تلك المتعلقة بالسوق الموحدة، كالتبادل عبر الحدود، ومقاييس الصحة والسلامة، والتجارة الخارجية.

**هل ستختفي الحدود؟**

هذا هو الهدف المنشود، إلا أنه لن يتحقق بين ليلة وضحاها. فعلى المسافرين أن يحملوا أوراقاً ثبوتية، كم سيتم تفتيشهم. الا أن البضائع ستعبر من دون تأخير.

**هل ستتهدد الوظائف والاعمال في بعض بلدن المجموعة الاوروبية بسبب رخص اليد العاملة في بلدان أخرى حيث المستوى المعيشي أدنى؟**

ما يهدد الوظائف هو اقتصاد راكد لا سوق حرة لليد العاملة. صحيح أن بعض القطاعات، خصوصاً تلك التي تعتمد على العقود العامة، ستشهد منافسة أكبر وسيتعين على كثيرين أن يغيروا أعمالهم. إلا أن كلفة اليد العاملة في البلدان الاوروبية الافقر لن تبقى رخيصة، إذ يتوقع أن ترتفع الأجور فيها بسرعة.

**هل ستتدنى المقاييس المهنية؟**

ما الذي يدعو الى ذلك؟ لم يشك أحد من تدني مستوى العناية الطبية بسبب دخول العنصر الاجنبي منذ السماح للاطباء والممرضات بممارسة مهنهم في أي مكان في بلدان المجموعة الاوروبية منذ منتصف السبعينات. لا، بل سترتفع المستويات في حقول كثيرة بعرض أصحاب المهن خدماتهم عبر الحدود الوطنية لمواجهة طلبات المستهلكين.

**هل سيمكن المرء أن يتقاعد في بلد آخر ويحصل على تعويض وعناية صحية؟**

على القيمة المضافة على مجموعة كبيرة من المواد الاساسية.

**أوروبا قوية.** الا أن العام ١٩٩٢ ليس سوى المرحلة الاولى في مغامرة ستستكمل في القرن المقبل. وتقضي الاولوية القصوى بإزالة العبثية القائمة بوجود سوق واحدة باثنتي عشرة عملة مختلفة. فمع أن الأيكو (وحدة النقد الاوروبية) غير متداول في شكل قطع نقدية وأوراق مصرفية، فانه يحتل المرتبة السادسة في العالم في أسواق السندات المالية (٥). ويمارس كثير من رجال الاقتصاد والسياسة ضغوطاً لتحقيق اتحاد نقدي تام وانشاء مصرف أوروبي مركزي. أما في ما يتعلق بالقضايا

أجل، يمكن تحويل التقاعد والخدمات الاجتماعية التي تحق للمواطن من بلده الى أي بلد آخر اذا أجرى المعاملات المطلوبة.

**هل يمكن المرء أن ينفق النقود التي في جيبه في أي مكان في أوروبا؟**
حتى الآن، كلا. اذ يتعين تحويل النقود الى عملة البلد المحلية ريثما تنزل قطع نقدية أوروبية موحدة. ولكن يمكن استعمال بطاقات الاعتماد والشيكات الاوروبية (Eurochecks) في كل مكان.

**هل يمكن الاوروبي شراء سيارة من خارج الحدود وقيادتها في بلده؟**
مبدئياً، يحق له ذلك. إلا ان هذه العملية لن تكون رابحة بالضرورة اذ يُتوقع أن تنتفي الفوارق الكبيرة في الاسعار بين البلدان.

**هل أرغمت شركات الطيران الوطنية أخيراً على المنافسة المباشرة؟ وهل ستتدنى تكاليف السفر؟**
أجل، ولكن ببطء. فالى الآن تطبق اجراءات المجموعة الاوروبية في الخطوط الثانوية على نحو خاص. وستنعم أوروبا تدريجاً رحلات جوية رخيصة نسبياً كتلك القائمة بين هولندا وبريطانيا.

**هل سيضطر الاوروبي الى تكلم لغات أجنبية؟**
يُستحسن، طبعاً، تكلم لغات أخرى، خصوصاً في مجال الأعمال. ويتوقع أن تشدد المدارس على تعليم لغات اضافية.

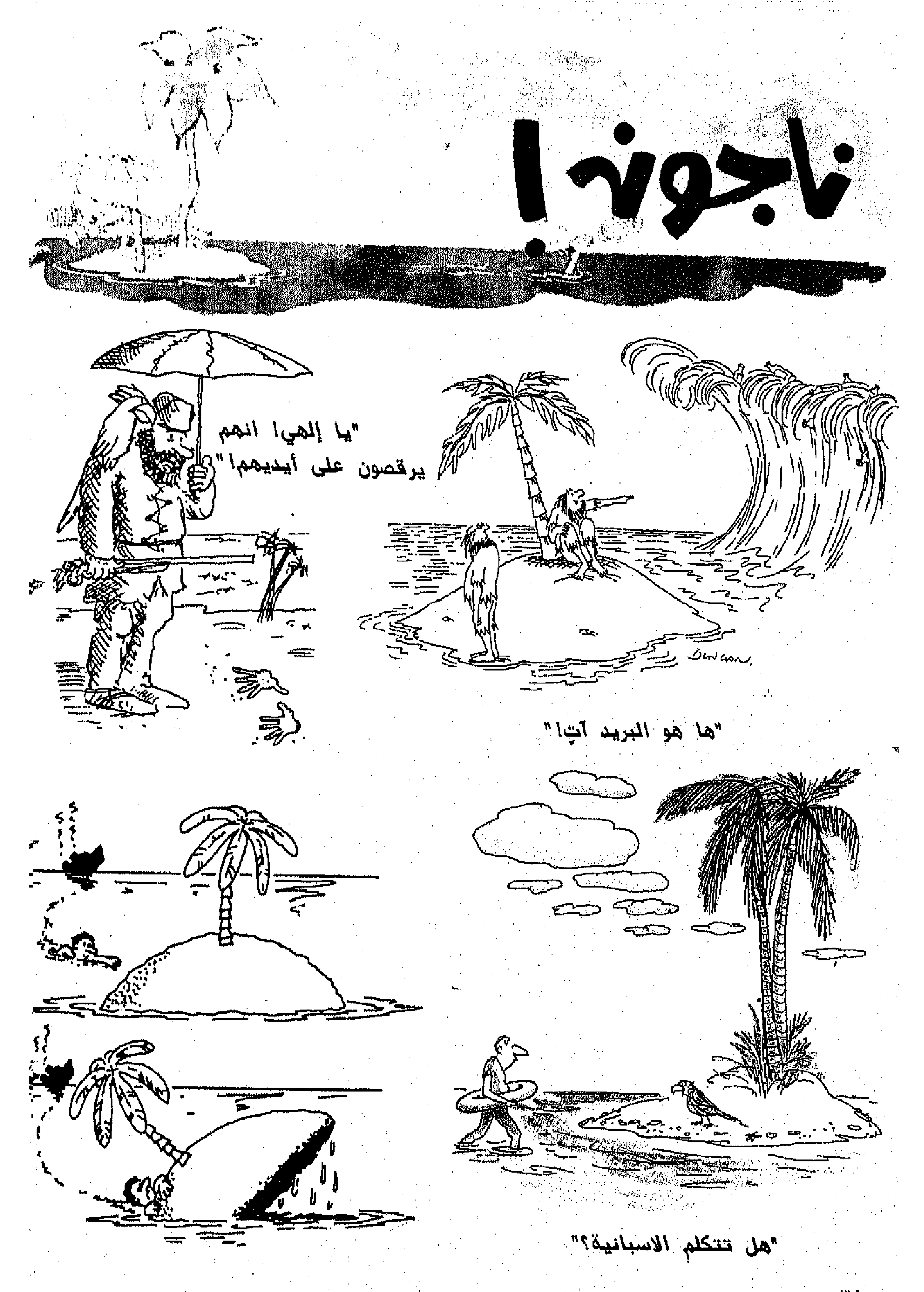
**هل ستفقد أوروبا تنوعها الرائع فيصبح لكل شيء طعم واحد وهيئة واحدة؟**
على العكس، فقد تتعزز ثروة أوروبا الحضارية والثقافية العميقة الجذور. وستعطى قيمة أكبر للفوارق الاقليمية. وستجد بعض الاختصاصات الوطنية، كالمأكولات، أسواقاً أكبر فتتعزز أكثر.

الملحة، فالجدل ما زال في بدايته.

وعلى الحكومات في هذه الاثناء أن تتنبه جيداً لكي لا تؤدي الكبرياء الوطنية والمصالح المكتسبة الى تعطيل حدث العام ١٩٩٢. والى الآن لم تنحرف الرغبة في تحقيق الهدف. فقوة التعاون الكامنة تولد حماسة تسري في أنحاء أوروبا. وقد وصف جاك ديلور رئيس اللجنة الاوروبية هذا الوضع: "ان السوق الكبيرة التي نعمل على انشائها تعني كل مواطن في أوروبا مباشرة. إنها فكرة ثورية، لكنها ستنجز لأنها ضرورية ولأنها تتضمن هدف تحقيق أوروبا قوية وموحدة."

**جون دايسون** ■

(٥) بعد الدولار الامريكي والفرنك السويسري والين الياباني والمارك الالماني والجنيه الاسترليني (أرقام منتصف ١٩٨٨).


ناجونا
"يا إلهي! انهم
يرقصون على أيديهم!"
DUNCAN
"ها هو البريد آتيا!"
"هل تتكلم الاسبانية؟"



# سفّاح الأرياف

"بصمات" وراثية اكتشفت في بريطانيا ساعدت القضاء في كشف جريمة مزدوجة

حسن الطالع أتى بالسيدة كات مان وابنتيها الى ناربورو، القرية الواقعة على مسافة ثمانية كيلومترات جنوب غرب لستر في الاراضي الوسطى ببريطانيا. فعندما علمت أن أخاها يخلي بيته المدعوم حكومياً غادرت المدينة المزدحمة لتستأجره وتسكنه مع ابنتيها سوزان (٦ سنوات) وليندا (٤ سنوات).

تنعطف الشوارع في ناربورو عشوائياً بلا نمط ظاهر لتربط بين البيوت القرميدية والحدائق المفضية اليها. وترعى الماشية خلف محطة القطار في المراعي الخضر على ضفتي نهر سور. انه ذلك النوع من المكان الذي يشكو الصبيان من "انه مضجر".

استقرت كات مان مع ابنتيها مدة ثماني سنوات في البيت الخالي من المياه الساخنة. ثم التقت ادي ايستوود، زوجها الثاني. وقبل زواجهما عام ١٩٨٠ انتقلت وابنتيها الى منزل في القطاع الاحدث من القرية.

بعد ثلاث سنوات أصبحت ليندا ابنة الخمسة عشر ربيعاً "مراهقة حقيقية،" على حد قول أمها، "تتبع الموضة في ثيابها وتصفيف شعرها وتهوى الموسيقى العصرية ومستحضرات التجميل." لا تتأخر في العودة الى البيت الا نادراً. واذا فعلت فلا يخشى عليها أهلها شراً لانهم كانوا يعلمون أين هي. "فنحن في قرية حيث كل واحد يعرف الجميع،" يقول ادي.

عشية ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣، وكان يوم اثنين قارس البرد، ذهب ادي وكات الى ناد اجتماعي قريب

لحضور مباراة في رمي السهام. وكانت ليندا خرجت في السابعة والدقيقة العاشرة مساء قاصدة قرية اندرباي المجاورة لتأتي بشريط مسجل من احدى الصديقات. كانت المسافة تستغرق نصف ساعة، لكنها لم تعد.

**بصمات وراثية.** أليك جفريز أستاذ علم الوراثة في جامعة لستر. وفي السبعينات، عندما توصل الباحثون الى رؤية جزيئات الحمض النووي «DNA» (★) التي تتحكم في الوراثة، أثارت جفريز فكرة استكشاف التمايز بين البشر. كان يرى، مع علماء آخرين، أن دراسة التغييرات الوراثية قد تكشف علامات للامراض الموروثة تقود الى تشخيص مبكر فعلاج. وكانت النظرية سليمة، لكن الحمض «DNA» لا يتضمن فروقاً واضحة بين شخص وآخر. يقول جفريز: "على الباحث أن يشقى ليكشف أي فرق مميز."

في العام ١٩٨٠ اكتشف باحثون أمريكيون "منطقة فائقة التغيُّر" في جزيئة «DNA» البشرية الطويلة تبدو فريدة بالنسبة الى كل فرد. فبدأ جفريز يبحث عن طريقة مضمونة لتحديد هوية هذه المناطق "الواشية". وفي مستهل العام ١٩٨٤ اكتشف تعاقبات كيميائية قصيرة كانت تظهر دائماً في هذه المناطق. ففكر: اذا استطعت تعليم هذه التعاقبات ورسم حدودها فاني اكون سلطت الاضواء على مناطق اختلاف جزيئات «DNA» بين شخص وآخر.

خلال الاشهر التالية استنبط جفريز وزملاؤه سِمات اشعاعية وتقنيات دقيقة لعرض تعاقبات جزيئات «DNA» على فيلم للاشعة السينية (اكس). واخيراً بات جاهزاً ليجرب تقنيته على دم أفراد غير أنسباء.

سحب جفريز الفيلم المظهَّر الاول في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤، ورفعه ليشاهد فيه أنماطاً متمايزة من تعليمات رمادية وسوداء مكدسة ضمن اعمدة ضيقة. وللحال عرف انه اكتشف للمرة الاولى في التاريخ "بصمات DNA."

يقول جفريز: "هذه نماذج متميزة بفرديتها العالية. نحو نصف التقليمات في نموذج كل شخص يأتي من الاب، والنصف الآخر من الام. فاذا مُدّت جنباً الى جنب أمكن تفسيرها بسهولة واستخدامها للتعرف الى هوية الشخص الذي أخذت منه."

وباستثناء التوائم المتماثلة لا يتقاسم أحد النموذج ذاته مع أي انسان في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. ولاحظ جفريز أن بصمات «DNA» يمكن الحصول عليها ليس فقط من الدم بل أيضاً من المني او بُصيلات الشعر أو الجلد أو أي نسيج آخر يحوي خلايا.

لقد غدا في استطاعة العلم أن يحل بواسطة بصمات «DNA» أبوة مختلفاً عليها... وربما جريمة قتل.

**جريمتان.** قلق ادي وكات ايستوود عندما عادا الى المنزل في الحادية عشرة ليلا ولم يجدا ليندا فيه. فلو كانت تمضي الليل عند صديقة لكان أهلها اتصلوا بهما في النادي ليطمئنوهما. خرج ادي في

(★) Deoxyribonucleic acid

الليل يطوف على منازل صديقات ليندا لعله يجد أحدها مضاء. وبحث في القنوات وعلى جوانب الطرق. وسار حتى بلاك باد، وهو مجاز ضيق مظلم يحوط مستشفى الامراض العقلية الواقع بين ناربورو واندرباي. وفي الاولى والنصف من صباح اليوم التالي اتصل برجال الشرطة.

بعد ست ساعات عُثر على جثة ليندا في غابة خلف بلاك باد، معتدى عليها ومخنوقة بوشاحها.

بدأ التحقيق في اشراف رئيس الشرطة المحلية في لسترشير ديفيد بايكر، يعاونه ٣٠ شرطياً وفريق من الكلاب المدربة. وسرعان ما توسع ليشمل اكثر من ١٠٠ شرطي أجروا تحقيقاً من منزل الى منزل في اندرباي وناربورو والقرية المجاورة ليتلثورب. وما انتهى يوليو (تموز) حتى كانوا دونوا ٥٠٠٠ إفادة من دون أن يظهر القاتل.

كان من المحتوم أن يسدل النسيان ستاره على قضية مصرع ليندا مان، وأن تخف التحقيقات الصحافية تباعاً على صفحات الجريدة المحلية "لستر مركوري".

ولكن بعد ثلاث سنوات، في ٣١ يوليو (تموز) ١٩٨٦، اختفت فتاة أخرى في الخامسة عشرة من عمرها.

انتقل روبن وبربارة آشوورث الى اندرباي لتأمين مدارس افضل لاولادهما. وروبن أشوورث كيميائي صناعي، وهو اشترى بيتاً قرب مرج للغولف. وعملت ابنته داون في وكالة أخبار محلية.

كانت داون فتاة مسؤولة مطيعة لابويها. وهما كانا صارمين لان قاتلا ما زال يرود في الجوار. فاذا أرادت ان تذهب الى ناربورو مساء رافقها والدها الى مفترق الطريق المؤدية اليها. واذا لم تعد الى البيت قبل التاسعة كان يذهب لارجاعها.

اختفت داون في وضح النهار. ففي الرابعة الا ربعاً بعد ظهر يوم خميس تركت عملها وسارت الى ناربورو لزيارة بعض الصديقات. وإذ لم تجدهن في البيت عادت سيراً عبر مجاز تن باوند لاين، وهو طريق رجل مختصرة ضيقة يحوطها العليق. ووجد شرطي جثتها بعد يومين في حقل قرب المجاز.

أعلن بايكر أن الشرطة وجدت عدة تشابهات بين جريمتي قتل داون آشوورث وليندا مان. فكلتاهما اغتصبتا وخنقتا في مجاز منعزل. والاثنتان تعلمتا في مدرسة واحدة وكانتا في ربيعهما الخامس عشر عندما قتلتا. بل انهما كانتا تتشابهان في جمالهما وأناقتهما.

كلف بايكر التحري أنطوني باينتر اجراء التحقيق. فأوقف هذا بعد ستة أيام شاباً ابن ١٧ عاماً مقيماً في ناربورو ويعمل حمالا في مستشفى الامراض العقلية. وفي ٩ أغسطس (آب) ١٩٨٦ اتهم الشاب بقتل داون آشوورث. وأعلنت الشرطة أن المتهم اعترف بفعلته.

**تحقيق جديد.** حاز اليك جفريز بعض الشهرة بعدما نشرت مجلة "نايتشور" (الطبيعة) بحثه عن بصمات «DNA». يقول: "بدأ الهاتف يرن للحال، وكان على الطرف الآخر محام يعالج قضية هجرة شديدة الدقة."

كان موظفو مطار "هيثرو" بلندن أوقفوا فتى من غانا ادعى أنه ولد في بريطانيا ثم تبع أباه عائداً الى افريقيا. وها هو الآن يرغب في الالتحاق بأمه في بريطانيا. فاشتبه موظفو الهجرة في أن الفتى الذي يحاول دخول البلاد ليس هو الصبي الذي غادرها من قبل. فحلل جفريز بصمات الـ«DNA» عند الفتى والام وابنها وبنتيها الآخرين، وبيَّن أن الفتى كان جزءاً من العائلة. وقبلت احدى محاكم الهجرة شهادته وسمحت للفتى بالبقاء في بريطانيا.

بعد ذلك طلب رئيس الشرطة بايكر من جفريز أن يساعده. كان متلهفاً لتحديد ما اذا كان المتهم بقتل داون آشوورث هو نفسه قاتل ليندا مان.

سلم بايكر جفريز لطخاً من المني وجدت على الضحيتين، وكانت تحوي كميات ضئيلة جداً من «DNA» ، كذلك عينات من دم المشتبه فيه.

يقول جفريز: "أثبت التحليل أن عينات المني المأخوذة عن الضحيتين هي لرجل واحد، لكنها ليست قطعاً للرجل المتهم."

بعدما أكد علماء حكوميون النتائج أُطلق المتهم.

اعاد أنطوني باينتر فتح التحقيق. وقدّم واهبون مجهولون جائزة ٢٠ ألف جنيه استرليني (٣٤ الف دولار) في مقابل معلومات تقود الى توقيف القاتل. وعُلِّقت لافتـــات في القـــرى تحض المقيمين على إرسال أي معلومة جديدة الى الشرطة. وطبعت جريدة "لستر مركوري" ملحقاً من أربع صفحات "خاصاً بالجريمة" وُزِّع على كل بيت في المنطقة. ومع ذلك لم تؤدِّ التحريات الى نتيجة.

وإذ ووجهت مديرية الشرطة بهذه الظروف المحرجة أعدّت خطة لا سوابق لها في تاريخ العلم القضائي.

اعتقد باينتر أن القاتل لا بد من أن يكون مواطناً محلياً بين الثالثة عشرة والثلاثين من العمر، وإن لم يرد الافصاح عن اسباب اعتقاده. وكان أكثر من ٤٠٠٠ ذكر في هذه الاعمار يعيشون أو يعملون في القرى الثلاث وقت وقوع الجريمتين. فعمدت الشرطة الى وسيلة ثورية لاستبعاد المشبوهين غير المحتملين: اخذت دماً ولعاباً من كل ذكر شاب ذي صلة بالقرى.

هكذا استطاعت الشرطة استبعاد ٩٠ في المئة من الرجال باجراء فحوصات للدم واللعاب. ولم يبقَ الا أخذ بصمات «DNA» لدى الباقين وتحليلها في المختبرات الحكومية، ومقابلة النتائج مع "بصمات" القاتل.

ينص القانون البريطاني على ترك الحرية للناس لتقديم عينات من سوائل أجسامهم طوعاً لا قسراً. فاذا رفض الفتيان والشبان التعاون فلا تستطيع الشرطة اجبارهم. وهذا الواقع لم يوهن عزم باينتر الذي قرر المضي في مشروعه.

في ٥ يناير ١٩٨٧ استخرج اطباء الشرطة أولى عينات الدم واللعاب. لم يتوسل احد ايقاف العملية، ولم يطلق أحد حملة احتجاج على سوء استغلال الشرطة لصلاحياتها. وتدافع ألوف الشبان الى المراكز المخصصة لاخذ العينات.

في مستهل سبتمبر (ايلول) حصل باينتر على ٥٥٠٠ عينة، وما من قاتل. وكلف التحقيق شرطة لستر نحو نصف مليون جنيه استرليني (٨٥٠ ألف دولار) ولم يبق خارج التحقيق الا ٢٥٠ رجلا كانوا غادروا المنطقة للسكن في مكان آخر.

[illegible] رن جرس الهاتف في منزل ايستوود صباح الاحد ٢٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧. وسمعت كات ايستوود أنطوني باينتر يعرّف عن نفسه.

تقول: "سألنا كيف حالنا، ثم قال انه يحمل لنا بعض الاخبار الطيبة. لقد أوقفوا رجلا ويعتقدون أنه القاتل. ترنحت وكدت اسقط."

كانت الشرطة أوقفت كولن بيتشفورك، وهو فران من ليتلثورب عمره ٢٧ سنة. لقد علق الشاب بما دعاه مفتش في الشرطة "خدعة بوليسية قديمة" وليس بمطابقة بصماته الحمضية. وأضاف المفتش: "سمعنا بعض الاشاعات، فاستقصينا مزيداً من المعلومات وعالجناها وبنينا عليها اتهامنا."

ادعى بيتشفورك أنه مشغول عندما سئل للمرة الاولى أن يعطي دماً. ثم أقنع زميلا له في العمل أن يجري الفحص نيابة عنه. فتقدم هذا من مركز الفحص زاعماً أنه يحمل عينة من دم بيتشفورك، وبهذه الطريقة بيّض سجله. لكن الرجل همس بقصة الخدعة في أذن عامل آخر في الفرن. وأخبر هذا آخرين، بينهم امرأة شابة أوصلت المعلومة الى الشرطة. فحقق رجال الامن مع الرجل المخادع ثم قبضوا على بيتشفورك في منزله في ليتلثورب حيث يعيش مع زوجته وولدين.

اخذت الشرطة دماً ولعاباً من بيتشفورك وأرسلتهما للتحليل طالبة أيضاً بصمات «DNA» . وتطابقت هذه تماماً مع "بصمات" القاتل. وفي ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ حُكم على بيتشفورك بالسجن المؤبد لقتله ليندا مان وداون آشوورث.

على رغم القبض على القاتل لم تعد الحياة هانئة بالنسبة الى سكان ناربورو واندرباي وليتلثورب. يقول دوغلاس مين من قرية ناربورو: "نحن الآن نقفل أبوابنا." وأنير مجاز بلاك باد، واستؤصل العليق من مجاز تن باوند لاين. ويبدو هذان المجازان الضيقان في نظر الزائر دربين انكليزيين لطيفين وسط الحقول الخضر. أما في القرى فتغلب رؤية أخرى عبّرت عنها امرأة من ليتلثورب: "ألا تعتقدون أنهما مخيفان؟"

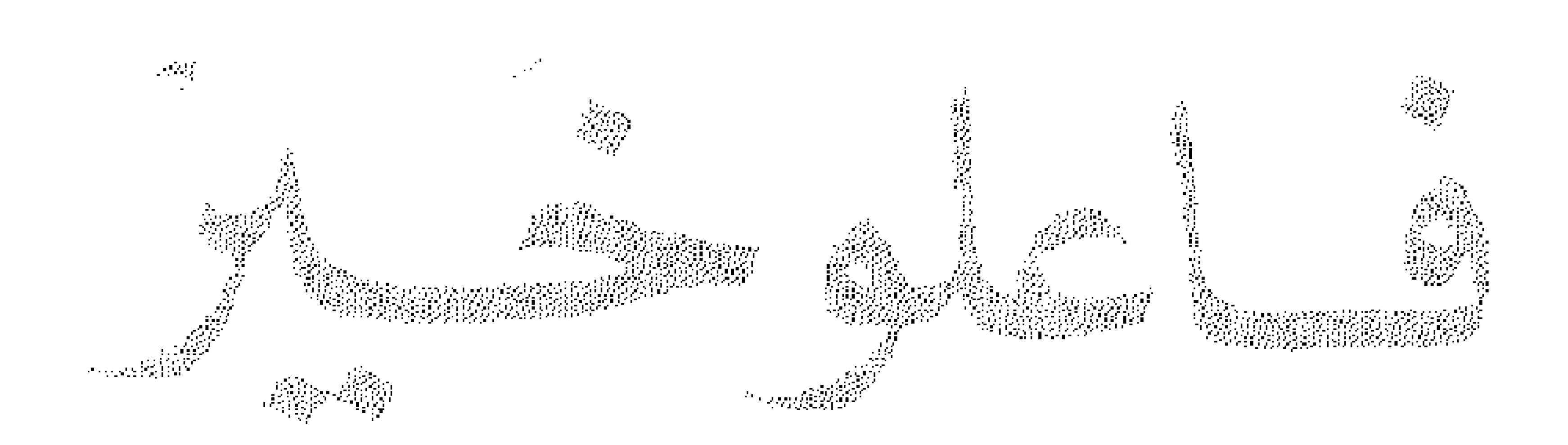
**أنطوني شميتز** ■

## ضمان ابدي!

أعدت مع زوجتي تنظيم محفوظاتنا العائلية. وعندما لاحظت أن وثيقة زواجنا غير مدرجة في الملف المعنون "أوراق مهمة" سألتها أين احتفظت به. فنمت عنها ابتسامة ماكرة وناولتني ملفا بعنوان "ضمانات."

و. م.

في كل بلدة ومدينة اشخاص يعطون المثل
في الشجاعة ورقة الاحساس وحسن السلوك. وهنا قصص لاربعة منهم




## حامي البيئة

يأمل ايرل زيلا الدريدج بتحويل احد اكثر المدن تلوثا في امريكا، جنة عدن. انه فارع الطول (١٨٣ سنتيمترآ). يزن ١٣٦ كيلوغراماً. يجوب انحاء مدينة جيرزي بولاية نيوجيرزي وهو يعتمر قبعة كبيرة وينتعل حذاء رعاة البقر، مطارداً الخارجين على قوانين حماية البيئة.

ساعد على ادانة ما يقرب من ٤٠٠ ممن يلقون القمامة في غير الاماكن المخصصة لها، مما اشاع في المدينة جواً من النظافة جنبها اسوأ كارثة نفايات كانت تهددها.

نشأ الدريدج في بورت نكس بولاية تكساس. وبعد ان اتم الخدمة في فيتنام انتقل الى نيوجيرزي. وفي العام ١٩٨٠، وكان احترف مهنة صناعة الاقفال، توجه الى عمدة مدينة جيرزي توماس ف. اكس. سميث وطلب تعيينه مفتشاً فخرياً للبيئة وهو منصب لا يعني اكثر من حصول صاحبه على شارة وظهور صورته في الجريدة.

وقد تمكن الدريدج، في اقل من سنتين، من ان ينهي وضع اكثر من تسعين مكباً غير شرعي للنفايات، علاوة على مساعدته مجلس المدينة في التوصل الى اتفاق خاص بالنظافة مع غالبية اصحاب الاملاك.

وذات مرة كانت احدى المحاكم تنظر في دعوى تتعلق بالبيئة، فظهر ايرل ومعه ٤٠٠ صورة تظهر الاماكن التي خرق فيها القانون مؤيدة بتقرير من ٧٠٠ صفحة مدون بخط يده، مما اذهل المدعى عليه فوافق فوراً على تسوية.

ونال بصدقه وتفانيه ثقة المسؤولين في المدينة فاسندوا اليه وظيفة بأجر متفرغ لادارة برنامج لمكافحة خطر التلوث.

ويقول عنه جيم ستيبلز المتحدث باسم "مصلحة حماية البيئة" في نيوجرزي: "انا لا اعرف شخصا مثل ايرل، في سعة اطلاعه وتفانيه في القيام بواجبه. انه المواطن الذي اذا رأى الخطأ يندفع ويعمل اي شيء لتصحيحه."

ونقل عن ايرل: "المهم ان نحدد المشاكل ونجد حلاً لها قبل ان تلحق الضرر بالصغار. ومن اجل هذه الغاية اخترت هذا العمل."

جون درفلاني

في "كريستشان سايِنس مونيتور"

## المنقذ

في احدى ليالي شهر فبراير (شباط) الماضي، كان دون دوفي (١٧ عاماً) يقود سيارته في الطريق الملتوية المؤدية الى منزل والديه الذي يبعد ٣٠ كيلومترا جنوب غرب زتفر، فرأى شعاع ضوء غريباً ينعكس على الاشجار. وهو يتذكر ما حدث: "كنت متأكدا انه ليس ضوء القمر فأنا اقود سيارتي على هذه الطريق باستمرار وألاحظ اي شيء غير مألوف فيها حتى وان يكن بسيطاً."

اوقف دوفي سيارته وخرج مستطلعاً. ولاحظ ان في اسفل الوادي الضيق حطام سيارة ما زالت مصابيحها الامامية مشتعلة.

وكان الحادث حصل قبل نصف ساعة عندما انحرف توم ديز (٤٤ عاماً) بسيارته عن حافة الطريق الذي ليس على جانبها اي حاجز واق، فانقلبت رأساً على عقب واستقرت على ظهرها على عمق ٦٠ مترا.

اسرع دوفي في طلب النجدة ثم عاد وهبط المنحدر حتى وصل الى السائق فوجده مصاباً.

كان الثلج يغطي الهوة ودرجة البرودة تحت الصفر. وبعد جهد شاق تمكن دوفي من تسلق المنحدر ومعه السائق الجريح. ولما بلغ الطريق خلع سترته وقميصه، واحضر بطانيات من سيارته ولف بها الرجل المصاب الذي كان على وشك التجمد من شدة البرد.

قال ديز لاحقاً: "كنت اعاني آلام الجروح الداخلية وعرفت اني سأموت. انا مدين لدوفي بحياتي."

ان مآثر انقاذ ارواح الآخرين اصبحت عملا مألوفاً بالنسبة الى دون دوفي الذي هو الاكبر بين اخوته السبعة.

ففي السن الثانية عشرة انقذ من الغرق أخاه الذي كان في العاشرة. وقبل

سنتين تناولت اخته وكان عمرها آنذاك ثلاث سنوات سماً للفئران، فما كان منه الا ان نظف فمها وجعلها تشرب حليباً مغلفاً لمعدتها ريثما تتلقى الاسعافات الطبية اللازمة.

يقول والده: "لقد حاولنا تعليم الاولاد المناقب الحسنة، ويظهر اننا قطفنا الثمار."

**ريبيكا جونز**

في "روكي ماونتين نيوز"

## اللمسة الشافية

اعتادت ماري اومالي (٧ سنوات) الذهاب بعد دوامها المدرسي الى "مستشفى العناية والنقاهة" في ضواحي مدينة اتاسكاديرو بكاليفورنيا، مرة كل اسبوعين، لزيارة المسنات اللواتي كانت اعمارهن تراوح بين ٦٤ سنة و١٠٣ سنوات.

والملفت للنظر ان هذه الصغيرة جعلت من واجباتها، اثناء الزيارة، فرك جسم المريضات بعطر منعش. واحياناً كانت تحضر معها باقة من الورد او قطة صغيرة تقدمها هدية الى احداهن، فتتسلى بملامستها ومداعبتها مما كان يخلق جواً من المرح والبهجة بين من كانت تعتبرهن بمثابة جدات لها.

قالت ماري، ان فكرة تطوعها لهذا العمل كانت وليدة رغبتها هي "فعندما كنت في الخامسة تعودت ان اذهب الى دار الراحة لزيارة جدتي. وكنت اشاهد عدداً كبيراً من الكبار وهم يقومون بأعمال المساعدة. واقول الحق، اني كنت مضطربة في البداية ولكني لم اعد كذلك الآن. وما احبه في عملي هو التحدث الى المريضات والتعرف اليهن. واظن انهن يحببن ذلك."

**شيرلي هارليس غراف**

في "ومنز وورلد"

## فكرة لامعة

قال جان ليدوكس التقني المدني والرقيب في "الحرس الوطني" بفيرمونت، انه بينما كان يشاهد



Photo: © Wayne Nicholls / The County Telegram — Tribune

المهندسين يركبون مصابيح لأشعة ما دون الحمراء على الطوافات في قاعدة بيرلتجتون، لاحظ ان الشخص الذي يقف على الطائرة لفحص سلامة المصابيح بواسطة نظارات خاصة يبلغ ثمنها ٤٥٠٠ دولار، غالباً ما يفقد توازنه ويقع الأمر الذي قد يؤدي إما الى مقتله واما، على الاقل، الى تحطيم ما يوازي آلاف الدولارات من المعدات.

وقد لمعت في ذهنه فكرة ذهب على اثرها الى مخزن للالكترونيات واشترى اغراضاً عدة من اجل صنع جهاز يدوي لتفحص الاشعة ما دون الحمراء في المصابيح.

وبعد محاولات عدة استغرقت يومين خرج ليدوكس بجهاز يدوي يمكن من فحص الاشعة مادون الحمراء بشكل سليم ولم تتعد تكاليف صنع الجهاز ٨،٧٠ دولارات.

استعمل الجهاز فوراً في القاعدة التي يعمل فيها ليدوكس، ثم اتصل بالجيش الذي تردد مشككا في صلاحية الجهاز. فالحقه برسم بياني. ولما استمر التردد ارسل الجهاز الى من يعنيهم الامر، فكانت النتيجة ان اتصلوا به مهنئين.

وقد اثار الجهاز اهتمام المعنيين في الجيش، خصوصاً عندما تبين انه سوف يوفر سنوياً ٩٨٧ الف ساعة عملا وما يقرب من ٦،٣ ملايين دولار.

"أسوشييتد برس"

## اقصر الطرق الى الشهرة

في نهاية المسرحية وقفت في الكواليس فتاتان مستأجرتان للتمثيل في مشهد جماعي، ودار بينهما الحوار الآتي:

"ماذا دهى الممثلة الاولى في المسرحية؟ فهي تبدو حقاً مغتاظة من شيء ما.

– آه، انها مضطربة لانها لم تتسلم الا تسع باقات زهور فوق مقدّم الخشبة المضاء.

"يا للعجب! تسع باقات شيء عظيم حقاً. ألا ترضيها؟

– وكيف ترضى ما دامت اوصت على عشر باقات ودفعت ثمنها؟!"

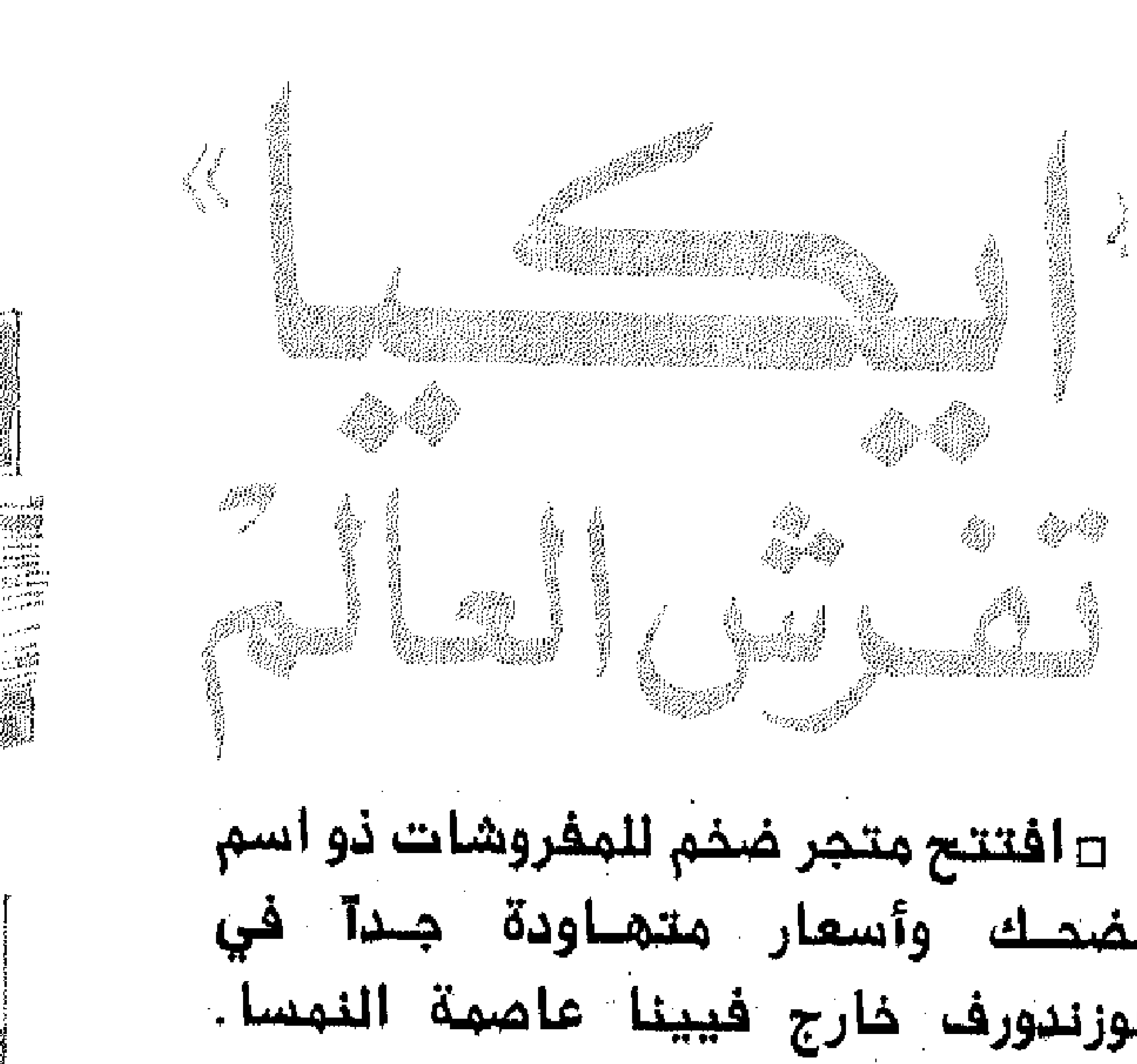
س.و.

---

## الرجال برؤوسهم

يُروى عن لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا بين عامي ١٩١٦ و١٩٢٢، ان امرأة دنت منه بعد انتهائه من إلقاء خطبة وعاجلته بالقول: "قبل ان اراك كنت اظن ان قامتك مديدة اكثر." فاجابها بسرعة خاطر: "يا سيدتي، في مسقط رأسي وايلز يقيسون الرجل من عنقه فما فوق وليس من عنقه فما تحت."

س.ج.هـ.



# «إيكيا» تفرش العالم

□ افتتح متجر ضخم للمفروشات ذو اسم مضحك وأسعار متهاودة جداً في فوزندورف خارج فيينا عاصمة النمسا. ووجهت الى العموم دعوة غريبة: سيسمح لأول خمسين زبوناً بتمضية ليلتهم في المحل، ولدى انصرافهم في اليوم التالي بعد تناول طعام الفطور يأخذ كل منهم السرير الذي نام فيه.

□ افتتحت الشركة نفسها فرعاً جديداً في ايفري خارج باريس. وعندما وصل الزبائن يوم الافتتاح استقبلهم لاعب كرة المضرب الشهير بيورن بورغ مقدماً اليهما قطع حلوى قصها ببراعة من قالب ضخم من خمس طبقات.

منذ نشأتها المتواضعة في أسوج نمت هذه الشركة لتصبح أكبر مجموعة لمتاجر المفروشات في العالم

Photo: Courtesy of IKEA.

□ أسف زبائن فرع أمستردام في هولندا عندما علموا بعزم المتجر على الانتقال الى احدى ضواحي المدينة. لكن خيبتهم تبددت عندما قدمت الى كل منهم فردة يسرى من قبقاب خشبي، على أن يتسلموا الفردة اليمنى في المتجر الجديد.

أهلا بكم في عالم "إيكيا" الباهر الغريب.

خلال ٣٥ سنة فقط "أحدثت هذه الشركة الاسوجية ثورة في عالم المفروشات، وجعلت الاثاث الحديث الجذّاب في متناول ملايين الناس." هكذا قالت ايفون برونهامر أمينة متحف الفن الزخرفي في باريس. ولقد نمت شركة "ايكيا" من مؤسسة تجارية في بقعة نائية في أسوج (السويد) يعمل فيها خمسة أشخاص وتتلقى الطلبات بالبريد وتلبيها بواسطته، الى كبرى مجموعات متاجر المفروشات في العالم. ولديها اليوم ٧٩ فرعاً موزعة في ٢٠ بلداً. وبلغت قيمة مبيعاتها الاجمالية في العام ١٩٨٧ نحو ١٤،٥ مليار كراون أسوجي (نحو ٢،٣ مليار دولار) أي ستة أضعاف مبيعات "هابيتات" أقرب منافسيها.

**أسعار تناسب الجميع.** تقوم فلسفة "ايكيا" كما شرحها مؤسسها إنغفار كامبراد على إنتاج مفروشات أنيقة بسيطة بأدنى الاسعار. والواقع ان معظم فروع المؤسسة قائمة خارج المدن حيث العقارات أرخص. أما الأثاث فيصمّمه موظفو "ايكيا" في أسوج على نحو يسمح بتفكيكه وتوضيبه داخل صناديق مسطحة من الكرتون بغية خفض كلفة الخزن والشحن.

ومن باب خفض الكلفة أيضاً تعهد الشركة في صنع منتجاتها الى معامل في أنحاء العالم، على أن يتم التنفيذ في إشراف عملاء يقظين تعينهم الشركة. وعند الإنتهاء تشحن المفروشات مباشرة الى المتاجر أو الى واحد من عشرة مستودعات اقليمية في المانيا الغربية وأسوج وسويسرا وكندا والولايات المتحدة. وأهم من ذلك أن ايكيا تطلب من زبائنها أن يختاروا القطع بأنفسهم وينقلوها ويجمعوها. ويقول كامبراد: "إننا نكيّف كل شيء بحيث يتلاءم والسعر. فلا يكفي أن تراود المرء فكرة ما، بل يجب أن يرافقها سعر مناسب." وتكلّف منتجات "ايكيا" ٣٠ في المئة أقل مما تكلّفه مثيلاتها في الجودة والنوعية.

زوروا أحد متاجر "ايكيا" كما يفعل ٦٠ مليون زبون كل سنة، بمن فيهم ملك أسوج وملكتها، وستجد تجربة غير عادية في انتظارك.

في فرع الشركة في تيرنات خارج بروكسيل عاصمة بلجيكا رأيت متسوقين من جميع الفئات: أمهات مع أطفالهن وتلاميذ وعمالا واداريين وشيوخاً متقاعدين. وتقول كريستينا كليمنغ وهي ربة منزل وزبونة مخلصة للمتجر: "قبل عشر سنين كان معظم الزبائن عرساناً جدداً. أما اليوم فإن المتجر يجذب الجميع، وأسعاره تناسب كل الموازنات."

**"مساء الخير!"** داخل المتجر يضع الاهل أطفالهم في عربات حمراء أو

يتركونهم في "غرفة الكرات"، وهي صندوق عملاق يحتوي على كرات ملونة من المطاط. أما الاولاد الاكبر سناً ففي وسعهم أن يلهوا في غرفة تتضمن نشاطات مختلفة، فيتسلون بالكتب أو بالادمغة الالكترونية أو بأدوات الرسم والتصوير.

يتناول الزبون فهرساً سميكاً يعدد اثني عشر ألف سلعة في المتجر، ويتجوّل في القاعات المختلفة لانتقاء حاجته. وجميع السلع المعروضة في المحل هي للبيع، من الكراسي القابلة للطي والتي تباع بتسعة دولارات، الى خزائن الكتب التي تبدأ أسعارها بـ٤٥ دولاراً، الى مطبخ كامل يبلغ سعره ٢١٣٢ دولاراً.

ويقدّم مستشارون في المتجر نصائح وارشادات حول الشكل وطريقة التجميع. وبعد أن يختار الزبون ما يروقه من السلع المعروضة على الرفوف في المستودع، يدفع ثمنها عند الباب قبل أن يغادر المتجر. وعندما يصل الى منزله يجمع القطع بنفسه مستعيناً بمفتاح ربط خاص من صنع "ايكيا".

انغفار كامبراد هو الرجل الذي كرس خياله وعمله الدؤوب لبناء امبراطورية "ايكيا". وهو رجل قوي البنية مربوع القامة ممتلىء الجسم هادىء الطبع يناديه جميع من في الشركة "إنغفار". ومع أنه الآن صاحب ملايين فان اقتصاده في الانفاق شبه اسطوري. فهو يأكل في مطعم الشركة، ويسافر في مقصورات الدرجة السياحية، وينزل في فنادق الدرجة الثانية، ويحض موظفيه على أن يحذوا حذوه. وهو يعترف بأنه مدمن عمل. وكان الى وقت قصير يعمل ١٦ ساعة في اليوم، بدءاً من السادسة صباحاً. ويذكر أحد العاملين معه أنه حين كان يصل الى الشركة في السابعة صباحاً كان إنغفار ينظر اليه ويقول: "مساء الخير!"

**قفير ناشط.** ألمهولت هي قلب الامبراطورية النابض. وهذه بلدة صغيرة جنوب غرب استوكهولم عاصمة أسوج. وللشركة هناك مبنيان ضخمان للمكاتب ومستودع وبيت للضيوف ومطعم. وعلى بعد كيلومترين واحد من المستودعات الاقليمية تفد اليه كل يوم مئات الشاحنات والمستوعبات آتية من مصانع موزّعة في أنحاء العالم، محمّلة رفوفاً من صنع بولونيا وسطوح طاولات من انتاج الاتحاد السوفييتي وسلالا حيكت في الصين وزجاجاً نُفخ في البرتغال. وبعد تفريغها يُعاد توضيب السلع وفق الطلبات المسجّلة في الدماغ الالكتروني، ثم تُشحن مجدداً في شاحنات أو قطارات الى فروع إيكيا في أنحاء أوروبا. ويقول مدير التوزيع غوتيه غابريلسون: "علينا أن نتخلّص من السلع حال وصولها الينا. ففي كل يوم تنفّذ عملية توازن ضخمة."

نات هاغبرغ أحد المصممين الإثني عشر المتفرغين للعمل في الشركة في ألمهولت. وهو قال مشيراً الى رسم تخطيطي ثلاثي الابعاد لكرسي كبير: "المهمة الأصعب هي تصوّر نماذج قابلة للتفكيك وسهلة التجميع." والرسم الذي أشار اليه يوضح تفاصيل القياسات الدقيقة للاجزاء الثمانية التي يتألف منها الكرسي، ويظهر المفاصل ونوع

البراغي والمواد الصالحة: خشب أو كروم لقوائم الكرسي وذراعيها؟ روطان أو لك أو بلاستيك للمقعد؟ وبعد اعداد الرسم يتولى حرفيون محليون صنع نموذج للكرسي.

للتحقق من متانة السلع وقوّة تحمّلها تُخضع عيّنات منها لسلسلة من الاختبارات في إشراف بو وادلنغ، رئيس مختبر التجارب. تعرَّض الكراسي، مثلاً، للطمات متكررة، ربما بلغت ٦٠ ألف لطمة، من جسم يزن ٧٠ كيلوغراماً. وتثقّل أدراج الطاولات بأوزان وتنزلق داخلا وخارجاً مرات لا تحصى. ويعبأ القماش في غسالات كهربائية ويغسل لاختبار ثبات ألوانه وقابليته للانكماش. وتطفأ سجائر مشتعلة في فرش الاسرّة لاختبار مقاومتها للاحتراق. وبعد التحقق من أن السلعة هي في المستوى المطلوب، تشحن الى أحد المصانع الخارجية لانتاجها على نطاق واسع.

وتفخر الشركة بكونها مختلفة. فكل من فيها، من أعلى الهرم الى أسفله، يتنادون بأسمائهم الاولى. وليست في الشركة مكاتب أو سيارات فاخرة أو غرف طعام خاصة. وفيها عدد ضئيل من السكرتيرات. وهي تعتمد سياسة "الباب المشرع" مع العمّال والزبائن. ويقول يان كجلمان مدير فروع الشركة في بلجيكا وهولندا: "هذه طريقة تتيح لنا معرفة أخطائنا وتصحيحها."

ويتعيّن على كل مدير تنفيذي في "ايكيا" أن يعمل بضعة أيام كل سنة في صالة للعرض أو في مستودع. وكحافز للموظفين، تعلّق أرقام البيع المحلّي في المتاجر مع الاهداف التي يسعى كل قسم الى تحقيقها. وتقيم الفروع بضع حفلات عشاء كل سنة لموظفيها. وفي عيد الميلاد يقيم كامبراد حفلة غداء يدعو اليها الموظفين الـ١٤٠٠ في المركز الرئيسي ويوزّع هدايا على الجميع. وفي العام ١٩٨٨ كانت الهدايا الموزّعة سترات رياضية. وهو وزّع في أعوام أخرى دراجات وآلات تصوير وأدوات تزلّج. ويقول كامبراد بحزم: "موظفونا هم مصدر قوتنا. وعلى الناس ألا يعملوا بعقولهم فقط، بل بقلوبهم أيضاً."

**فكرة رائدة.** ولد إنغفار كامبراد عام ١٩٢٦ في مزرعة صغيرة تملكها عائلته في جنوب أسوج. واسم "ايكيا" (IKEA) المميز يتألف من الحروف الاولى لاسمه واسمي القرية (Elmtaryd) والمزرعة (Agunnaryd) حيث نشأ وترعرع. منذ البدء كان حب التجارة يسري في دمه. وقبل أن يلتحق بالمدرسة الثانوية كان يجوب الريف على درّاجته فيبيع سمكاً اصطاده وبذوراً اشتراها بالجملة. ويتذكر ابن خاله إنغا برت بايلي وهو موظف في الشركة: "كان إنغفار إذا حصل على عشرة قروش لا يلبث أن يضاعفها الى عشرين."

في العام ١٩٤٣ أنشأ كامبراد شركة تجارية تتلقى الطلبات وتلبيها بواسطة البريد، يعمل فيها خمسة أشخاص مهمتهم تسويق أثاث من صنع محلّي. وهو لم يتخلّ عن شركته تلك عندما انخرط في الجندية ولا عندما درس الاقتصاد في غوتنبرغ ولا عندما عمل في شركة لتجارة الأخشاب. وفي العام ١٩٤٩ أصدر أول

"كاتالوغ" له وهو كتيّب من ١٥ صفحة يتضمن سلعاً مختلفة من مفروشات وجوارب نايلون ومصنوعات جلدية وأدوات زينة. وكان من أوائل التجار في أسوج الذين أضافوا كفالة يتعهدون بموجبها رد ثمن السلعة اذا لم تعجب الزبون.

في العام ١٩٥٣ انتقل كامبراد الى ألمهولت التي تبعد ٤٠ كيلومتراً جنوباً، وهي ذات موقع استراتيجي على خط السكة الحديد مالمو - استوكهولم. وحوّل دكانين قديمين للتجارة مكتباً وصالة عرض. ويتذكر كامبراد تلك الفترة: "لم أجد سبباً يجعل المفروشات الجميلة أغلى ثمناً من المفروشات القبيحة." وفي بحثه عن طرق لخفض كلفة الإنتاج، اكتشف مصادفة مبدأ المفروشات القابلة للتفكيك. ولم يكن أحد سبقه الى ذلك.

خشي تجّار المفروشات الاسوجيون الذين يبيعون بالتجزئة (القطاعي) أن يهدد ازدهار "ايكيا" مستقبلهم. فاتخذوا قراراً في أواخر الخمسينات يقضي بمقاطعة مصانع المفروشات للشركة. والتزمت مصانع كثيرة هذا القرار، مما دفع كامبراد الى التطلع خارجاً. فتعاقد مع شركة بولونية لتصنع له الكراسي الخشبية. لكن التجار ما لبثوا أن أنهوا مقاطعتهم بعدما أدركوا أن التعامل معه ربما كان مفيداً وفي مصلحتهم. ومع ذلك لم تنقطع صلاته بالخارج، بل ازدادت.

**مصلح اجتماعي.** تمتد امبراطورية "ايكيا" اليوم من فنلندا الى هونغ كونغ ومن أوستراليا الى الولايات المتحدة، وشهد خريف ١٩٨٧ افتتاح ثلاثة فروع جديدة، وينتظر تدشين أربعة أخرى في أوروبا والولايات المتحدة قبل صيف ١٩٨٩. ويزمع كامبراد افتتاح فرع في بودابست عاصمة هنغاريا عام ١٩٩٠. وتجرى محادثات في شأن افتتاح فروع للشركة في الاتحاد السوفييتي وبولونيا وبلدان أخرى في أوروبا الشرقية.

خلال السنين العشر الاخيرة استقر كامبراد وزوجته مارغريتا في لوزان بسويسرا. ويستعد أبناؤهما الثلاثة بيتر (٢٣ سنة) ويوناس (٢١ سنة) وماتياس (١٨ سنة) للانضمام الى الشركة التي ما زالت ملكاً حصرياً للعائلة.

وفي العام ١٩٨٥ سلّم كامبراد أندرس موبرغ (٣٥ سنة) ادارة المتاجر لينصرف هو الى استقطاب عروض جديدة. وكان موبرغ في حداثته يعمل في الشركة أيام العطل المدرسية، واليوم بات هو رئيس الشركة.

كانت "ايكيا" في العام ١٩٧٩ أول شركة غير ألمانية تفوز بجائزة التسويق في ألمانيا الغربية. وفي العام ١٩٨١ مُنح كامبراد جائزة "غرفة التجارة الدولية" تنويهاً بمقدرته الفريدة في المقاولة. وفي الكلمة التي ألقيت للمناسبة، أشادت به لجنة التحكيم المؤلفة من ١٥ رجل أعمال دوليين كباراً واعتبرته "مصلحاً اجتماعياً" لاتاحته الفرصة لملايين الناس كي يشتروا المفروشات الجميلة.

ويبتسم كامبراد لهذا الاطراء ويرد "ولكن ما زال أمامنا عمل كثير."

**ديبورا كاولي** ■

# تأملات معاصرة

## روائع الفن

بعض الناس يجعلون من اجسادهم عملا فنياً يستغرق عمرهم كله. غير أن مساحة الجسد أصغر من أن تستحق ما يولونها من اهتمام. وفي أي حال، في السنوات الثلاثين أو الاربعين الاخيرة من عمر المرء تتناقص جمالات هذا العمل "الفني" باطراد مما يوهن العزيمة.

ويجعل البعض من منازلهم وشققهم روائع عمرهم. والبيت، على الاقل، يدوم أكثر من الجسد، لكنه يفتقر كذلك الى آفاق رحبة. فعندما يؤثث البيت ويجهز ويُجدد لا يبقى لصاحبه الا نفض الغبار وتنظيف النوافذ.

أما المزرعة فتتبدل وتزداد جمالا لمئات السنين. فهي، حقاً، عمل فني خالد.

ن.ب.

## الظل

لم يكن في قريتنا الصغيرة في اليونان مدرسة، وكان على التلاميذ أن يتوجهوا الى المدرسة الواقعة في القرية المجاورة التي تبعد ساعة سيراً على الاقدام. فقادتني امي الى مدرستي الجديدة في اليوم الاول، ولكي نصل اليها في الميعاد بدأنا رحلتنا مع شروق الشمس.

بعدما سرنا في الطريق نحو ٣٠٠ متر اصبحت غافلا عن المكان الذي كانت امي تأخذني اليه. فقد كنت مستغرقاً كليا في الخطوات الواسعة التي كان يرسمها ظلي الضخم في ذلك الصباح المشمس، فابدو واشعر كأنسان متفوّق (سوبرمان) طوله ثلاثون متراً. وفجأة توقفت والدتي ونظرت مباشرة في عينيّ وقالت: "يا بنيّ، لا تنظر الى ظلك في الصباح. انظر اليه عند الظهر!".

نيكولاس ج. باباداكوس

## الحسد

الحسد هو، ببساطة ووضوح، الخوف من ألا تكون لك قيمة.

الحسد يفتش عن بيّنة لتبرهن أن الآخرين سوف يُفضلون ويكافأون أكثر منك.

هنالك بديل واحد من الحسد هو تقدير الذات. اذا كنتَ لا تستطيع أن تحب نفسك فلن تصدق أنك محبوب. ستظن دائماً أن في الامر خطأ أو حظاً. حوّل نظرك عن الآخرين ووجّه بصيرتك المتفحصة الى داخل نفسك. جِد منشأ حسدك وتحرر من الاصوات والتجارب القديمة. ضع كل طاقتك في بناء أمانك الشخصي والشعوري. حينئذ تصبح موضوع حسد الآخرين، وتتذكر أساك السابق فتمد اليهم يدك.

ج.ج.

# رسام ماليزيا

## رسماته النابضة بالحياة تمجِّد جمال الريف الماليزي

الفنان يعمل.


شواه ثين تنغ من الفنانين القلائل الذين يحق لهم الادعاء أنهم اكتشفوا طريقة جديدة للتعبير بالرسم، وهذه الطريقة هي الرسم الباتيكي(★) الذي يجمع أساليب الرسم الكلاسيكية الى فن الباتيك الآسيوي القديم الذي ينطوي على صبغ القماش بالشمع. ورسماته النابضة بالحياة التي تصوّر الريف الماليزي نالت استحساناً دولياً. ولوحاته معلقة اليوم في صالات العرض الكبرى وفي المتاحف والمجموعات الخاصة في انحاء العالم.

ولد تنغ في الصين عام ١٩١٤ وهو استمتع بالرسم والتلوين منذ نعومة أظفاره. الا انه بدأ دراسة الفن فعلا وهو في السابعة عشرة من عمره، وفي السن الثامنة عشرة هاجر مع والديه الى بينانغ. وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية انتقل الى اندونيسيا حيث عمل مدة قصيرة في معمل للباتيك يملكه عمّه. وقبل أن تضع الحرب أوزارها عاد الى بينانغ حيث أنشأ معملا للباتيك. إلا أن الباتيك المستورد الرخيص أغرق السوق، فاضطر تنغ الى اغلاق معمله ولما تمضِ سنة على إنشائه.

أثبت إغلاق المصنع أنه نعمة متخفية. فالكميات الكبيرة المتبقية من الصباغ غير المستعمل حفزته على الجمع بين مهارته كحرفي باتيك وموهبته الفطرية في الرسم. وفي العام ١٩٥٥، بعد تجارب طويلة، تمَّم تقنيات الرسم الباتيكي.

والرسم الباتيكي عملية شاقة يستخدم فيها الفنان القماش العادي بدل قماش

(★) Batik Painting



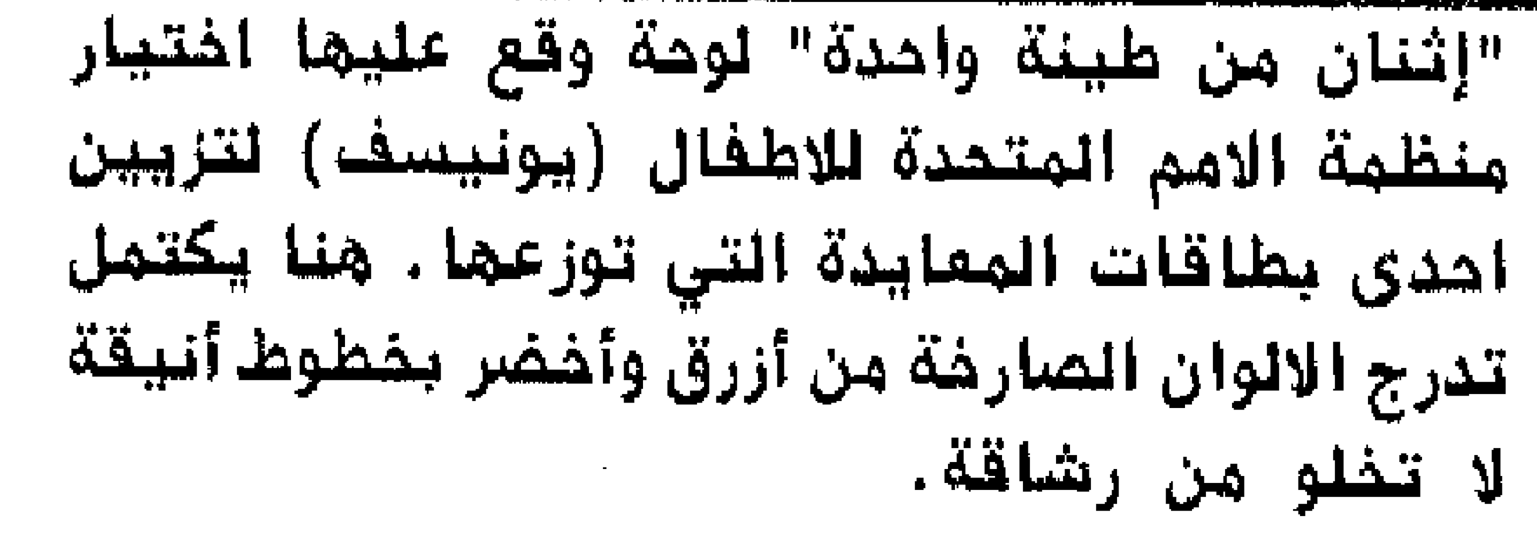
"قرية الصيادين".





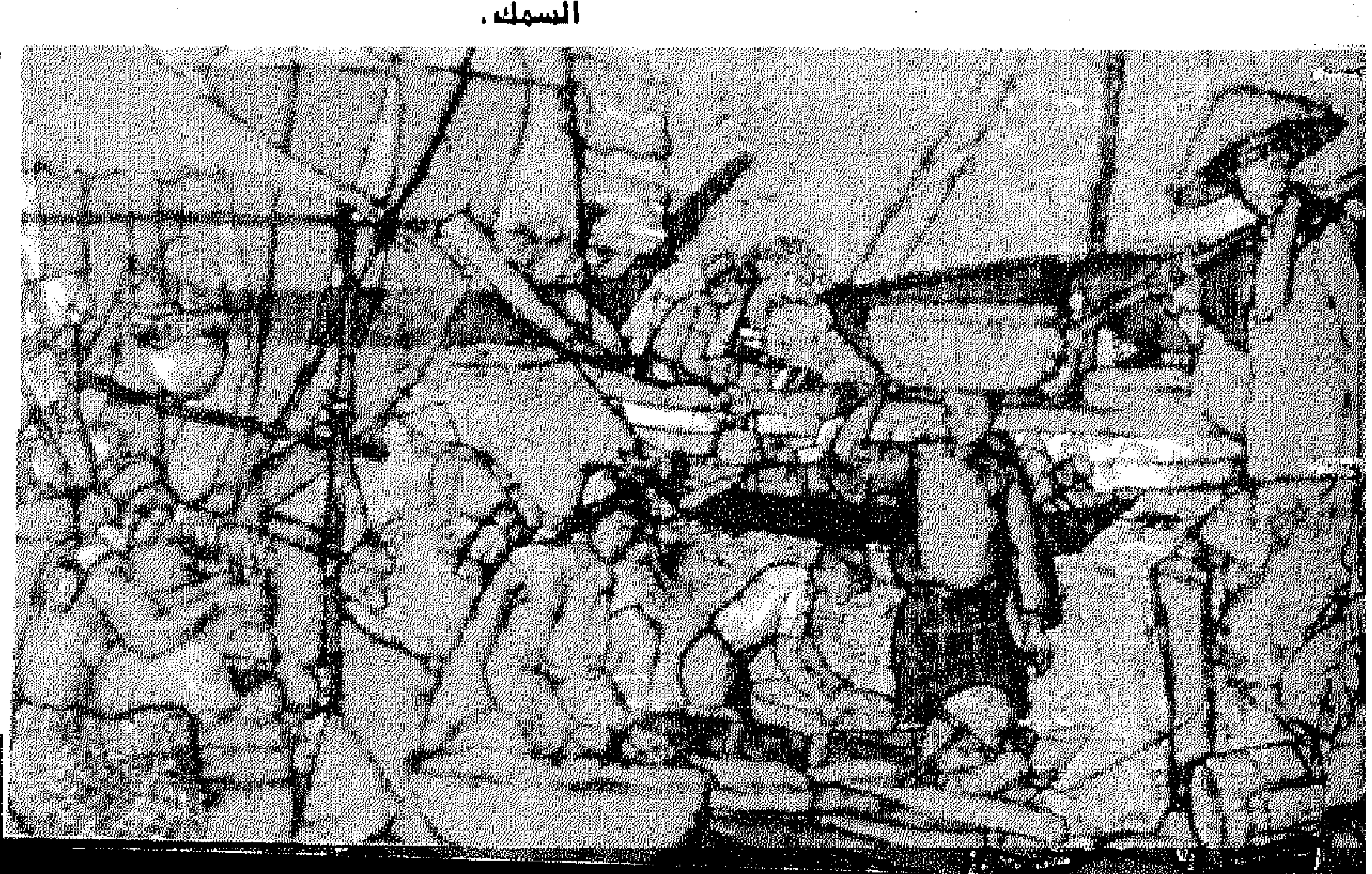
"أم وطفلها": يتكرر موضوع الامومة في أعمال تنغ. وهو يقول: "تضحّي الأم بكل شيء من أجل أولادها."

القنّب، والشمع والصباغ بدل الدهان، والتجانتنغ بدل الفرشاة، والاولى أداة نحاسية في شكل قلم تستخدم لوضع الشمع الحار. وبعد رسم المخطط الاساسي بالفحم، يوضع الصباغ الأفتح لوناً أولا. ويتم ذلك بالطريقة الآتية: تغطى بالشمع الحار جميع الأجزاء ما عدا تلك المراد صبغها بهذا اللون. وعندما يجف الصباغ تنزع طبقة الشمع. والخطوة التالية هي تغطية الاجزاء المصبوغة والاجزاء التي لم تلوَّن بعد باستثناء تلك التي يراد صبغها بلون معين. وهكذا دواليك. وتخضع بعض اللوحات لعملية التشميع ١٥ مرة، ويستغرق انجازها ستة ايام. وغلطة وحيدة تكفي لتخريب العمل كله.



"إثنان من طينة واحدة" لوحة وقع عليها اختيار منظمة الامم المتحدة للاطفال (يونيسف) لتزيين احدى بطاقات المعايدة التي توزعها. هنا يكتمل تدرج الالوان الصارخة من أزرق وأخضر بخطوط أنيقة لا تخلو من رشاقة.

"مياه بينانغ" احدى لوحات الباتيك الاولى التي رسمها تنغ، وهي تبرز الحركة والالوان في سوق السمك.





"حذار!" لوحة تجمّد لحظة من الحياة في الريف.

ولقد حقق تنغ في سياق عمله الفني نتاجاً متنوعاً جداً. فالى أعماله المنفذة وفق الاسلوب التصويري، له محاولات استخدم فيها الاسلوب التعبيري والفن التجريدي. لكنه نادراً ما يغامر بالتطرّق الى مواضيع خارج ريف ماليزيا، وهو العالم الذي عرفه وأحبّه. وهو معجب ببساطة القرويين وصدقهم، ويصورهم بأسلوب يوحي الدفء والدعابة. وتلتقط عينه الحادة الجمال والنبل في النشاطات اليومية العادية: أطفال يلهون، نساء يطعمن الدجاج، رجال يعملون.

وما زال هذا الفنان السبعيني المرح والمفعم بالحيوية يرسم ست ساعات يومياً. وعلى رغم النجاح الذي أحرزه فانه يعيش حياة بسيطة متواضعة، وسعادته الكبرى في ان يلعب مع أحفاده التسعة. ويقول ابنه سيو تنغ: "لوالدي قلب شاب سعيد، في حياته الخاصة وفي عمله."

**كاثي ستوكوين** ■

في لوحة "موسم الفاكهة" ينسج تنغ والدته مع أطفالهما في لوحة مركبة.

"الحياة في ماليزيا": لوحة في اطار دائري تبرز النشاطات اليومية في القرية.



Photos: Courtesy Chuah Thean Teng and National Art/Gallery Malaysia





# حَقائق مهمّة عَن أنظمة الحميَة

## الدهن الخفيّ

**كفوا عن عدّ الوحدات الحرارية التي يحويها الطعام. فالاعتقاد الحديث هو أن الشحم الذي نأكله هو الشحم الذي يلف أجسادنا**

هناك أناس يحترمون الحمية التي يلتزمونها، فلا ينفكون يختبرون ماذا يأكلون ومتى يأكلون وبأي مقادير، وكم مرة، ومع ذلك يظلون سمينين. أحد الاسباب الساطعة لذلك أن معظم برامج الحمية يخفق على المدى الطويل. يقول الدكتور روبرت ستارك الاختصاصي بالسمنة المفرطة في فينكس بولاية أريزونا: "حتى أسخف الحميات تعطي نتائج جيدة في البدء. لكن المهم ليس خفض الوزن، بل الاحتفاظ به منخفضاً".

في الاسبوع الأول من اتباع نظام حمية نموذجي صارم وسريع النتائج - فقير بالنشويات (الكربوهيدرات) وغني بالدهن والبروتيين - فان أكثر من ٧٠ في المئة من نقص الوزن ينجم عن استنفاد الماء من الجسم. كما أن الحرمان الشديد من المواد النشوية يخفض معدّل الأيض الاساسي (١) في الجسم وهذا بدوره يصعّب عملية حرق الانسجة الدهنية.

(١) Basal metabolic rate

لا بد لمن يثابر على اتباع حمية معينة من أن يصل في النهاية الى الهدف الذي يسعى اليه. ولكن غالبا ما يكون نجاحه هذا على حساب الكتل الهبرية في الجسم، وخصوصاً العضلات. وما ان يتراخى في تطبيقه برنامج الحمية وما يرافقه من تمارين رياضية حتى تعود الخلايا الدهنية الى الظهور. والحقيقة أنه يصبح أكثر بدانة وأثقل وزناً مما كان في البدء. طبيب الغدد الصم بيتر فاش الاستاذ المساعد في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس والاختصاصي بالطب السريري والاضطرابات الغذائية يشرح الأمر: "أن استعادة الدهن أسهل كثيراً من استعادة العضلات وإعادة بنائها". والناس الذين يتبعون أنظمة حمية قاسية متتالية، يضحّون كل مرة بقليل من الكتل الهبرية.

في العام ١٩٨٧ ألف الدكتور فاش مع اثنين من زملائه كتاباً بعنوان "حمية من الشحم الى العضل" (٢) ضمنّوه خطة للتحكم بالوزن تركزت على المبدأ القائل بأن الوحدات الحرارية الدهنية الفائضة تتحول أنسجة دهنية. أي "ان الشحم الذي تتناوله هو نفسه الشحم الذي يلفّ جسدك" بتعبير الدكتور فاش.

هذا القول يتحدى أنظمة الحمية التقليدية التي تتمحور حول خفض الوحدات الحرارية لا الدهن. وبحسب التفكير السائد، يكفي أن تخفض ٣٥٠٠ وحدة حرارية - بالامتناع أساساً عن تناول الطعام الغني بالنشويات - لتخسر نصف كيلوغرام من وزنك. ويؤكد علماء التغذية اليوم أن كل وحدة حرارية مختلفة عن الأخرى، و٣ في المئة فقط من الدهن الذي نتناوله يُحرق في عمليات الهضم والنقل والخزن، أما البقية فتتحول شحماً. ومع أن المواد الدهنية تتحول بالنتيجة طاقة، إلا أن ذلك لا يتم مباشرة كما في حال المواد النشوية.

ولقد أظهرت الدراسات أن المرء وإن التزم نظام حمية منخفض الوحدات الحرارية - ١٥٠٠ وحدة يومياً - فانه يصبح مفرط السمنة إذا ما أتى نصف الوحدات الحرارية من الطعام الدهني. والطعام الذي يتناوله بعض الغربيين مثقل بالدهن الذي يشكل ٤٠ في المئة منه، أي أربعة أضعاف كمية الدهن التي يحتاج اليها الجسم.

على أن الدهن لا يخلو من بعض المنفعة. فهو يشكل طبقة عازلة تساعد في حفظ حرارة الجسم. والى ذلك فإن بعض الأحماض الدهنية تؤدي دوراً مهماً في تكوين هرمونات حيوية في عملية الأيض. لكن الانسان لا يحتاج الى أكثر من ١٣٥ الى ٢٢٥ وحدة حرارية من طريق المواد الدهنية، أي بين ١٥ و٢٥ غراماً من الدهن يومياً.

في كتاب "ضبط الشحم مدى الحياة" (٣) ترجم الدكتور ستارك المحتوى الدهني في الطعام نسباً مئوية من مجموع الوحدات الحرارية. ومعظم الأرقام المعطاة لا يختلف عما يتوقعه المرء: ١٠٠ في المئة من الوحدات الحرارية في الزبدة والزيت هي دهن، كذلك ٨٦ في المئة في زيت جوز الهند

(٢) The Fat - to - Muscle Diet

(٣) Controlling Fat for Life

وزيت النخيل الشائعي الاستعمال في الطعام المعلّب، و٩٩،٨ في المئة في المايونيز، و٩٥ في المئة في صلصة الترتار، و٦٨ في المئة في البيكون و٩٠ في المئة في الجبنة القشدية، و٧٥ في المئة في زبدة الفستق.

قد يجنبنا سمن المرغرين النباتي الكولسترول المتوافر في الزبدة، لكن نسبة الدهن فيه ١٠٠ في المئة.

حتى الخضر تحتوي على بعض الدهن، لكن نسبته في معظمها أقل من ١٠ في المئة. وفي معظم أنواع الفاكهة لا تتعدى نسبة الدهن ٥ في المئة. ونسبة الدهن في البطاطا المشوية واحد في المئة، لكنها بعد إضافة الزبدة تصبح أكثر من ٤٠ في المئة.

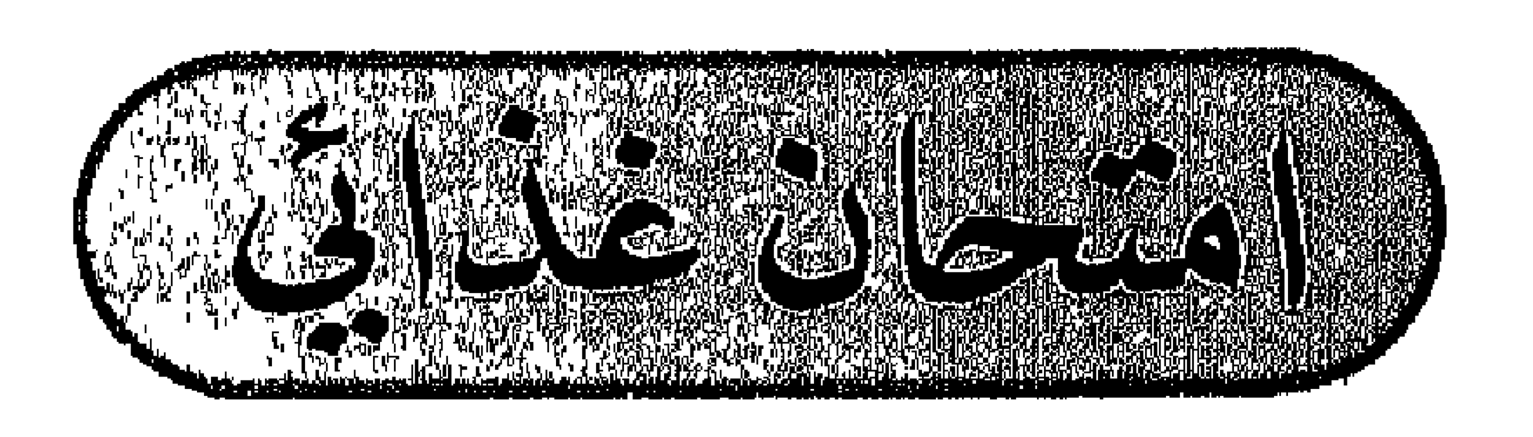
النشاء والسكر، أي الكربوهيدرات، هما المادتان اللتان تمدان الجسم بالوقود. وكثيراً ما ننسب اليهما ذنباً هما براء منه، اذ اننا نتناولهما أحياناً مع المواد الدهنية. فعند تناول قطعة من الحلوى الدسمة يحرق الجسم السكر ويخزن الدهن. والأمر نفسه ينطبق على المعجنات التي تزيد السمنة، ليس بسبب المعكرونة أو العجين بل بسبب الصلصة الغنية بالزبدة والجبنة والقشدة. وعدد كبير من الرياضيين يفضلون الطعام النشوي لانهم اكتشفوا أن الكربوهيدرات المركبة تمنح الجسم طاقة اضافية فيما الدهن الفائض يزيده وزناً.

ولا يعني هذا الكلام أن الوحدات الحرارية المستمدّة من النشويات ليس لها حساب على الاطلاق. والحقيقة أن الإفراط فيها يدفع الجسم الى تحويل الكمية التي تفيض عن حاجته او تلك التي يعجز عن استخدامها في عملية الأيض أو عن تخزينها في شكل غليكوجين (سكر الكبد) الى شحم. أما اذا تجنب المرء تناول المأكولات الغنية بالدهن ففي وسعه عندئذ أن يتناول من النشويات ما طاب له.

يقول جايمس كيني الاختصاصي بالتغذية والباحث في مركز بريتكين للمعمرين في سانتا مونيكا بكاليفورنيا: "عندما أخبر الناس أن في امكانهم أن يتناولوا ما شاؤوا من القنبيط والفاكهة والحبوب من دون حرج ولا قلق، فإني أعني ذلك حرفياً". وفي كتابه "حمية لوس انجلس" (٤) يزوّد القارىء نظام حمية يتألف من طعام غير مدهن وغني بالنشويات، وعدداً من التمارين الرياضية تؤدى بانتظام.

ولكن هل يبدل الشخص العادي المعجنات الشهية بالقنبيط؟ ربما، خصوصاً اذا نظر الى الخيارات أمامه. فالقنبيط يصبح مثيراً للشهية ولا شك إذا كان الخيار بينه وبين جسم مترهل مُتعب سقيم.

**لي غرين** ■




هل أنت عالم بالدهن المخبأ في الطعام الذي تتناوله؟ هل تعلم أن بعض أنواع الدهن يزيد إحتمال إصابتك بسكتة دماغية (فالج) أو بنوبة قلبية، فيما

(٤) The L.A. Diet

سواه يخفف من هذا الخطر؟ أجب عن أسئلة هذا الامتحان لتختبر معلوماتك عن الدهن وعن الغذاء. لست في حاجة الى قلم. منطقك وحده يكفي.

١. المهم أولا: هل نحتاج الى الدهن في طعامنا أم لا؟

نعم... انتقل الى الرقم ٧

لا... انتقل الى الرقم ١٠

٢. خطأ. هناك ٤ وحدات حرارية في غرام من البروتيين أو ٩ وحدات في كل غرام دهناً. عُد الى الرقم ٤.

٣. أي من هذه الاصناف يحتوي على أعلى نسبة من الدهن؟

١٠٠ غرام من التوفو...... انتقل الى الرقم ٦

حبة أفوكاده متوسطة...... انتقل الى الرقم ٩

٢٥٠ غراماً من التشيلي (٥) انتقل الى الرقم ١٢

٤. هل تأكل الجيلاتي (آيس كريم) بالشوكولاتة؟

ان نصف كوب منه يحتوي على ٧ غرامات من الدهن. كم وحدة حرارية هناك في كل غرام من الدهن؟

٤.... انتقل الى الرقم ٢

٩.... انتقل الى الرقم ٨

١٨....انتقل الى الرقم ١١

٥. لا يقتصر الامر على الوحدات الحرارية. هل يرفع الدهن نسبة الكولسترول في الدم؟

نعم... انتقل الى الرقم ٢١

لا.... انتقل الى الرقم ١٣

٦. كلا. ان ١٠٠ غرام من التوفو تحتوي على ٥ غرامات من الدهن. بالمناسبة، إن كنت لا تدري، ما التوفو، إقرأ الرقم ١٧. وإن كنت تدري، عد الى ٣ مجدداً.

٧. بداية جيدة. يمدّنا الدهن بمغذيات أساسية، وهو أحد مصادر حمض اللينوليك. والفيتامينات "أ" و"د" و"ه" و"ك" (A,D,E,K) عُد الآن الى الرقم ٤، وهاك سؤالا عن الوحدات الحرارية في الدهن الذي نتناوله.

٨. صحيح. كل غرام من الدهن، مهما يكن شكله، أكان جيلاتي أو لحم عجل، يحتوي على تسع وحدات حرارية. فالدهن دهن: عُد الآن الى الرقم ٣.

٩. نعم، هذا صحيح. فثمر الافوكادو مليء بالدهن، وحبة أفوكادو واحدة تحتوي على ٣٢ غراماً من الدهن. ربما كان من الافضل لك أن تخفف من تناوله إذاً. انتقل الآن الى الرقم ١٤.

١٠. آه، بلى. نحن فعلا في حاجة الى دهن في طعامنا، وإن بكميات أقل مما يتناولها معظمنا. لماذا لا تعود الى الرقم ١ وتتظاهر بأنك على وشك أن تبدأ الامتحان؟

١١. أوه، أنت مخطىء جداً. جرّب ٤ مجدداً.

١٢. آسف. طبق واحد من التشيلي يحتوي على نحو ١١ غراماً من الدهن. عُد الى ٣ مجدداً.

(٥) التشيلي (chili) طبق كثير التوابل يشتمل على لحم بقر وفاصولياء وبندورة (طماطم) ومسحوق التشيلي.

١٣. نعم ولا. لمعرفة السبب إنتقل الى الرقم ٣١.

١٤. ماذا عن أصناف الطعام المذكورة أدناه؟ أي منها يحتوي على أقل نسبة من الدهن؟

أجبان.... انتقل الى الرقم ١٩

حبوب.... انتقل الى الرقم ٣٠

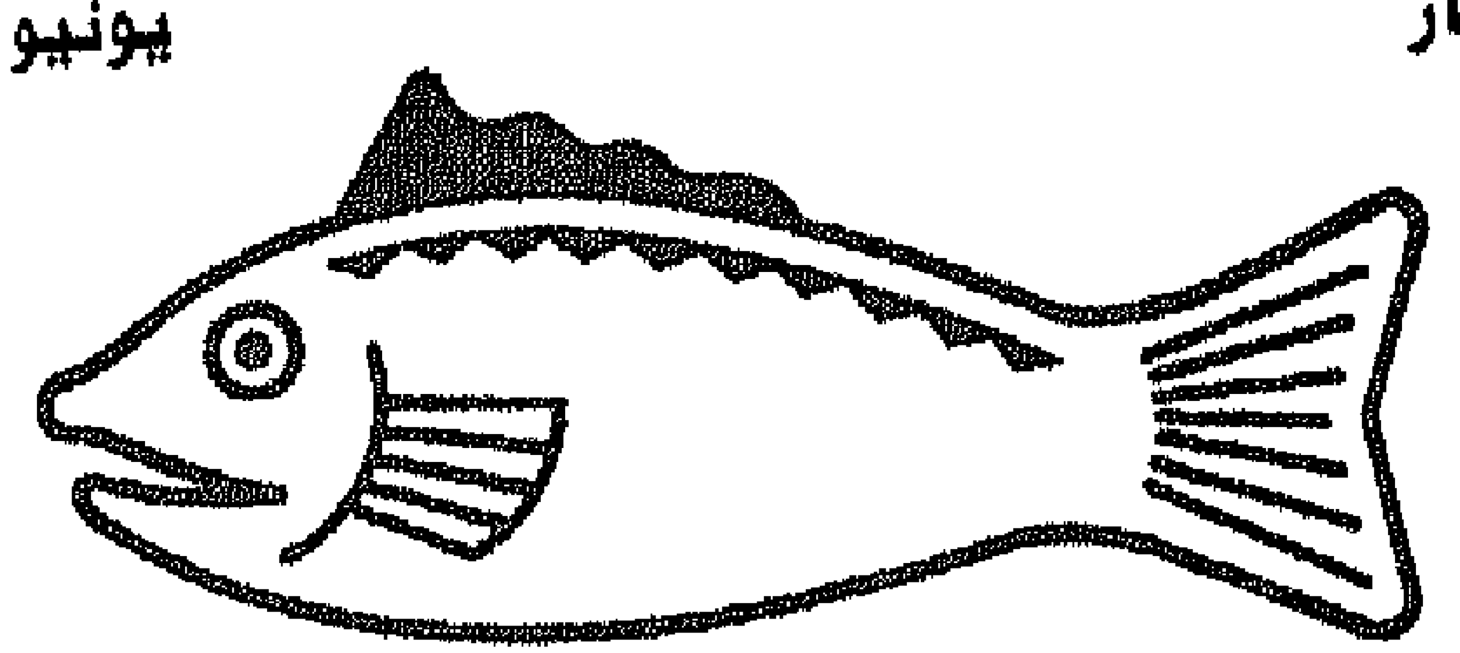
جوز وبندق.... انتقل الى الرقم ٣٤

١٥. مؤكد. فالدهن المشبع يستخرج في معظمه من الحيوانات. وهو عادة جامد في حرارة عادية. ولكن انتبه لنوعين من الزيوت النباتية: زيت جوز الهند وزيت النخيل، فهما دهن مشبع. انتقل الآن الى ٢٨. انك تقترب من خط النهاية.

١٦. نعم ولا. فالدهون المتعددة غير المشبعة تتخذ أحد شكلين رئيسيين: الاحماض الدهنية من فئة "أوميغا - ٦" وهي موجودة في معظم الزيوت النباتية، وتلك التي من فئة "أوميغا - ٣" الموجودة على نحو غالب في سمك المياه الباردة كالسلمون والاسقمري (المكاريل). وتظهر دراسات أن النوعين يساعدان في خفض الوزن ونسبة الكولسترول في الجسم. والى ذلك يبدو أن دهن السمك يخفض مستوى الكولسترول الضارّ (LDL) في الدم الذي يشكل ارتفاعه خطراً. من هنا، ربما أحببت أن تستعيض عن اللحم الأحمر بالسمك مرتين في الاسبوع. الآن إقرأ ٢٣.

١٧. التوفو طعام صحي يُحضّر من خثارة فول الصويا وهو غني بالبروتيين وبمواد دهنية متعددة غير مشبعة. عودة الآن الى ٣.

١٨. الدهن المشبع يشمل:



دهن البقر، الزبدة، الشحم.... انتقل الى ١٥

السمك المدهن، زيت الصويا، زيت الزيتون.... انتقل الى ٢٦

١٩. خطأ. معظم أنواع الجبنة غني بالدهن. والواقع أن أنواعاً مرغوبة، مثل جبنة الشيدار والروكفور، تحتوي على ٧٠ في المئة دهناً. عودة الى الرقم ١٤ لمحاولة جديدة.

٣٠. اختيار حسن. فنسبة الدهن في جميع مشتقات الحبوب تقريباً هي دون ٣٠ في المئة. حذار مشتقات الحبوب المقلية أو المعالجة بالزيت مثل الرقائق المقلية والكرواسان. في ما عدا ذلك أنت في مأمن. انتقل الى الرقم ٥.

٣١. إنك مصيب ومخطىء في آن، لأن معظم أنواع الدهن المشبع(٦) ترفع نسبة الكولسترول في الدم ويجب تجنبها، بخلاف الدهن غير المشبع(٧) الذي يعمل عكس ذلك تماماً. انتقل الى ١٨.

٣٢. على رسلك! إنك متشدّد جداً. إن لم تكن تتبع حمية خاصة فقيرة بالكولسترول، فيجب تخفيف استهلاك جميع الدهون الى أقل من ٣٠ في المئة، على أن ينقص الدهن المشبع بنسبة ١٠

(٦) Saturated fats
(٧) Unsaturated fats

في المئة على الاقل. عُدْ الآن الى ٣٩ ولا تقسُ على نفسك هكذا.

٣٣. صحيح. ولكن لا تعتد بنفسك كثيراً. يعتقد العلماء أن الدهن الاحادي غير المشبع (في زيت الزيتون وزيت الفستق) يخفض مستوى الكولسترول الضارّ (LDL) الذي يشكل ارتفاعه خطراً. اقرأ الفقرة ١٦ (اذا لم تفعل بعد) ثم انتقل الى الفقرة ٣٩ والسؤال النهائي.

٣٤. إحزر مجدداً. الجوز والبندق والمكسّرات الاخرى ومشتقاتها، مثل زبدة الفستق، غنية جداً بالدهن. لذلك يجب تناولها باعتدال للمحافظة على نسبة من الدهن أقل من ٣٠ في المئة.

٣٥. نعم، إنه الجواب الصحيح. إذ لا ننصح أصحاب الكولسترول المرتفع أن يتخطوا نسبة العشرة في المئة. تقدم الى ٣٠، السؤال الأخير.

٣٦. اختيار خاطىء. الشحم الحيواني هو عموماً دهن مشبع (غير صحي) والزيوت النباتية هي عموماً دهون غير مشبعة (صحية). الا أن هناك بعض الاستثناءات الجديرة بالذكر مثل زيت جوز الهند وزيت النخيل المشبعين ودهن السمك غير المشبع. تقدم الآن الى ٣٨ وحاول أن تحسّن أجوبتك.

٣٧. ٥٣ في المئة. الوداع.

٣٨. ومن الدهنيات غير المشبعة، أيها أفضل لك؟

المتعدد غير المشبع(٨) .... انتقل الى ١٦

الاحادي غير المشبع(٩) .... انتقل الى ٣٣

٣٩. حسناً. تبدو مقتنعاً بوجوب خفض ما تتناوله من دهن بجميع أنواعه وتجنب معظم أنواع الدهن المشبع. الآن، ما هي نسبة الوحدات الحرارية الدهنية التي يسمح الاختصاصيون بتناولها يومياً؟

٨ في المئة.... انتقل الى ٣٣

٣٠ في المئة.... انتقل الى ٣٥

٣٠. انتهى الامتحان! النتيجة لا تهم ما دمت استمتعت بالاسئلة وتعلمت في سياقها بعض الامور. مهلاً، قبل أن تنصرف، احزر ما هي نسبة الوحدات الحرارية التي مصدرها الدهن المشبع في شطيرة همبرغر. أنظر ٣٧.

**كن لفين** ■

(٨) Polyunsaturated
(٩) Monounsaturated

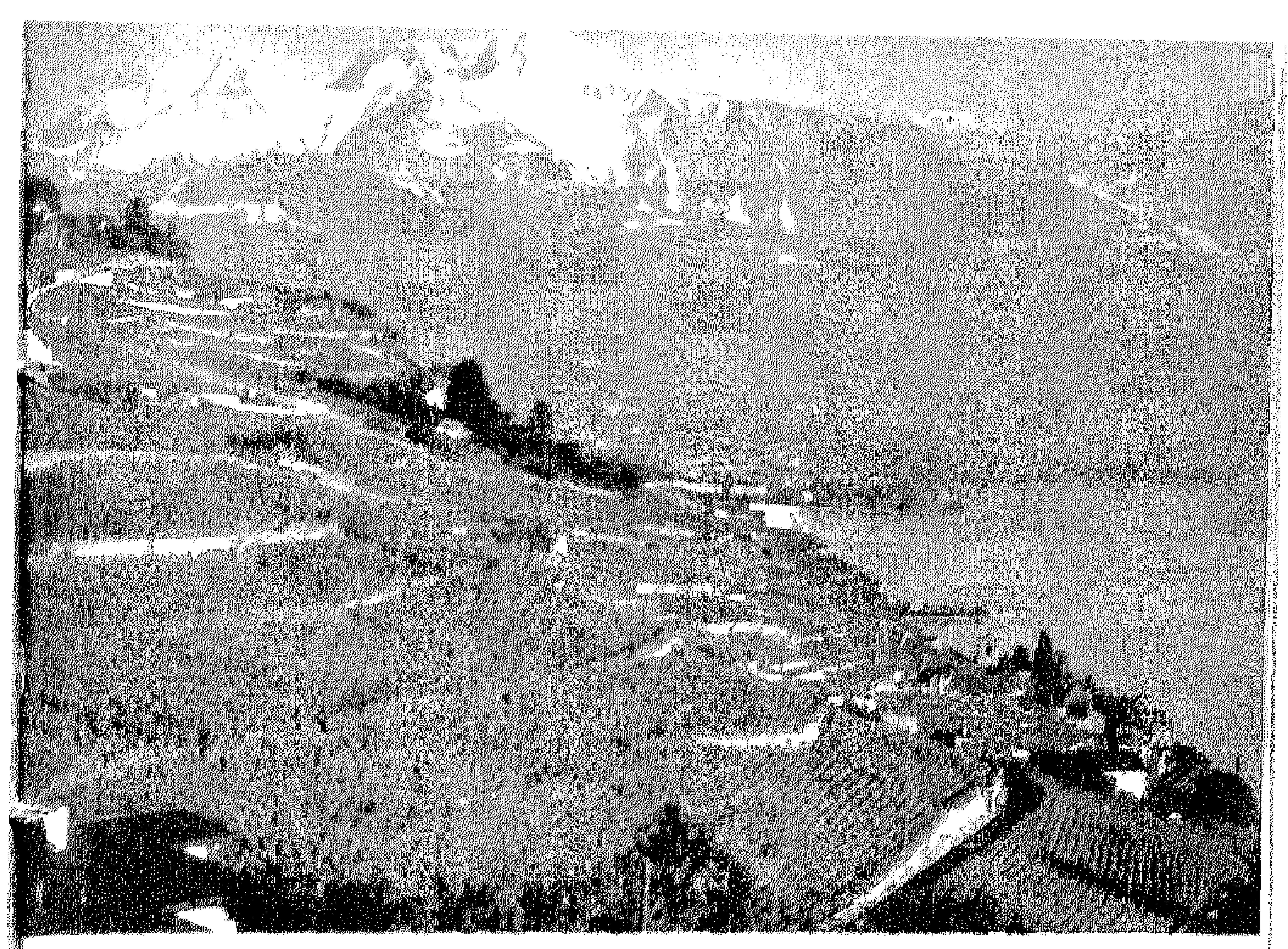


## لا مشكلة!

دخل ابني المراهق المطبخ فيما كنت منهمكة بتحضير العشاء. ولانشغالي بالفرن لم ألاحظه الا وهو يغادر المطبخ وقد أعد كومة كبيرة من الشطائر. فسألته معنفة: "ماذا دهاك؟ ولمَ هذه والعشاء سيكون جاهزاً بعد نصف ساعة؟"

فأجابني ببرود: "لا تقلقي، أكون قد انتهيت منها في ذلك الوقت."

ش.م.



كروم لاڤو مشرفة على بحيرة ليمان. وتبدو في البعيد مونترو وروشيه دو ناي متوجة بالثلوج.

مروج نضرة وقرى صيادين وأنهار جليد

وبحيرة قيل إنها أروع بحيرات الدنيا

# ڤـــود السويسرية الحالمة

قدت سيارتي من فرنسا الى فندق جبليّ في مقلب ڤود الشمالي، ووصلت وقت الغسق. وفي الصباح فتحت شباكي ألتقط أنفاسي.

انبسط أمام ناظريّ مشهد خلاب: سهول القمح في هضبة ڤود الوسطى الخصبة تمور بالذهب تحت أشعة الشمس خلف أطراف الغاب. بحيرة ليمان (جنيف) جاثمة في البعيد كأنها، لشدة زرقتها، من ملصقات الرحلات. وفي البعيد طيف الألب مجلبب بالثلج، وجبل مون بلان نقي كالبلّور يشفّ عنه هواء جبليّ يأبى التلوث.

تطلعت فاذا بحجاب الضباب يتصاعد من البحيرة لتبقى الذرى الجليلة وحدها ماثلة للعيان ناصعة البياض في قبة

Photo: Schweizerische Verkehrszentrale (SVZ)

صافية. تسعمئة ألف زائر يرتادون ڤود سنوياً، ولا عجب. ففي هذا الكانتون(١) السويسري، وهو الرابع من حيث المساحة اذ يمتد فوق ٣٢١٩ متراً مربعاً، يمكنك أن تختار ما راقك، من المدن المستغرقة في التطور الى المروج النضرة المزهرة وقرى الصيادين وموانىء اليخوت والشواطىء المصونة وأنهار الجليد الصالحة للتزلج الصيفي. بهذا يفاخر المواطن الڤودي قائلا: "لدينا لكل فرد أشياء وأشياء. واذا لم يجد أحدهم عندنا مراده فاننا نحاول سد النقص ما استطعنا الى ذلك سبيلا.

**"حبيس شيّون."** بحيرة ليمان أروع بحيرات الدنيا وأعظمها في أوروبا الغربية، هكذا يقول أهل ڤود. ويصب نهر الرون مياه الثلج الذائب في الطرف الشرقي من البحيرة، فتجري هذه المياه ٧٢ كيلومتراً الى الطرف الغربي لتشكل نهر الرون من جديد.

مجد ڤود في بحيرة ليمان. وعلى رغم أن لفرنسا حصة في البحيرة تبلغ ٤٠ في المئة من مساحتها الممتدة ٥٨١ كيلومتراً مربعاً، كذلك لكانتوني جنيڤ وڤاليه المجاورين، فان أهل ڤود يعتبرون البحيرة ملكاً لهم. وبزلّة من لساني، لما دعوتها بحيرة جنيڤ، عبس صاحبنا الشرطي السويسري وبادرني باصرار: "نحن والجغرافيون نسميها بحيرة ليمان. وما لجنيڤ منها سوى ٦ في المئة، أما نحن فلنا منها أكثر من نصفها، وهو النصف الأحلى بعد أمرك."

لجهة ڤود من البحيرة شاطىء مترامي الأطراف فتان يطل على مناظر رائعة لجبال الالب. وهناك عشرات المواقع التاريخية، بما فيها المعلم الاكثر شعبية في سويسرا الغربية وهو قصر شيّون.

عام ١٨١٦ زار الشاعر البريطاني اللورد بيرون هذا المعقل الآخاذ الذي يرقى الى القرون الوسطى. واقتيد الى زنزانة منشق ثائر عاش في القرن السادس عشر وسجن هناك مقيداً بالسلاسل طوال أربع سنوات. ولشدة تأثرّه نظم بيرون قصيدته الشهيرة "حبيس شيّون"(٢) واليوم يؤمّ تلك الزنزانة المشؤومة زهاء ثلاثمئة ألف زائر سنوياً، فيرتعدون متأثرين ويحدقون الى اسم بيرون منقوشاً بيده على عمود هناك.

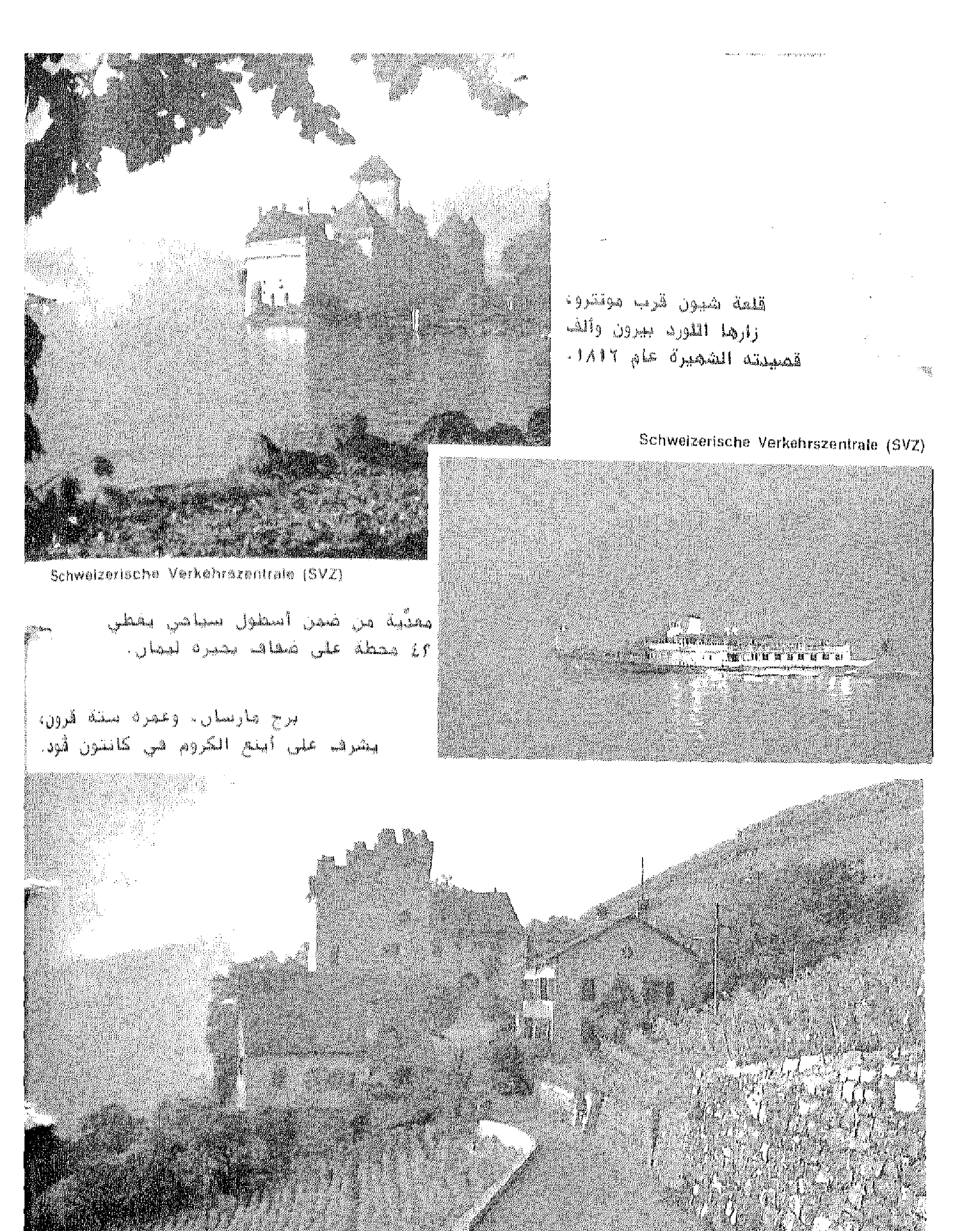
وكان بيرون أيضاً رائداً لعنصر سياحي من نوع آخر، اذ استورد يختاً انكليزياً لرحلات الاستجمام. وقد أخبرني أحد بُناة القوارب على شاطىء البحيرة: "كان ذلك أول يخت شوهد في ليمان." أما اليوم فالقوارب تذرع البحيرة على الدوام.

وعابرات البحيرة منظمة بتنقلاتها منذ ١٨٢٣ حين أنزل أول قارب بخاري سويسري. وتملك "الشركة العامة للملاحة في بحيرة ليمان" خمس عشرة قطعة بحرية تقل أكثر من مليون راكب سنوياً. وتبدأ العابرات الفخمة نقلياتها في تمام السادسة صباحاً، فلا تنفك تذرع البحيرة ذهاباً واياباً الى ما بعد منتصف الليل، لتعود انطلاقاً من الجانب الفرنسي بالسويسريين الساهرين الذين صرفوا مساءهم في منتجع إفيان.

---

(١) الكانتون هو أحد الاقاليم الادارية في سويسرا.

(٢) The Prisoner of Chillon



قلعة شيون قرب مونترو، زارها اللورد بيرون وألف قصيدته الشهيرة عام ١٨١٦.

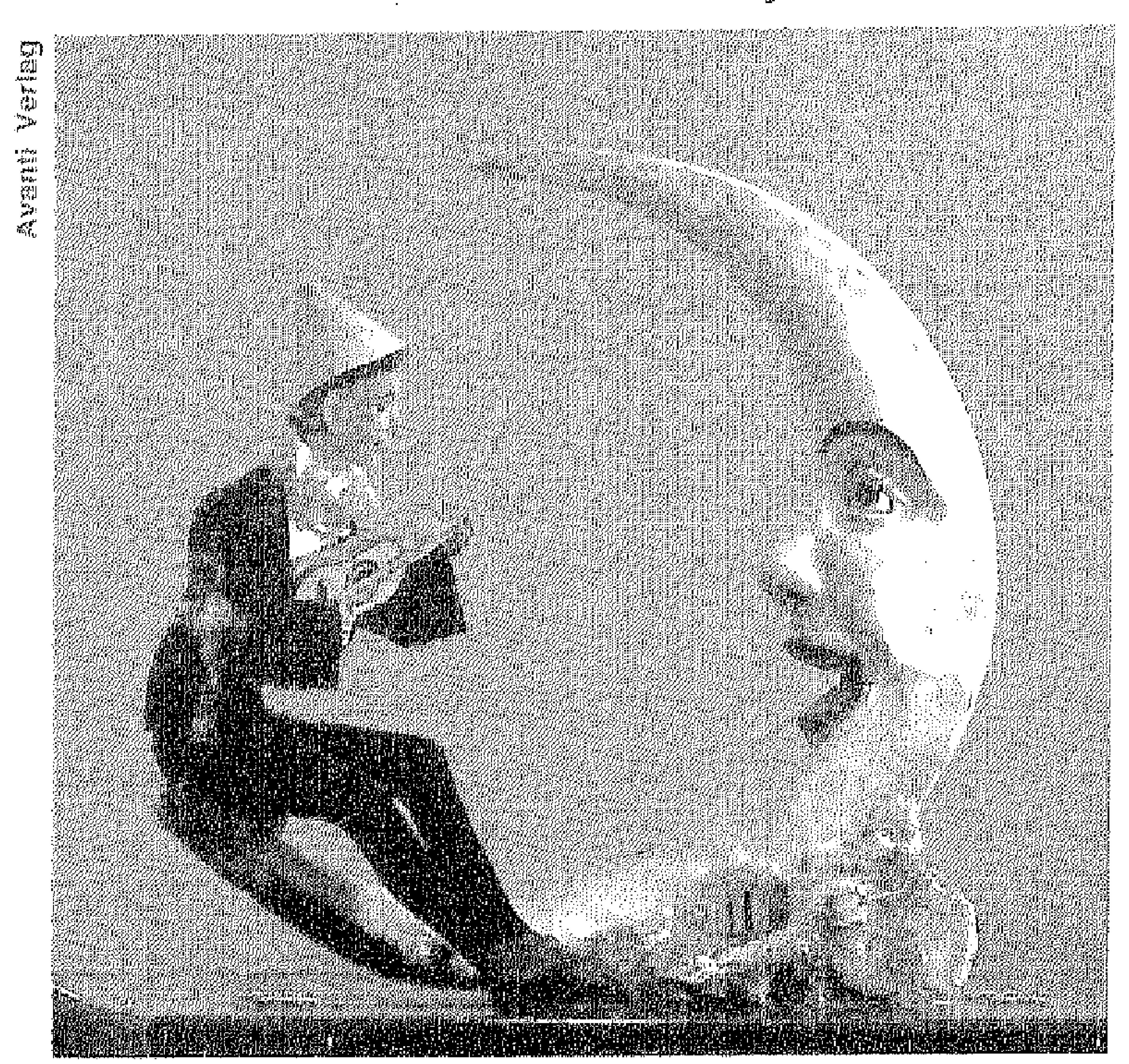
Schweizerische Verkehrszentrale (SVZ)

Schweizerische Verkehrszentrale (SVZ)

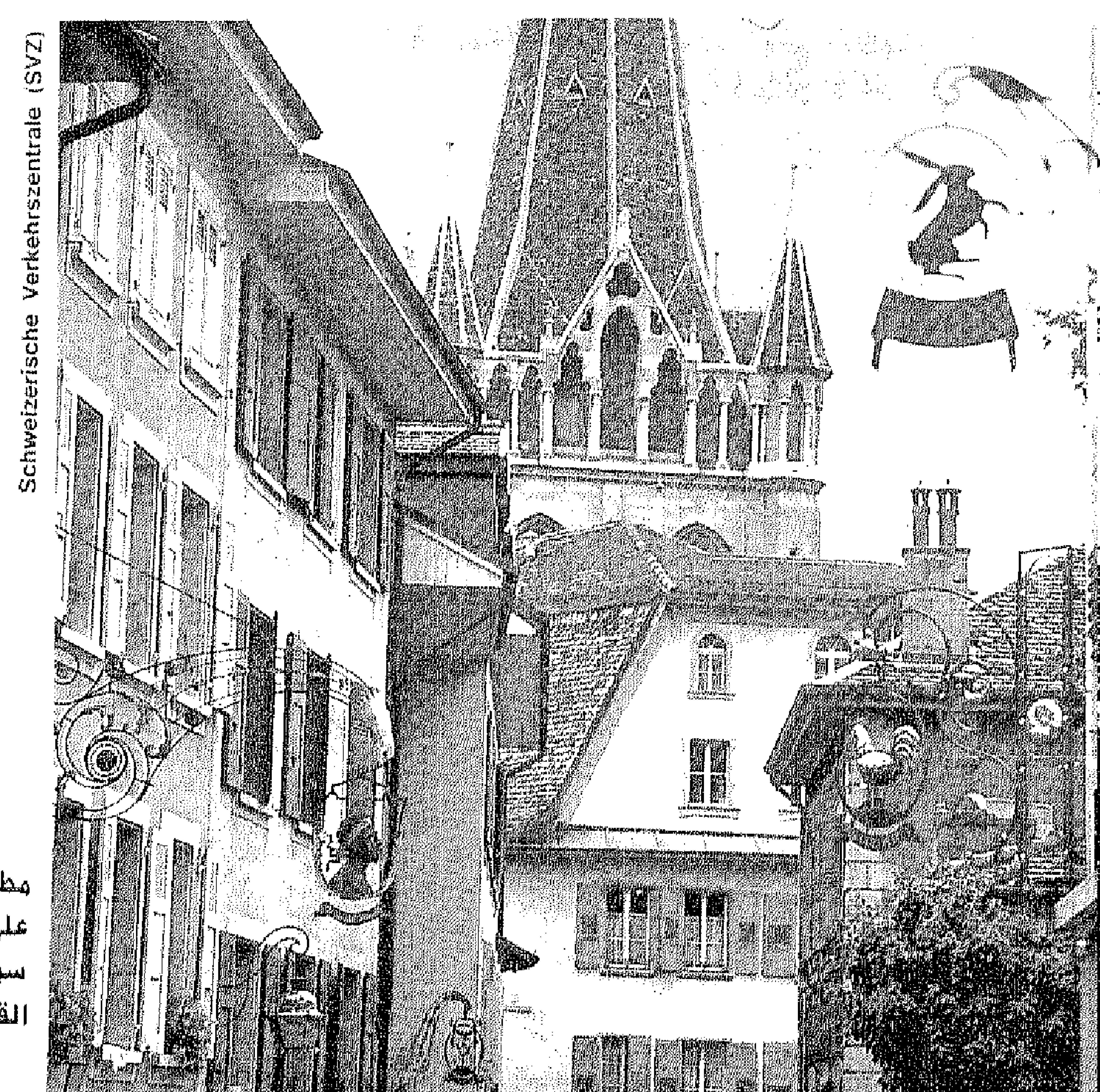
مدنّية من ضمن أسطول سياحي يغطي ٤٢ محطة على ضفاف بحيرة ليمان.

برج مارسان، وعمره ستة قرون، يشرف على أينع الكروم في كانتون فود.

Avanti Verlag




دمية موسيقية آلية، ضمن مجموعة كبرى من آليات موسيقية في متحف لوبرسون.




مطاعم وحوانيت تحف على جانبي شارع سيتيه في الحي القديم في لوزان.

**تحف موسيقية.** هكذا حبت الطبيعة ڤود أسخى عطاياها، فانبرت منذ القدم تستميل مشاهير الناس، منذ أسس يوليوس قيصر مدينة نيون في القرن الاول قبل الميلاد. ڤيكتور هوغو وتشارلز ديكنز ووليم ترنر وكثيرون سواهم من كتاب القرن التاسع عشر ورساميه قصدوا المطارح التي خلّدها قائد الحركة الرومنطيقية جان جاك روسو.

وكانت مدام دو شتال، احدى تلميذات روسو، تعقد لقاءات أدبية في قصر "دو كوبيه" تضم مشاهير المفكرين. ورحت أطوف في أرجاء القصر المفتوح اليوم للعموم، حيث ألفيتُ من روحها جسارة ومن فكرها سرعة خاطر من نوع لا يزال محسوساً منذ ١٧٢ سنة لغيابها، مثل كنوزها الشخصية التي ما زالت تملأ الارجاء وتضج بالذكرى.

وحتى الساعة يملك مشاهير من العالم بيوتاً حول البحيرة. وقد تصادف في المقاهي نجوماً أمثال جون سذرلند وبيتر أوستينوف وأودري هيبورن وجايمس مايسون.

من عناصر الاقتصاد في البلاد الزراعة والكرمة والسياحة. ومن المراكز الصناعية القليلة مدينة سانت – كروا التي انصرفت الى صنع الساعات ردحاً من الزمن، ثم أنشأت صناعة زاهرة للعلب الموسيقية، وفيها اليوم أكبر مصنع للقياثير في العالم.

تتألف كل قيثارة من نحو ألفي قطعة يستغرق تركيبها بضعة أشهر، وهي تكلف نحو أربعة عشر ألف دولار. وفي احدى الردهات التأمت عشرات الآلات البديعة جاهزة. وكم ارتعشت أطراف أصابعي وهي تنقر الاوتار المرنانة لقيثارة معدة لأوركسترا ڤيينا الفلهارمونية الشهيرة.

وما برحت الدمى الموسيقية التي صنعت في سانت – كروا في الايام الغابرة تبعث البهجة في متحف قرية لوبرسون المجاورة، حيث جمع الاخوة بود تحفاً موسيقية أثرية. وبلمسة واحدة من سبابة دليل المتحف تنبعث الحياة في كل تحفة: تتأوّه الكمانات وتصفق الصنوج وتقرع الطبول.

**"عندنا شمسان."** ثمة متحف ثان غير عادي في بكس، في منجم ملح على عمق خمسمئة متر تحت سطح الارض. انه منجم بوبيه من مآثر القرن السادس عشر، وهو ينتج خمسين ألف طن ملحاً سنوياً، ويدر أموالا اضافية باستقبال الرواد في مواقع جديرة بالمشاهدة بما فيها متحف جوفي صغير يعرض أدوات التنجيم العتيقة.

والمنجم مكان مفضّل للاحتفالات المحلية. واتفق في يوم زيارتي أن أقيمت حفلة زفاف. فدعيت للانضمام الى الموكب في قطار صغير عبر نفقاً في جانب الجبل أفضى بنا الى صالة وهاجة ساطعة جمعت نحو مئتين وخمسين ضيفاً يحتسون الشراب ويأكلون ويرقصون على أنغام فرقة موسيقية صاخبة. "أنه المقام الأنسب لحفلة الأنس،" هكذا هتف والد العروس وسط هرج ومرج.

اذا كنتم تسعون الى تذوق الطبخ الراقي فأفضل ما تفعلونه أن تحجزوا طاولة في مطعم فريدي جيراردِيه في

كريسيبيه بجوار لوزان، اذ يعتبره الذواقة الأفضل في العالم. ولكن قد يتعين عليكم الانتظار أسابيع لشغور طاولة. أما الذين لا يريدون صرف ١٥٠ فرنكاً سويسرياً ثمناً لوجبة طعام فهناك فنادق صغيرة حافلة بالأطباق المحلية.

ويا لها من نزهة صيفية محببة سيراً على سفح التلة المشمسة فوق بحيرة ليمان. سألت رجلا صبغ البياض شعره كان مستغرقاً في العمل في كرم معلّق ما بين بحيرة وسماء: "لمِ المنطقة يانعة مثمرة هكذا؟" فاغتنمها الرجل سانحة للراحة وأجابني: لأن البحيرة ترد الصقيع المميت. ولأن عندنا شمسين: واحدة في كبد السماء وأخرى هناك في الأسفل." وأشار بمنجله الى انعكاس النور الباهر من البحيرة اللماعة.

**مونترو ولوزان.** بلدة مونترو الملقبة لؤلؤة البحيرة هي المنتجع الاكثر شعبية. ومن الاغراب الزائرين من يقصدها لاحتفالاتها الموسيقية الشهيرة، وآخرون انما يقصدون الشمس والمناخ الخفيف اللطيف الشبيه بمناخ المتوسط. ويتنزه الزوار في درب تمتد ستة كيلومترات محفوفة بالشجر والزهر. وان قسّمت وقتك بعناية فيمكنك التوجه من مونترو لتمضية صباح صيفي في التزلج على مجلدة ديابلريه التي ترتفع ثلاثة آلاف متر، ثم تمضي فترة بعد الظهر في التزلج المائي على بحيرة ليمان.

لوزان هي المركز الفياض بالحياة الاجتماعية في ڤود. انها عاصمة الكانتون وكبرى مدنه ويسكنها نحو ٢٠٠ الف نسمة. ويتوافد طلاب الجامعات والمدارس الراقية بعد الصفوف الى شاطىء بيلريف الذي يحتشد فيه نحو ١٢ ألف سابح ومتنزه في أمسيات الصيف الدافئة. يقول حارس هناك: "انه أوسع الشطآن السويسرية وأجملها." وتعتز لوزان بمتحف ليس له مثيل بين متاحف الدنيا: قصر بوليو الذي يعود الى القرن الثامن عشر، وفيه مجموعة فنية غريبة: ثمانية آلاف قطعة من زيتيات ونقوش وملصقات من ابداع السجناء ومرضى المصحات العقلية وآخرين من العائشين على هامش المجتمع. وقد أهداها الرسّام الفرنسي جان دوبوفيه الى لوزان عام ١٩٧١. وهو يقول: "انها تميط اللثام عن توتر فكرِي حارق وابداع غير ملجوم."

تحضّرت على مضض لمغادرة ڤود. وكان برج لوزان آخر المطاف. قصدته قُبيْل منتصف الليل وأوقفت السيارة هناك وانتظرت. فجأة أطل من أعلى البرج شبح رجل، وصاح صوت عال في المدينة النائمة: "هنا برج الساعة! لقد دقت ساعة منتصف الليل!"

ويلي آنن هو خاتمة حراس الساعات في أوروبا. يغادر غرفة نومه في البرج، ويتسلق الى قبة الجرس ويطلق النداء كل ساعة، من العاشرة مساء الى الثانية صباحاً.

لماذا؟

"لأن ذلك طريف،" قال لي أحد المارة متريثاً يتسمّع مثلي.

وقال آخر: "بل لأنه رومنطيقي."

تلك هي ڤود.

**جيفري لوسي** ■




## قبض للفتى الفرنسي عمل يدوي في المناجم لكن رئتيه القويتين وموهبته الفذة جعلته أبرع البوّاقين

الثالثة بعد الظهر، أوان الانصراف من مناجم الفحم خارج مدينة آليه جنوب فرنسا. العمال يجرون أقدامهم متعبين سود الوجوه، بينهم فتى اسمه موريس أندريه كان يتوقع أن يعمل هناك على غرار أبيه حتى يبلغ سن التقاعد في الخمسين، اذا ما صمدت رئتاه وجسمه تلك المدة.

ولكن خلال ثلاثين عاماً أصبح ذاك الفتى الريفي أعظم عازف بوق في العالم على النمطين الكلاسيكي والباروكي. ونجمه لامع اليوم كعازف منفرد مع أشهر قادة الفرق الموسيقية. وتسجيلاته الموسيقية التي تناهز ٣٠٠ تملأ رفوف محلات الاشرطة والاسطوانات. ورواجه العالمي يدفع الجماهير الى الاستماع اليه وقوفاً في حفلاته.

يقول عنه جان بيار ماتيز رئيس تحرير "براس بولتين" (١) وهي النشرة المرجع في عالم عازفي الآلات النحاسية: "سيطرة موريس أندريه على آلة خارقة".

ما الذي يجعل عازفاً يشبه باغانيني؟

الموهبة بلا ريب، فضلا عن المقدرة الجسمانية والخُلق. يقول أندريه: "طبعي قولبَه الدفء البشري الذي آنسته في المناجم، وطاقة الاحتمال الجسدي المطلوبة هناك. وقد خرجت من ذلك كله برئتين قويتين وعضلات مفتولة في الظهر والمنكبين. وهذه هي الأمور اللازمة للعزف على البوق".

عام ١٩٣٣ تاريخ مولد موريس كان عدد كبير من سكان آليه يعملون في المناجم. وفي السن الرابعة عشرة ترك

(١) Brass Bulletin



Illustration Paul Birling based on photos by Jean-Pierre Leloir

أندريه المدرسة وصحب أباه في مسيرة الخامسة فجراً كل يوم لاقتلاع الفحم قطعة قطعة ووصفه في عربات نقل ضخمة. وحالما ينتهي العمل يبدأ الوجه الآخر للحياة: الموسيقى. كان والد موريس عازفاً على البوق في فرقة المعدّنين وفي فرقة أخرى أهلية كانت تعزف في الاحتفالات. ودّ الأب لو يعزف ابنه على الفيولونسيل (التشيلّو)، لكن البوق أقل ثمناً، والعزف عليه تقليد ضارب في جذور العائلة اذ كان عم موريس بوّاق الجوقة الموسيقية في سلاح البحرية بطولون.

ذات يوم آب والد موريس الى المنزل بعد حفلة موسيقية ومعه بوق نحاسي عتيق كان أول "سلاح" امتشقه الابن. وبدأت دروسه عليه مع أبيه بأراجيز الحب وتطورات الى الموسيقى الشعبية وعلى رغم العمل الشاق كان لموريس وأبيه دوماً متسع من الوقت ليعزفا كثنائي أو مع فرقة المعدّنين. ولا ينسى موريس ذكرى أبيه وعمال آخرين حين كانوا يعزفون افتتاحية "زواج فيغارو" (٢) بعد نهار مضن في المناجم.

**أستاذ عسكري.** في غضون ذلك باشر موريس تمارين رتيبة قاسية في اشراف ليون بارتيليمي، وهو صديق للعائلة تلقى تدريباً اكاديمياً. والتحق الصبي بفرقة الموسيقى البلدية في آليه. وقد دأب بارتيليمي على حض والد موريس: "ابنك ذو موهبة فذّة. ينبغي أن ترسله الى المعهد الوطني للموسيقى في باريس".

لكن دفع مصاريف موريس في باريس غير وارد بتاتاً. وفي نهاية المطاف ابتدع بارتيليمي الحل الآتي: ينضم موريس الى الجيش عضواً في الفرقة الموسيقية العسكرية بمنطقة باريس. وان كشف عن موهبة وقّادة فقد يسمح له بأن يدرس مجاناً في معهد الموسيقى.

خضع موريس لاختبار بغية الالتحاق بالفرقة الموسيقية التابعة للفوج الثامن في فيلق الاشارة، وقُبل على الفور. وشرع يتلقن العزف أربعة أيام أسبوعياً على الاستاذ ريمون ساباريش في المعهد الوطني للموسيقى. وسرعان ما أدرك ساباريش موهبة موريس العظيمة. لكن الشاب ذا الثمانية عشر ربيعاً سكر بنشوة باريس ولم يمض وقتاً كافياً للتمرن على العزف. وطفح الكيل بساباريش فعنّف تلميذه بقسوة وطرده صائحاً به: "لا تعد إليّ حتى تصبح مستعداً للدرس".

زعزع ذلك موريس، فانصرف الى التمرن بمفرده وعلى نحو أشد مما في اشراف المدرّب. وعندما استدعاه ساباريش بعد ثلاثة أشهر برع في عزف ١٢ مقطوعة موسيقية من الصعاب كان رفقاؤه في الصف دأبوا على تعلمها مدة خمسة أشهر.

وفي السنتين اللاحقتين فاز أندريه مرتين بالجائزة الأولى في المسابقات السنوية التي ينظمها المعهد الوطني للموسيقى، وطلب اليه من ثم أن يشارك كعازف منفرد في جوقته الموسيقية. ولدى انتهاء خدمته العسكرية لم يبد رغبة في العودة الى آليه. واضطلع بأعمال موسيقية متنوعة، عازفاً مقطوعات باخ

(٢) The Marriage of Figaro

مع فرقة "لامورو" الشهيرة أو عازفاً للبهلوانات والفيلة في السيرك.

عام ١٩٥٥، بالحاح من ساباريش، شارك أندريه في مباراة جنيف الدولية للموسيقى ذات المستوى الرفيع، وخرج بالجائزة الأولى البالغة ٦٠٠ فرنك سويسري وبساعة ذهبية وعدة عروض للعزف في حفلات موسيقية لم يكترث لها اذ انه لم يلو أن يغدو عازفاً منفرداً. فالعازفون المنفردون على البوق كانوا يعدون على الأصابع في تلك الأيام. والمجموعة الصغيرة لألحان البوق المنفردة قلما تعزفها الجوقات الموسيقية الكبرى. آثر أندريه أن يعود الى سيرته الأولى في نشاطات سريعة التقلب.

**زوجة صالحة.** ذلك العام غيرت مسار حياته واقعة طارئة. فلدى عودته من مهرجان موسيقي شارك فيه في مونترو بسويسرا، توانى في ممشى القطار ماداً يد العون الى صبية جذابة أرادت أن تفتح الشباك. وما لبثا أن تزوجا بعد ستة أشهر. وكانت تلك بداية شراكة حميمة. كانت ليليان شابة واعية وطموحاً ولها ثقة عمياء بموهبة زوجها. وفي رأيها أن نكوصه عن حرفته كعازف منفرد أمر غير وارد اطلاقاً.

ولكن مرت السنون ومستقبل أندريه الموسيقي متعثر. وهو يذكر تلك الفترة: "كنت أعزف في أي مكان ولا أحظى بحضور. وكنت أتقاضى مبالغ زهيدة لعزف مقطوعات تتطلب إعداداً مجهداً". وكان يؤوب الى شقته الباريسية الحقيرة وقد بلغ منه القنوط مبلغه فيبكي. غير ان زوجته لم تكل من حضه على الاستمرار.

والواقع أن البوق، كآلة منفردة، قد أحدر الى الدرجة الثانية. فهو في العهود الغابرة كان وقفاً على الكهنة، واستعمل من بعد للنداء الى ساحة الوغى أو لاعلان ميلاد أولياء العهد. وسطع نجم البوق مع المؤلفين الموسيقيين الباروكيين أمثال فيفالدي وباخ وهاندل، وتردد صداه في البلاطات الملكية في أرجاء أوروبا. ولكن في أواخر القرن الثامن عشر تدنت شعبيته ولم يسترجع مكانته الأولى.

عام ١٩٦٣ اختير أندريه، وكان في الثلاثين من عمره، عضواً في هيئة التحكيم في المباراة الموسيقية الدولية في ميونيخ بألمانيا الغربية. لكنه عوض ذلك اختار أن يكون ضمن المتبارين، فحاز بأدائه البارع الجائزة الأولى واعجاب دنيا الموسيقى. وفي السنين العشر التالية رسخ شهرته كعازف منفرد بتسجيل مقطوعات لفيفالدي وتيلمان وباخ، بمواكبة قادة موسيقيين مشهورين أمثال لوران مازيل وكلوديو سيمون وكارل مونشنغر وكارل ريشتر وهربرت فون كاراجان.

وانهالت عليه الدعوات للعزف في ألمانيا الغربية وسويسرا وفرنسا واليابان والدول الاسكندينافية وأمريكا الشمالية والجنوبية. ونظراً الى براعته الفنية المنقطعة النظير، وجهارة عزفه، وتصرّفه الحاذق بفنون مختلفة، تألّب الناس لسماع عزفه، وبسببه أحبوا سماع البوق.

وبحلول منتصف السبعينات كان أندريه يعزف في نحو ٢٢٠ حفلة موسيقية

سنوياً أمام حضور قارب ٣٠٠ ألف شخص. وقد تمكن من تسجيل جميع المقطوعات الكلاسيكية المخصصة بالعزف على البوق، إضافة الى موسيقى شعبية وموسيقى الجاز. وهو أغنى ذخيرة الألحان بـ١٤٠ كونشيرتو (٣) ألفت لتعزف على آلات موسيقية أخرى كالكمان والناي والمزمار.

**موهوب مجتهد.** موريس أندريه الآن في السادسة والخمسين، قصير القامة، بدين، تصطخب الحياة في عروقه، ذو شعر بلون الفضة وسحنة متوردة. وفي احدى الحفلات الموسيقية التي أحياها في روان بفرنسا راح يقفز على خشبة المسرح ملوحاً بيده باسماً.

وهو اذ يعزف يكوِّر رأسه بمرح على ذقنه المزدوجة، وتمتلىء وجنتاه بقوة النفخ فتكادان تحجبان بقية وجهه.

في ختام العزف يتفجّر الحفل هاتفاً مصفقاً. ولدى طلب الجمهور الاستزادة يقف أندريه في مقدم المسرح، منكتاً، محاكياً صوت نقّار الخشب، مختتماً بأداء لحن "ملكة الليل" من مقطوعة "الناي السحري" (٤) لموزار، فيندلع التصفيق والصيحات في أرجاء المكان، وموريس أندريه جذلان في رأس المستمتعين.

وعلى رغم هذه المظاهر الفرحة فليست أوقاته كلها هناء. وهو يقرّ: "أنا موهوب، لكن ما يميزني عن سواي هو أني أعمل بجد أكثر". اذ ما زال يدأب على التمرن خمس ساعات يومياً. وهو يقول: "ينبغي للعازف أن يروض رئتيه وشفتيه. فالشفة عضلة عجيبة تقبض على مقام نغمات البوق المرتفعة الطبقة، وتمسك بزمام النغمات المنخفضة الطبقة، مما يوجب تدريبها كما تدرب العضلات".

اثناء الأسفار يلتزم أندريه حمية لا يحيد عنها، فلا يأكل الا اللحوم المشوية. لكنه بعد حفلاته الكثيرة يشبع نهمه لدى عودته الى المنزل. وهو يقول: "الأكل الطيب هو متعة الدنيا." غير أن لب حياته البيتية في منزله الفسيح بجنوب باريس هو الموسيقى. فابنته البكر دومينيك (٣٣ عاماً) عازفة على الغيتار، وولداه ليونيل ونقولا بوّاقان، وبياتريس الصغرى (١٧ عاماً) تعزف على المزمار والبيانو. وربّة البيت ليليان تشرف على اشغال البيت من دون كلل ولا ملل وتدير أعمال زوجها باقتدار.

ولقد اختصر أندريه جولاته الموسيقية، إلا أنها لا تقل عن ٨٠ حفلة في السنة. ويتيح له الطواف لقاء تلاميذه السابقين المنتشرين في أصقاع الارض.

**معلِّم محبوب.** في ١٩٦٦ خلف أندريه أستاذه ساباريش في معهد الموسيقى، وزاول التعليم هناك مدة ١٢ سنة عاملا على تدريب أكثر من مئة بوّاق شاب. ويتحدث الطلاب عن أستاذهم النشط السهل المعشر الذي يحوّل الصف حفلة موسيقية ويستلّ الضحكات من أعماقهم بنوادره ولا يغفل عنه انتقاد عزفهم بقسوة ومن دون تحامل. ويقول اندريه: "اني أسعى الى جعل تلاميذي ذوي المواهب ينجزون في عشر سنين ما

(٣) الكونشيرتو لحن يعزف على آلة منفردة أو اكثر بمصاحبة الفرقة الموسيقية.
(٤) Magic Flute

استغرق مني عشرين عاماً". وثمة سبعة تلاميذ يزاولون مهنة العزف المنفرد على البوق، منهم برنار سوسترو ونيبيري كان وغي توفرون، ويصرح هذا: "لقد ألهم موريس أندريه جيلا من العازفين على النحاسيات، وأنشأ مدرسة بوقية عالمية."

وقد رعت مدينة باريس في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨ "مباراة موريس أندريه الدولية الثانية للبوّاقين". ومع أن هذه المباراة لا تزال في أول عهدها، فقد غدت احدى المسابقات الاكثر شأناً في العالم. وقد اشترك ٧٤ عازفاً ممن هم دون الثلاثين في برنامج شديد الصعوبة من اعداد اندريه وسوسترو وسواهما. وبلغت قيمة الجائزة الأولى المرصودة ٦٠ ألف فرنك فرنسي فاز بها الامريكي ستيفن بورنز (٢٩ عاماً)، اضافة الى اشتراكه كضيف في الحفلات الكبرى وارتقائه سلم الشهرة عالمياً.

ومع كل النجاح الذي أصابه اندريه فانه لم يتغير إلا قليلا عن ذاك المعدِّن في آليه، فما زال على سجيته دافئ المشاعر غير مزهو بنفسه. وقد ظل غير جاحد حظه المدهش الذي رفعه من المناجم الى قاعات الموسيقى الكبرى في العالم وهو يقرّ بفضل رجل في الحياة التي يعيشها: "ظل أبي يهبط المناجم يومياً مدة ثلاثين سنة والبسمة مرتسمة على محياه. فلم لا أغتبط أنا حين أعزف الموسيقى؟ انها أروع حرفة في الكون."

**بريسيلا باكلي** ■.



## شهرة مقلوبة

يتذكر المنتج التلفزيوني ستيفن دوار قصة كان الممثل الراحل لورن غرين يرددها دائماً:

كان نازلا في أحد فنادق تكساس عندما شاهد امرأتين مسنتين تنظران اليه من بعيد وتتهامسان. فتقدم نحوهما وحياهما. وما ان ادار ظهره حتى سمع احداهما تقول للاخرى: "هل رأيت ذلك؟ انني أشاهده كثيرا في التلفزيون، فظن أنه يعرفني!"

ب. س.

---

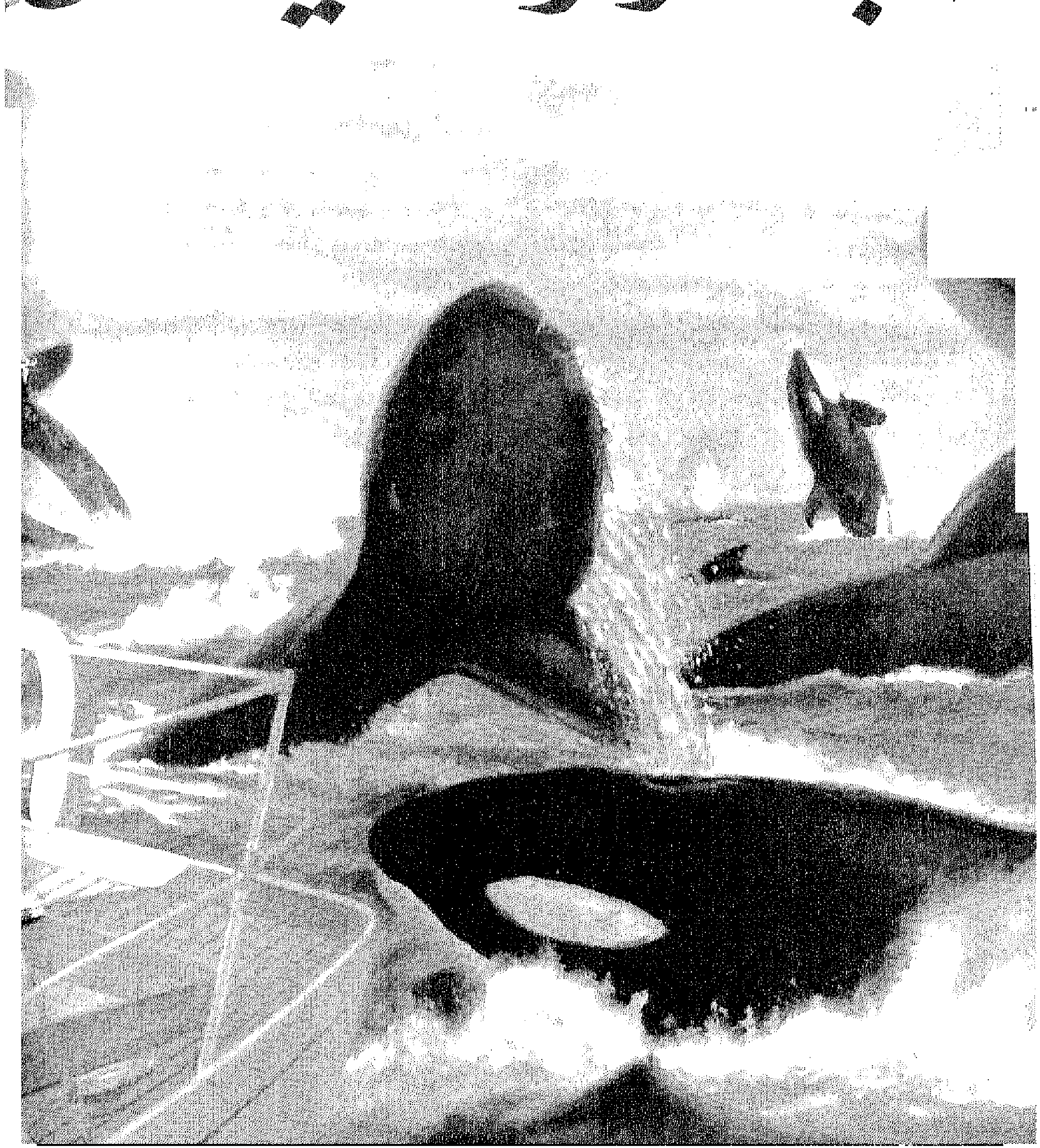
## مكالمة من طرف واحد

عندما أخبر عامل الهاتف أحد المتصلين أن المكالمة الخارجية ستكلفه مبلغاً كبيراً، سأله الرجل: "أليس لديكم سعر خاص بالاستماع؟ فأنا أريد الاتصال بزوجتي."

أ. ر. ح.

مأساة واقعية

# البحّار والحيتان



# القاتلة

## ما ان تحقق حلم البحار المتمرس حتى تحوَّل كابوساً إذ ألفى نفسه وحيداً وسط قطيع حيتان

فجر الحادي عشر من يونيو (حزيران) ١٩٨٨ كانت الامواج تتلاطم في شمال المحيط الاطلسي والسماء ملبدة بالغيوم. دفع ديفيد سيلنغس (٤٠ عاماً) مركبه "هيكاب"، وطوله تسعة أمتار، في مواجهة رياح المحيط. كان يقظاً ومتقداً حماسة على رغم أنه لم يغفُ إلّا لماماً منذ بدء سباق كارلسبرغ للبحارة المنفردين عبر الاطلسي قبل ستة أيام في مضيق بلايموث ببريطانيا. انه يشارك في أحد أعظم سباقات العالم الشاقة، محققاً حلم حياته.

مسح البريطاني رذاذ الماء عن عينيه وحدق الى الافق الرمادي. ان عزلة البحر جعلته سريع التأثر بكل منظر وصوت وملمس. وهو منذ بعض الوقت يشعر بحضور غريب قريب منه.

أمضى سيلنغس جل عمره في الابحار، وقطع المحيط الاطلسي مرتين منفرداً، وتعلّم أن يثق باحساسه. قال في نفسه: هناك شيء ما. وبحث في الامواج عن مستوعبات شحن وبراميل نفط غارقة قد تهدد المركب بكارثة. ثم التقط جهازه اللاسلكي أصوات ثلاثة من المتسابقين. لقد أخره عطل في المركب ثماني عشرة ساعة. لكنه اذ سمع الثرثرة على الجهاز اللاسلكي تأكد من أنه يلحق بالركب فصرخ بانفعال: "هوراي!"

Illustration: Victoria Vebell

شغل مرقب الملاحة الذي يلتقط بث الاقمار الاصطناعية، فارتسم على الشاشة رقم بُثّ من الفضاء دلّ على أن موقعه الجغرافي يبعد ١١٠٠ كيلومتر عن بريطانيا. ان السرعة الثابتة التي كان يبحر بها على مدار الساعة جعلته راضياً عن نفسه. تشجع ووضع "القبطان الآلي" في اتجاه يوصله أخيراً الى الخط النهائي في نيوبورت بولاية رود آيلند الامريكية التي تبعد ٣٧٠٠ كيلومتر.

عند الاصيل فقد سيلنغس الاتصال اللاسلكي بمنافسيه الثلاثة. أما احساسه فظل يخبره أن شيئاً ما قريب منه. ولكن ما هو؟

قرابة الخامسة عصراً رأى للمرة الاولى نحو عشرة حيتان على بعد خمسة عشر متراً من ميمنة المركب، وسرعتها تعادل سرعته. ولم يدرك الا لاحقاً، وهو مضطجع على سريره يصغي الى صوت المركب، أن ما سبق ان شعر به كان وجود حيتان.

عند منتصف الليل استيقظ وتطلع الى الخارج عبر الكوة المظلمة في جانب المركب. ثمة ضوء في رأس صار يهتز على بعد تسعين متراً. ابتهج سيلنغس. وحفظ شراعه مسوّى وذراع الدفة متوازناً الى أن لحق منافساً آخر. وصاح عبر جهازه اللاسلكي: "هنا هيكاب. وداعاً."

أجاب السبّاق المغلوب بصوت كسول: "حظاً سعيداً."

تأكد سيلنغس ثانية من صحة اتجاهه وهو يراقب ضوء الصاري يتراجع في الظلام. وفكر في الحيتان السابحة في مكان ما تحت الامواج المتلاطمة السوداء. انه يشعر بها.

الهام بالخطر. ظل سيلنغس منشغلا طوال اليوم التالي. كان يسوّي اتجاهه باستمرار ضد كل تغير في الريح. وبات معدل سرعته ٢٦٥ كيلومتراً في اليوم.

في الثانية بعد الظهر، بينما كان سيلنغس يحاول أن يختطف نصف ساعة من النوم، انتابه الهام غامض بوجود خطر ما. وفجأة سقط كتاب عن الرف وانتصب هو مذعوراً.

كان الكتاب مصوناً على الرف، وقد قاوم رياحاً عاصفة قاسية من قبل. لماذا سقط الآن في مياه هادئة؟

منذ كان سيلنغس ولداً يبحر من ايستبورن كان يستخف بالخرافات. لكن الوقت الذي صرفه في رحلات خطرة زاده احساساً بالظواهر غير المتوقعة.

راح يتنقل بعصبية بين مؤخر المركب ومقدمه متفحصاً متفقداً. وحين غابت الشمس تفحص المياه المتقلبة تحت السحب الكثيفة المنخفضة. ها هي الحيتان! وما زالت زعانفها السود الكبيرة تمخر سطح الماء. ثمة أجسام كثيرة لامعة ذات زعانف، طول كل منها نحو ستة أمتار، ويبدو أنها في ازدياد.

كان سيلنغس مأخوذاً بالسباق، فحاول أن يتجاهلها. فهو شاهد مئات الحيتان في حياته البحرية. انها حيوانات ذكية وصديقة ذات فضول يشبه فضول البشر. وهذا محيطها. فليحصر قلقه في الملاحة والطقس والسرعة.

عندما أوى سيلنغس الى سريره كان ظلام، وغلب الارهاق شعوره الغريب بالخوف، فأغفى. واذا أصوات تزعق خارج المركب وتزداد ارتفاعاً.

"ما هذا بحق السمــاء؟" انتصب سيلنغس على قدميه. فهناك ضجيج صاخب مهووس يتردد صداه في أنحاء المركب. أصوات غريبة متفاوتة بين مواء قطط وصراخ فيلة. حيتان؟ أصغى مذهولا واهناً مرتجفاً محاولا أن يتصور ما الذي أثارها.

تساءل: أتحاول أن تخبرني شيئاًما؟ أتحذرني؟ كانت قصعة المركب المصنوعة من خمس طبقات من خشب الصنوبر المسبوك وخشب الماهوغاني المصفح، تهتز لدى مرور الحيوانات.

تسلق سيلنغس حافة السفينة فاذا بالحيتان تصعد الى سطح الماء طلباً للهواء. وكانت تتقلب وتغطس في الماء بخشونة ناثرة رشاشاً على بعد أمتار من المركب. ومع أن سيلنغس كاد لا يرى أبعد من مسافة مترين في المحيط تحت سماء غير مقمرة فقد أحصى ستة من الجبابرة تدور وتتزاحم متلاصقة. فجأة اختفت. وجلس هو في قمرته يحدق الى الظلام منذهلا.

غفا سيلنغس غير مرة بقية الليلة، ولكن لدقائق فقط. ولازمه الشعور المنذر بالسوء الذي غمر احساسه أياماً. انه لا يستطيع الا مواصلة الابحار، والصلاة.

**انها ليست لعبة.** في العاشرة من صباح ١٣ يونيو (حزيران) دل المرقب سيلنغس على أنه يبعد مسافة ١٦٠٠ كيلومتر في عرض المحيط. فقد أبحر ثلث مسافة السباق بمعدل ١١ كيلومتراً في الساعة. وفكر: أستطيع الفوز بالمرتبة الاولى! وشغل نفسه محاولا تجاهـل الزعانف الظهرية التي برزت مجدداً على بعد قرابة خمسين متراً.

وسرعان ما ظهرت رؤوس كبيرة ناعمة كروية فوق سطح الماء، وبدا أنها تفتح طريقاً لاخرى تحتشد حول المركب. في كل صوب أجسام ضخمة لامعة، بعضها يزن قرابة طنين، تتقلب وتغطس في الماء مالئة الهواء رذاذاً.

بعدما تأكد سيلنغس من أن مركبه يبحر بهدوء أمسك آلة التصوير ليسجل هذا المشهد الغريب. تذكر أن الحيتان شهيرة بمجونها. ولم يكن هناك من يسمعه في مدى جهازه اللاسلكي، وارسال اشارة طوارىء على موجة طويلة كان امراً غير منطقي. فالاخطار الوحيدة التي يمكن ان يبلغ عنها هي مشاعره فحسب.

مع ذلك بدأ الهامه ينكشف عن حقيقة مخيفة. فالحيتان، من جميع الاحجام، احتشدت من كل صوب. كثير منها وقف عمودياً خارج الماء يزعق ويطلق أصواتاً ناشجة كأنما يتخاطب أو كأنما يكلمه هو.

خفض سيلنغس آلة التصوير مرتعباً. فقد تكوّنت حول المركب دائرة من الزعانف الظهرية. كانت الحيتان تطوقه!

قال في نفسه: هذه ليست لعبة. انه وضع خطير جداً. ثم رأى قطيعاً من حيتان أكبر حجماً يمتطي موجة بيضاء مرتفعة، يغطس ويقفز نحو المركب.

تشدد سيلنغس وراقب بخوف، فيما الحيتان الصغيرة تسبح نحو المركب وتهزه بسهولة كما تهز لعبة. وبعد ثوان شكّل القطيع كله طوقاً صلباً من الاجسام، محدثاً حقلا مائياً من سحب رذاذ وزعانف حدباء كالسيوف.

**"النجدة!"** بغتة برز من وسط القطيع حوت قارب طوله ثمانية أمتار محدثاً ضوضاء. وبالقرب منه ظهر حوت ثان وتبعه آخر. أما الحيتان الاصغر حجماً فكان رد فعلها ذعراً وابتعاداً عن المركب الذي فقد توازنه.

صاح سيلنفس: "يا الهي! لا!" وأمسك حاجزاً معدنياً في قمرته بينما انزلق وسط القطيع حوت كبير أحدث زبداً أبيض، وصدع برأسه مؤخر المركب. وبعد لحظة ضرب المركب حوت آخر فارتجّ.

انفصلت الدفة عن مؤخر المركب كأنما هي عود ثقاب. وتحطمت الاقسام السفلى من المركب فغار في الماء. فتحرك سيلنفس غريزياً وفكر: "لديّ ثوان، ثوان فقط."

ارتدى صدرة النجاة ثم شغل الجهاز اللاسلكي وكرر: "النجدة! النجدة!" وحدد موقعه.

التقطت النداء سفينة شحن المانية غربية تدعى "بريدج ووتر" كانت في طريقها الى بريطانيا. في غضون ذلك كان المركب "هيكاب" يتمايل تحت وطأة هجمات الحيتان. وتسارعت في ذهن سيلنفس اجراءات النجاة حابسة كل تفكير آخر.

ضربتان أخريان هائلتان على مقدم المركب هزتاه من جنب الى جنب. وفي دفق مائي انكسر القسم الواقع أمام الصاري. ألقى سيلنفس الجهاز اللاسلكي واسرع الى حافة المركب. وإذ بدأ المؤخر يميل الى فوق رمى البحار طوف نجاة في الماء وقفز الى العباب المتحرك.

صرخ: "يا الهي، ساعدني!" وأمسك بالحبل الذي ينفخ الطوف وجذبه بعنف. انتفخ الطوف آخذاً شكل منطاد، وكافح هو بكل قواه المتضائلة ورفع نفسه الى داخل الطوف. في تلك اللحظة اختفى المركب "هيكاب" تحت الامواج.

لما غرق المركب تفرقت الحيتان وغاصت بسرعة ربما لتتعقبه في انحداره اللولبي.

جلس سيلنفس في الطوف مرتجفاً وحدق غير مصدق الى الحطام العائم. لديه ليتران من الماء يجب أن يقننهما بعناية. احتمال الخلاص ضعيف، فهو أرسل اشارة مختصرة واحدة قبل أن يقفز عن متن مركبه.

قدّر سيلنفس أن الطوف سيندفع مع التيار نحو الشاطىء الاوروبي خلال خمسة أسابيع. ولدى وصوله يكون قد مات.

**دوي في المحيط.** بعد انقضاء الاصيل ظن سيلنفس أنه سمع طائرة فوق رأسه. أدرك أن استغاثته التقطت. ولكن أيستطيع رجال الانقاذ العثور على طوفه الصغير؟

بغتة أسفّت طائرة بحث وانقاذ من سلاح الجو الملكي البريطاني والقت عوامة دخان للارشاد. موقعه اكتشف، والباخرة التي التقطت استغاثته لا بد من ان تكون أوصلت رسالته الى خفر السواحل في فالموث فأنذر هذا سلاح الجو الملكي.

في السابعة والدقيقة الخمسين مساء خرق السكون دوي كالرعد. هز سيلنفس رأسه وفرك عينيه. وأخيراً ارتفع طوفه فوق موج عال فتثبت من المصدر الذي

يبعد قرابة ٨٠٠ متر: ان "بريدج ووتر" تنفخ بوقها، ترشدها طائرة الانقاذ.

خلال ثلاثين دقيقة أصبحت الباخرة في محاذاة الطوف. اصطف البحارة على حافتها وراحوا يصرخون مشجعين وبعضهم يلتقط صوراً. لوّح سيلنغس بيديه. ان الحلم الذي أصبح كابوساً قد انتهى.

بعد قرابة ست ساعات في الماء نقل سيلنغس الى متن "بريدج ووتر" وأعطي ثياباً جافة. وأخبره القبطان بيتر فرايك أنه رأى قطعان أسماك كبيرة سوداء غداة ذلك اليوم قرب المكان الذي تحطم فيه "هيكاب". ثم سمع نداء الاستغاثة ورد على سيلنغس: "لن أغادر من دونك."

منذ ذلك الحادث والعلماء يفكرون في الهجوم. رأى بعضهم أن سيلنغس أبحر خطأ في منطقة توالد الحيتان، وان هذه كانت تدافع عن صغارها. أما أنطوني مارتن كبير العلماء في "وحدة أبحاث الثدييات البحرية" في كامبريدج ببريطانيا فيعتقد أن قطيعاً من الحيتان القاتلة(★) ربما هاجم مجموعة من الحيتان الصغيرة غير المؤذية التي تجمعت حول المركب طلباً للامان.

أما ديفيد سيلنغس فعاد الى ايستبورن آملا أن يقتني مركباً جديداً. فعلى رغم تجربته ما زال اغراء البحر يجتذبه. البحر وما فيه من كائنات غامضة.

**شلدون كيلي** ■

(★) Orcas or killer whales



## شجرة على الطريق

كانت صديقتي عالمة النبات تقود سيارتها في طريق جبلية، فلمحت شجيرة غريبة عند سفح التلة. فانحرفت بسيارتها الى جانب الطريق وخرجت للاستكشاف. وفي اللحظة ذاتها تمهلت سيارة أخرى مندفعة وأنزل سائقها زجاج النافذة وسأل: "هل تعانين مشكلة يا آنسة؟ هل أستطيع المساعدة؟"

فأجابت صديقتي: "كلا، شكراً. كل ما في الامر أني أسعى الى شجيرة خفيضة كثيفة الاغصان."

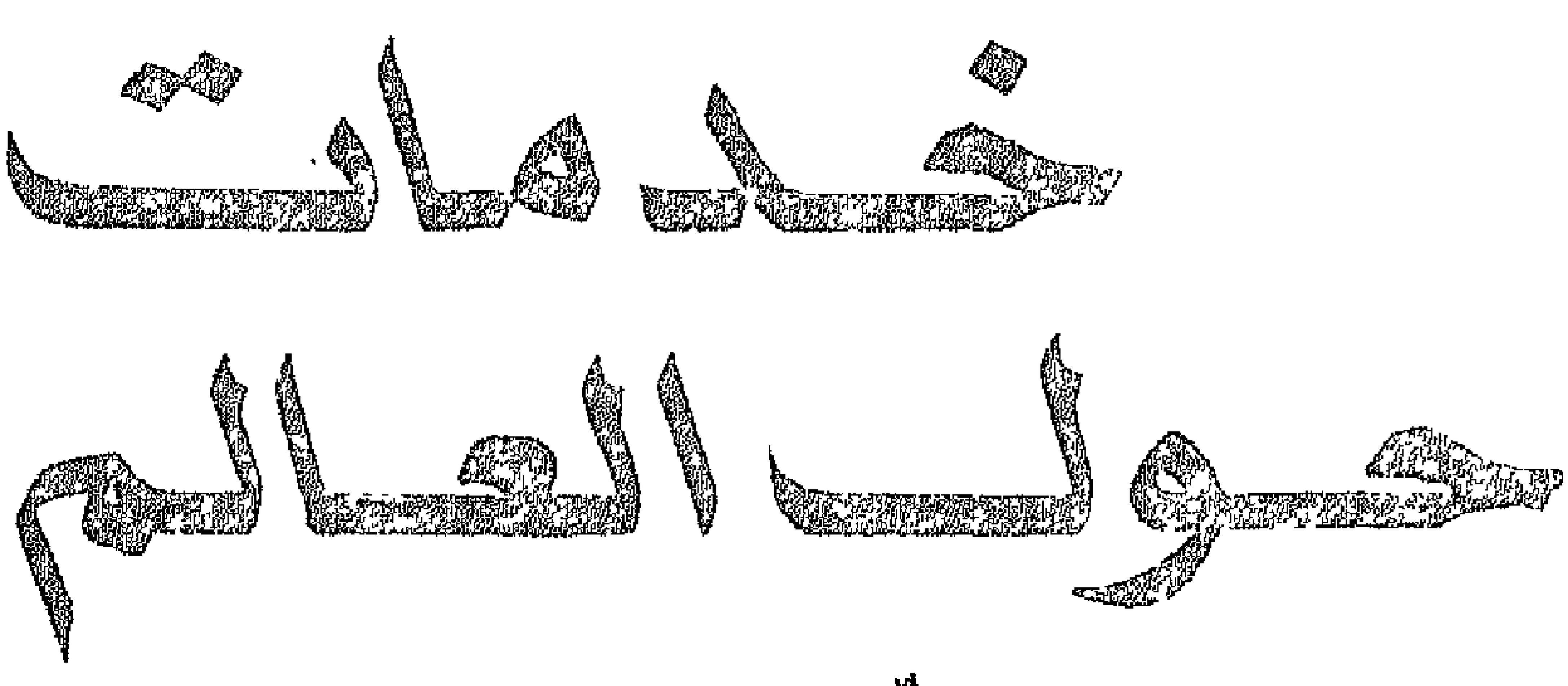
فاحمر وجه الرجل خجلا وتمتم وهو ينطلق بسرعة: "لا مؤاخذة!"

ت. م.

---

قال مراهق لرفيقه: "يا لها من حفلة! كانت الموسيقى رديئة حتى انك كنت تتحدث الى جارك فيسمعك!"

ج. غ.




## متطوعون يضعون خبرة حياتهم في تصرف المؤسسات المتعثرة في العالم الثالث

سليم شيفرز تراوده فكرة، ولديه مشكلة. فالمصاريف تزداد أكثر من المداخيل في مزرعة الماشية والمسلخ اللذين يديرهما قرب نوساكا عاصمة زامبيا. وهو أكيد من قدرته على فتح سوق جديدة بصنع فطائر اللحم المفروم. لديه كل ما يلزم من أبقار وأيد عاملة. كل ما يحتاج اليه هو الخبرة العملية.

ويتذكر شيفرز الآتي من مقاطعة ويلز في بريطانيا: "لم تكن امكاناتنا تسمح باستخدام خباز محترف".

واتفق أن ذكر له صديق أن "المنظمة البريطانية للخدمات الادارية وراء البحار" (١) ومركزها لندن، ترسل خبراء متقاعدين الى بلدان العالم الثالث. كتب شيفرز يسأل المنظمة أن ترسل اليه خبيراً.

ويعترف شيفرز: "بصراحة، لم أعتقد أنهم سيرسلون شخصاً مناسباً". لكن المنظمة أرسلت اليه هنري ديفيس التقني الغذائي من ويلتشاير الذي أمضى ٣٥ سنة في صناعة المعجّنات المحشوة لحماً. طار ديفيس الى لوساكا متلهّفا لمقاسمة خبرته. وسرعان ما جهّز مطبخاً في جوار المسلخ. وفي يومه الرابع أعدّ مع ثمانية عمال زامبيين درّبهم عيّنة من ٣٠ فطيرة. ويقول ديفيس باعجاب: "ما افتقده المدرّبون من تجهيزات مطبخية عوّضوه بحماستهم".

أسرع ديفيس وشيفرز بالعيّنات الى لوساكا، ووضعا فطيرتين أمام مدير متجهم الوجه في أحد المخازن الكبرى. فتناول بضع لقمات وحكم أنها لذيذة الطعم. ثم أملى طلبه. وتكرّر هذا المشهد في مخازن أخرى وفنادق في أرجاء العاصمة. وهكذا ولدت صناعة معجنات اللحوم في "مزرعة مومبيلو".

بعد ثلاثة أشهر ارتفع الانتاج الى أكثرمن ٧٠٠ فطيرة يومياً. واليوم بات المشروع يدر أموالا وافرة ويؤمن عملا لعشرين زامبياً في منطقة تشكو بطالة.

(١) British Executive Service Overseas

**خبرة مشاركة.** قصة نجاح هنري ديفيس ليست الا واحدة من قصص "المنظمة البريطانية للخدمات الادارية وراء البحار". فهي أرسلت أكثر من ١٢٠٠ اداري ورجل أعمال لمساعدة مؤسسات مجاهدة حول العالم. وعلى سبيل المثال، خاطرت الخبيرة في تربية النحل الدكتورة ايفا كرين في الذهاب الى أوغندا في خضم الحرب الاهلية لمساعدة المزارعين على تعزيز انتاجهم من العسل. أما بيتر نورمن، القبطان المتقاعد لاحدى بواخر شركة "شل"، فغادر منزله في كنتبوري بمقاطعة بركشاير قاصداً أدغال بورنيو في الشرق الاقصى ليساعد شركة نقل بحرية على تنظيم أسطولها.

ما من مهمة تعتبرها المنظمة بعيدة. فلقد أرسلت أحد متطوعيها الى جزيرة سانتا هيلانة المشرّعة للريح في جنوب الاطلسي لإجراء دراسة حول امكان انشاء مصرف تجاري.

بعض زبائن المنظمة حكومات دول. فخبراء المنظمة دفعوا جزر كايمان في طريق الازدهار بوضعهم برنامجاً من خمس سنوات للانماء الاقتصادي. ومن الزبائن أيضاً قبائل، مثل قبيلة كيويو في كينيا التي انخفضت مبيعات مصنعها من المواد المطاطية على نحو مريع، فأرسلت اليها المؤسسة في مارس (آذار) ١٩٨٨ بريك دايل (٥٩ سنة) المدير السابق لقسم الكيميائيات في شركة "بريتيش بتروليوم".

قال دايل لعمال المصنع: "أريد أن أساعدكم كي تساعدوا أنفسكم". واقترح تغيير الصيغة الكيميائية للمماحي، فتحسنت جودة الانتاج، وهبطت المصاريف بنسبة ٤٠ في المئة. وكانت هدية دايل الى القبيلة قبل عودته الى بلاده خطة مالية بارعة تنبىء بأن الارباح ستزيد ثلاثة أضعاف بحلول العام ١٩٩١.

يقول مدير المنظمة غوردون ويلسون: "كل متطوعينا تجمعهم صفة حيوية واحدة. فهم ليسوا مهتمين بتأمين راحتهم الآن بعدما تقاعدوا. كل ما يبغونه هو مقاسمة الآخرين خبرتهم."

وتلقى العروض العملية للمهارات الخاصة اعجاباً وتقديراً كبيرين. فهذا برنارد هارفي، المدير السابق لقسم البحث والتطوير في شركة "كلاركس" للاحذية ذات الشهرة العالمية في سومرست، سأله مصنع صغير للاحذية في غواليور بالهند كيف يحسّن انتاجه. فحدد بسرعة المشكلة الاساسية: الهدر في قص الجلد. وشمر عن ذراعيه وعرض عملياً الفن المعقد في التفصيل والقص لصنع العدد الاقصى من الاحذية من قطعة جلد.

عاد هارفي الى غواليور بعد سنة، في ١٩٨٥، وسرّه أن يجد الانتاج تضاعف الى أكثر من ٦٠٠٠ حذاء في الاسبوع.

**عطاء الاحتراف.** لمعرفة كيف تدير المنظمة مخزونها من "الادمغة الدولية" قصدت مكاتب ادارتها العامة في لندن. يضم المكتب تسعة اداريين متقاعدين يتقاضون أجراً رمزياً. ولا يرى مدير المنظمة غوردون ويلسون ضيراً في أن يشاطره احد الموظفين مكتبه. وفي ذلك يقول: "نحن نعمل برأسمال زهيد ونرغب في خفض المصاريف".

والمنظمة مؤسسة خيرية لا تتوخى الربح. يقول ويلسون: "في مقابل كل جنيه استرليني نحصّله من المتبرعين تعطينا الحكومة ثلاثة جنيهات". وفي السنة المالية الاخيرة جمعت المنظمة نحو ٩٠ ألف جنيه (١٥٠ ألف دولار) من مؤسسات اقتصادية فاعلة، فتلقت من الحكومة هبة بلغت ٣٩٠ ألف جنيه (٤٩٠ ألف دولار).

تصل نداءات المساعدة عبر السفارات والقنصليات البريطانية في الخارج وشبكة من رجال الاعمال البريطانيين المتعاونين مع المنظمة والعاملين في البلدان النامية. ولكن، كما يقول الاداري فرانك رايت، "تأتي معظم الطلبات مشافَهَةً. فبعد أن يؤدي احد المتطوعين مهمة ناجحة تنتشر الاخبار بسرعة".

كيف يتحول المهندس الكهربائي أو صانع الورق متطوعاً؟ يتصل بالمنظمة ويملأ قسيمة يفصّل فيها مهاراته. ويقول ويلسون محدداً: "نحن نسعى الى أناس شديدي الاحتراف، واسعي الحيلة، أكفياء، يتفهمون دوافع المنظمة ويستطيعون الانسجام مع الآخرين. وتناسب متطلباتنا عدداً مدهشاً من المتقاعدين".

يُنتظر من الزبون وراء البحار أن يؤمّن الطعام والمسكن خلال المهمة التي تطول عادة نحو شهرين. وتعطي المنظمة المتطوع بدل ثياب ومبلغاً متواضعاً لمصاريف الجيب، اضافة الى أجرة سفره جواً مع زوجته.

وتقدم الزوجات مساهمة مهمة. في العام ١٩٨٥ استجاب يان ديكسون، المحاسب المالي السابق لدى مؤسسة "بارينغ" المصرفية في لندن، لطلب معونة من جزر سليمان في غرب المحيط الهادىء. فوجد هذه الامة القابعة في جنوب المحيط الهادىء تواجه صعوبة مالية كبرى.

ويتذكر ديكسون: "كانت البلاد تسير نحو أزمة سيولة نقدية". وفيما كان هذا المتقاعد ابن الثالثة والستين يستنبط سبلا لتحسين طرق جباية الرسوم الحكومية وعصر المصاريف الوزارية، كانت زوجته بريل، التي ادارت مكتبة في ما مضى، تساعده في تبويب المعلومات والوثائق السرية التي يحتاج اليها.

وفي اندونيسيا هدد الموت آرثر لويس، المدير السابق لمنجم فحم في مقاطعة ويلز، في أثناء تأدية مهمته في منجم للفحم الحجري في لوا أولونغ. وكان المنجم يقلق أصحابه لكثرة انهياراته وقلة انتاجه حتى انهم خافوا أن يضطروا الى اغلاقه.

يقول لويس: "ذكّرني لوا أولونغ بيوم نزلت تحت الارض للمرة الاولى في العام ١٩٣٦. كان عتيق الطراز مثل المناجم القديمة، وخطراً مثلها". وإثر وصوله انهار سقفان، لكن لويس دخل المنجم بشجاعة لتقصّي الوضع.

في بادىء الامر علّم لويس العمال الطريقة المثالية لتدعيم السقوف، فتوقفت الانهيارات. بعد ذلك حسن نظام التهوئة ثم أعاد تنظيم النقل، معجلا ازالة الفحم من موقع اقتلاعه.

كان يوم لويس النموذجي في المنجم يبدأ وينتهي في غرفة المحاضرات حيث يحدّث جمهوراً مستغرقاً عن أحدث وسائل

استثمار المناجم. يقول: "كان الحاضرون طلاباً ممتازين، حتى انهم كانوا يصوّرون كل رسم بياني رسمته على اللوح الاسود". واليوم، بفضل لويس، أصبح منجم لوا أولونغ نموذجاً في فاعلية استثمار المناجم. وهو يحقق أرباحاً وافرة فيما تتأمن لعماله أفضل شروط السلامة.

**تقاسُم المنافع.** وتفيد تجارة الاستيراد البريطانية من مهمات كثيرة تقوم بها المنظمة. على سبيل المثال، يشتري مالكو منجم لوا أولونغ، بنصيحة آرثور لويس، تجهيزات منجمية بريطانية بقيمة ١٥ مليون جنيه استرليني (٢٥ مليون دولار). وأسفر مشروع آخر للمنظمة في جزر موريشوس عن طلب آلات حياكة بريطانية بقيمة ٧٥٠ ألف جنيه استرليني (١،٢٧ مليون دولار). لكنّ النتيجة غير المتوقعة والاكثر روعة لاحدى مهمات المنظمة حققها لوري وايلد، المدير السابق لمصلحة المياه في مدينة لندن الذي سافر الى شانغهاي في الصين ليعمل مستشاراً في بناء شبكة جديدة لمياه الشفة.

يقول مدير المنظمة غوردون ويلسون بفخر: "سيكون هذا واحداً من اكبر مشاريع التعهّدات في الصين. واذا وصلت الطلبات الى بريطانيا فستؤمن دخلا بالملايين لرسامين ومستشارين ومقاولين بريطانيين".

وُلدت الفكرة الاصلية للمنظمة البريطانية للخدمات الادارية وراء البحار في الولايات المتحدة عام ١٩٦٤ مع تأسيس "الرابطة الدولية للخدمات الادارية" (٢) بجهود عدد من كبار رجال الاعمال الذين استشعروا حاجة الى الافادة من مهارات كبار الاداريين المتقاعدين خارج البلاد. ووضعت كندا برنامجاً مماثلا.

حذت بريطانيا حذو الولايات المتحدة وكندا في العام ١٩٧٢ بتأسيس منظمة الخدمات الادارية وراء البحار بمساعي "معهد المديرين" وبدعم من الحكومة واتحاد الصناعات البريطانية، بهدف "تعزيز النمو الثابت في البلدان النامية التي تعوزها التقنية".

تنفذ المنظمة اليوم نحو ١٥٠ مهمة سنوياً. يقول غوردون ويلسون: "تكلّفنا المهمة النموذجية نحو ٢٨٠٠ جنيه استرليني (٤٧٦٠ دولاراً). ويمكننا بسهولة أن نضاعف المهمات لو كنا نملك السيولة. فالطلبات متوافرة، كذلك المتطوعون لتنفيذها".

فالصين ترغب في خبير بصناعة الخزف وبوتسوانا تحتاج الى مدير توظيف، وتايلند الى مستشار فندقي، والهند الى تقني لضخّ المياه. وتطول لائحة الطلبات. ويعتز السجل الذي يضم ١٧٠٠ متطوع بوفرة المواهب المذهلة في حقل الاعمال.

ومن المتطوعين المرموقين جون غيلبرتسون المدير التقني السابق لمجموعة «BOC» وبيتر جورج نائب الرئيس السابق في شركة "كوكاكولا" لعمليات المحيط الهادىء، فضلا عن "موسوعة" من التقنيين والاداريين المهرة في مجالات كالزراعة وصناعة

(٢) International Executive Service Corps

التوضيب والتخطيط المدني والهندسة الكهربائية والنجارة.

ومن المناسبات النادرة التي اضطرت فيها المنظمة الى البحث عن خبير حين رغبت زامبيا في تحديث حديقة الحيوان والنبات "موندا وانغا" على بعد ٢٦ كيلومتراً جنوب العاصمة لوساكا. ويتذكر مجند المتطوعين في المنظمة جون وارد: "كان ذلك طلباً اختصاصياً جداً ولم يكن عندنا من يلبيه."

لذلك اتصل وارد بجيمي شيبرفيلد، عميد السيرك العائلي الشهير ومصمم ٣٧ رحلة الى محميات الحيوان في العالم. كان رجلا سبعينياً أعرج، وهو وافق فوراً على التعاقد مع المنظمة كمتطوع.

**ضربة معلّم.** رسم شيبرفيلد مخططاً لمحمية تبلغ مساحتها ١٠٢ مليون متر مربع تضم كل وسائل الترفيه لطالبي الاسفار في الطبيعة الافريقية البكر. وأرفقه باقتراح لاستيلاد الحيوانات واطلاقها في المحمية القفر. وهو صدم في حديقة حيوان "موندا وانغ" لرؤيته أقفاصاً عفا عليها الزمن مكتظة بحيوانات متخمة وكسولة. فقال لمضيفيه: "اذا بنيتم حظيرة مسيّجة واسعة تستطيع فيها الحيوانات أن تجول، فسأرسل اليكم زوجين من صغار النمور. مجاناً!"

والآن يقرأ زائر الحديقة لوحة تخلّد هبة شيبرفيلد السخية: أول زوجين من النمور يتناسلان في زامبيا.

بعض الاختصاصيين يتولون أكثر من مشروع واحد. ويحمل الرقم القياسي بينهم المتطوع جيم شالينور (٦٨ سنة) من ويرال في مقاطعة مرسيسايد، وهو مدير انتاج سابق في شركة "يونيليفر". كان جيم يزدري حياة الخمول التي تميز المتقاعدين، فتطوع وخدم كطبيب طيار في ٢٤ مشروعاً تجارياً وصناعياً متردياً في العالم الثالث. وقادته مهماته الى بابوا نيو غينيا والهند وغويانا وكثير من بلدان افريقيا وجزر البحر الكاريبي.

تلتمع عينا شالينور عندما يصف كيف ساعد الشركات الصغيرة على تصحيح أخطائها أو زيادة أرباحها. في جزيرة أنتيغوا في البحر الكاريبي راقب بذهول سيدات خيّرات ينتجن ألواحاً خشنة من الصابون فوق مواقد مصنوعة ببراميل نفط مرمية، بقصد تمويل مشروع لاطعام الفقراء وجبة غداء مجانية. اكتشف أنهن يفرطن في استعمال الصودا الكاوية (٣) الامر الذي دفع الشارين الى التشكي من طفح جلدي. وبعدما اتبعت السيدات صيغته الجديدة ازدهرت مبيعاتهن وتحقق مشروعهن.

وساعد شالينور معمل صابون في جزيرة دومينيكا المجاورة على زيادة انتاجه من ٧٦٠ طناً في السنة الى ٢١٠٠ طن، وتوظيف ٤٠ عاملا جدداً. وهو يتذكر رئيسة وزراء دومينيكا أوجينيا تشارلز التي شكرته على مساهمته في الانماء الوطني. لكن شالينور يتحدث باسم متطوعي المنظمة عندما يقول: "يكفيني ثواباً أن أعرف أني أساعد العالم الثالث كي يساعد نفسه."

روبرت كينر ■

(٣) Caustic soda




# الحب موسيقى وشعر وورود... وأكثر

إنها متعة للنظر، تلك المرأة المتألقة، بشعرها الجعد وبشرتها الصافية التي تنضح صحة وعافية. ولا حاجة الى السؤال، فواضح أنها تمارس كرة المضرب والهرولة وتحافظ على شرايينها من الانسداد بتناولها الطعام الصحي الجيد. لقد تخرجت في احدى الجامعات المرموقة قبل عشر سنين فقط، وها هي ترتقي الدرجات صعداً الى أعلى سلّم العمل الاداري. ووقفت أتأملها. أجل، لقد قطعت شوطاً بعيداً ووصلت الى حيث لم تصبُ النساء قبل ٣٥ سنة عندما كنت أنا في عمرها.

وصل بنا الحديث الى موضوع الرجال، فقالت: "كانت لي بضع حكايات حب، وكنت سعيدة بها. كما مررت بأوقات كنت فيها وحيدة وغير مرتبطة، وكنت أيضاً سعيدة. لكن سعادتي تلك كانت مختلفة. أنا أحب الرجال، لكنني لست في حاجة اليهم، وهذا في نظري معنى استقلال المرأة."

سألتها: "وماذا عن الزواج؟"

أجابتني: "أوه، لدي وقت طويل. إذا تزوجت أكون فعلت حسناً، وإن لم أتزوج فلن أكون أسوأ حالا."

هل هي تعتقد ذلك حقاً؟ هل تتوقع أن يرن جرس الهاتف وهي في الخمسين من عمرها حاملا اليها دعوات سارة؟ أولا تعلم أن الرجال الذين يخطبون ودها الآن "قاصدين الخير" سوف يتحولون عنها إلى نساء أصغر منها سناً عندما يبلغون هم الخمسين؟ أوليس ذلك ما تعود الرجال ان يفعلوه منذ القدم؟

سألتها: "وماذا عن الأولاد؟"

فقالت وهي تهزّ كتفيها: "لست جاهزة للاولاد الآن. لم يحن الوقت لهم بعد."

ذكّرتها أنها في الثانية والثلاثين من عمرها، فردّت: "لكن النساء ينجبن بعد الاربعين."

لم أجادلها في ما قالت على رغم الصورة التي عبرت خيالي لامهات بلغن سن التقاعد وأولادهن لم يتخرجوا من الجامعة بعد. لن تتسنى لهؤلاء الأمهات ولاولادهن سنوات كافية للتعارف.

مع ذلك أردت أن أستفهم منها عن أمر آخر، فسألتها: "وماذا عن الحب؟"

سألتني بدورها: "وما تعريفك للحب؟ أنت لا تعنين عزف الكمان وتلاوة الاشعار وتقديم الورود وما الى ذلك؟"

أجبتها: "بلى، هذه جزء منه."

أزهار الفاردينيا، بالنسبة الي، كانت رسالة حب. كان الفصل ربيعاً عندما التقيته. وكان يحمل الي عصر كل أحد زهرة غاردينيا. كان ذلك قبل ٣٠ سنة. واليوم، كلّما فاح في الجو أريج الغاردينيا، تعود بي الذكريات. أرى ذلك الكتاب الذي أهداه الي، وتتردد في أذني تلك الموسيقى، وأرى وجهه، أجمل وجه وقعت عليه عيناي.

اعتدت أن أقول له انني قبلته زوجاً لانه يشبه نجماً سينمائياً كان يعجبني. وشاهدت واياه فيلماً لذلك الممثل ثلاث مرات في ذلك الربيع. وبعدما توطدت العلاقة بيننا اعترف لي بأن ذلك كان بالنسبة اليه أشبه بالتعذيب على الطريقة الصينية.

كانت صديقتي الشابة ترمقني بنظرة ناقدة منتظرة جوابي، وأمامها فنجان شاي.

قلت لها: "بالطبع، هذا ليس ما أعنيه." لقد نفد صبري وأنا أحاول أن أصف أمراً بديهياً بالنسبة إلي، لكنه في الوقت ذاته محيّر ويصعب تعريفه. وأضفت: "على الأقل هكذا يبدأ، ثم ينمو..."

قاطعتني: "صحيح إنه ينمو. فهناك أولا خاتم الخطبة، تأتي بعده طرحة العروس، وبعد فترة محكمة الطلاق. نصف الزيجات تنتهي في محكمة الطلاق."

قارعتُ حجّتها بأخرى: "ونصفها لا ينتهي هكذا. وبين المطلقين عدد كبير كان يسعهم أن يوفروا على أنفسهم تلك النهاية لو بذلوا جهداً للمحافظة على الحب الذي كان."

كيف يبدأ الحب؟ اللمس هو ذلك الجاذب الناري. بعد ذلك يولي الزوجان التجانس بينهما اهتماماً خاصاً. ويقرران معاً: هل يبقيان في البيت ويقرأان أم يقصدان حانة، مقهى أو مطعماً فيسهران على أنغام الاسطوانات؟ هل يريدان أن ينجبا أطفالا؟ طفلين؟ خمسة؟ لا أطفال؟ ثم لا مفر من بعض المآسي والمشاكل، يرافقها العزم على قهرها ومعالجتها بايجابية. إنها جزء من الحياة، وقلّة هم الناس الذين يمضون في الحياة من دون أن تواجههم المآسي. وأهم من ذلك كلّه أن نضيف الضحك والفرح.

كان لنا نصيبنا من الاحزان، ولا أعتقد أننا كنا لنستمر من دون ذلك الدعم الذي استمدّه واحدنا من الآخر. أما الضحك والفرح فكان لنا أيضاً نصيب منهما.

أرجعتني صديقتي الى الحاضر اذ قالت متأملة: "للحب - ان كان ذلك هو الاسم الذي نطلقه على هذه الجوانب - وقت يولد فيه وآخر يموت فيه. عندما يموت الحب فعلى المرء أن يتقبّل الأمر كما يقتبّل أي وفاة في هذه الحياة."

قلت مستفسرة: "وهل الأمر في هذه السهولة؟ أهكذا، بكل بساطة، نتقبّل إنهاء العلاقة؟"

اجابتني صديقتي الشابة: "إنها علاقة منتهية في اي حال. أليس كذلك؟ كانت

جميلة، لكنها انتهت، وعلى المرء أن يوليها ظهره."

كيف لهذه الشابة أن تفتقد أمراً لم تعرفه؟ كيف تفتقد مشهد انبلاج الصباح في عرض البحر إن لم تر ذلك من قبل؟ كيف تفتقد مذاق الفراولة (الفريز) بالقشدة إن لم تذق طعمها من قبل؟ كيف تفتقد عودة انسان اليها إن لم تعرف ذلك الانتظار حتى يفتح الباب ويدخل رجل تعرف هي يقيناً أنه آتٍ اليها، ليس لانه مجرد صديق قد يأتي وقد لا يأتي إذا التقى شخصاً آخر أعجبه، بل لانه عائد الى بيته، الى ذلك الملاذ الذي ينيره شمعدان جدة، وفيه صورته حين تخرج والسجادات التي اشترياها معاً والكلب الشارد الذي آوياه وصكّ ملكية البيت؟

سألتني: "وماذا تتوقعين غير ذلك؟"

- أتوقع ان يشعر الانسان بشيء ما.

"مثل ماذا؟"

- مثل الغضب أو الانفطار أو الغيرة أو الخيانة او الحيرة، والله أعلم بماذا أيضا.

لو أن ذلك حصل لي، وواجهت نهاية لعلاقتنا، لكان شعوري الحزن والانفطار. ولكان هذا شعوره هو ايضاً. فبعد وفاته وجدت في أحد أدراج مكتبه رسالة يعبّر فيها عن تعلقه بي، ويقول انه لا يخشى الموت لكن فراقي يعزّ عليه. وقفت هناك والرسالة في يدي، وعادت بي الذاكرة الى تلك الشطيرة الخرقاء التي أعدّها لغدائي ذات يوم، والى ذلك الهلع الذي أصابه كلما اعتقد أنني مريضة، والى ثقته العارمة بي عندما استدعي للخدمة العسكرية فسجّل كل ما يملك باسمي.

كانت لنا خلافاتنا أحيانـاً، وكنا نتشاجر. لكننا لم نفكّر أبداً في الانفصال، كان دائماً يعضدني، وكنت دائماً أعضده.

يا لبرودة أعصاب هؤلاء الأزواج العصـريين الذين يقيمـون عـلاقـات "حكيمة" فيحتفظ كل منهما بحسابه الخاص في المصرف تحسّباً لانفصال محتمل إذا ما خبا الحبّ أو التقى أحدهما شخصاً جديداً أكثر جاذبية. هؤلاء الأزواج الباردو الاعصاب ينزلقون على قشور الحياة من دون أن يلمسوا قلبها الدافيء.

تعجّبت صديقتي الشابة من صمتي وسألتني ماذا أفكر. كان فكري سارحاً الى شاب جالس في الشمس، وعندما أحضرت اليه شرابا بارداً أشرق وجهه بابتسامة رائعة وشكرني. تذكرت أيضاً ليالي الشتاء الدافئة، والقبلات التي كنا نتبادلها بعد كل شجار.

كان في وسعي أن أخبرها بكل ذلك، لكنني اكتفيت بالقول: "ما زلت أبحث عن تعريف مناسب."

- للحب؟

"أجل، وأعتقد أنني وجدته."

علا وجهها تعبير مؤدّب، وخيّل الي أنها ربما كانت تسخر مني. قلت لها: "الحب هو أن يحرص الانسان على من يحب أكثر من حرصه على نفسه."

قالت وهي تهزّ رأسها: "لكن هذا مناف للطبيعة. ما من إنسان يحبّ آخر أكثر من حبّه لنفسه. لا، لا أصدق ذلك."

فجأة فاح في الجو أريج لا يمكن أن أخطئه. إنه أريج الغاردينيا. مددت يدي ووضعتها فوق يد صديقتي الشابة وقلت: "بل صدقي، أرجوك. ابدأي الآن."

**بلفا بلان.** ■

الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١) أديب وشاعر ومعلم عربي لبناني، وهو من رواد النهضة الادبية واللغوية. له "طوْق الحمامة" في النحو و"مجمع البحرين" وفيه ستون مقامة. هنا كلمات مختارة من "مجمع البحرين". وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. ملأ: سماء - أشراف - بحر - نجوم وكواكب.

٢. حِجى: لغز - ندب الميت - شعر - عقل.

٣. غيضة: فتاة حسناء - خيمة - أجمة - غلطة.

٤. جمجمَ: لم يبيّن الكلام - عبس - نحل - تنهد.

٥. باع: مرفق - قدر مد اليدين - صبر - ساق.

٦. عين حوراء: واسعة - حولاء - شديدة البياض والسواد - زرقاء.

٧. صَبابة: غزل - ماء عذب - فتوّة - شوق وولع.

٨. لا يَذَرَ: لا يبقي - لا يحذر - لا يشبع - لا يغفر.

٩. مدى: أفق - سعة - أرض - غاية الشيء ومنتهاه.

١٠. ذَخَرَ: أكثر - خبأ لوقت الحاجة - سخر - افتخر.

١١. هصر: زمجر - كسر - صهل - همهم غضباً.

١٢. سُوقة: سوق صغيرة - دابة رعيّة - ساق نبتة.

١٣. نَفاق: نفاد وفناء - كذب - قتل - درب ضيقة.

١٤. طُرّاً: جميعاً - أبداً - دائماً - على الرحب والسعة.

١٥. سِنة: جنون - سن طفل - أرق - فتور يتقدم النوم.

١٦. رطيب: ظليل - ضد يابس - بارد - لذيذ.

١٧. كأس دِهاق: فارغة - راوية - ممتلئة - رقيقة.

١٨. نَفَر: حارس - بوق - جماعة من ثلاثة الى عشرة - هروب.

١٩. الشِعرى: كوكب - هرم - بحر عظيم - العالم.

٢٠. خُبْر: وتد - تجربة واختبار - إشاعة - حياء.

٢١. سَمُجَ: تدلّل - أفرط في السمنة - دُهش - قبح.

٢٢. احقوقف: طال في اعوجاج - اختبأ - تراجع - ثبت.

٢٣. مَرْقَعان: محتال - خفيف الظل - أحمق - بهلوان.

٢٤. نِطاق: قلادة - ما يُشَدّ به الوسط - غِمْد - حبل.

٢٥. حادثات: أخبار - فتيات - زوجات - نوائب الدهر.

# الأجوبة الصحيحة

١. **الملأ:** أشراف القوم، قيل سَمّوا كذلك لأنهم يملأون العيون أبهة والصدور هيبة. أيضاً: جماعة القوم، والطمع، والظن، والاخلاق.

٢. **الحِجى:** العقل والفطنة. الحِجا: الناحية. الحَجا: الملجأ.

٣. **الغيضة:** الاجمة. أيضاً: مجتمع الشجر في مَغيض الماء، والمغيض مجتمع الماء ومدخله في الارض.

٤. **جمجم الكلام:** لم يبيّنه. جمجم شيئاً في صدره: أخفاه ولم يبدِه.

٥. **الباع:** قَدْر مد اليدين. يقال "طويل الباع" أي كريم مقتدر و"قصير الباع" أي بخيل عاجز.

٦. **عين حوراء:** التي اشتد بياض بياضها وسواد سوادها.

٧. **الصَبابة:** الشوق ورقّة الهوى والولع الشديد. الصُبابة: بقية الماء أو نحوه في الاناء.

٨. **لا يَذَرُ:** لا يبقي.

٩. **المدى:** الغاية والمنتهى. يقال "بلغ مدى الحياة" أي غايتها.

١٠. **ذَخَر الشيء:** خبأه لوقت الحاجة فهو ذُخر وذخيرة.

١١. **هصر الغصن:** كسره. الهاصر والهصور: الأسد لأنه يهصر فريسته.

١٢. **السُوقة:** الرعيّة من الناس لأن الملك يسوقهم الى ما شاء من أمره.

١٣. **النَفاق:** النفاد والقلة والفناء. النِفاق: سَتر الكفر. النفوق: الموت، وخصوصاً موت الحيوان.

١٤. **جاؤوا طَرّاً:** اي جميعاً.

١٥. **السِنة:** فتور يتقدم النوم. أيضاً: ثقلة النوم. يقال "هو في سنة" أي في غفلة.

١٦. **الرطيب:** ضد اليابس. أيضاً: الرخص والناعم. عيش رطيب: هنيء.

١٧. **كأس دِهاق:** ممتلئة طافحة. ماء دِهاق: كثير.

١٨. **النَفَر:** الناس كلهم. أيضاً: الجماعة من الرجال من ثلاثة الى عشرة. يقال "ثلاثة نفر أو ثلاثة أنفار" أي ثلاثة أشخاص.

١٩. **الشِعْرى:** كوكب يطلع في الجوزاء في شدة الحر.

٢٠. **الخُبْر:** التجربة والاختبار والعلم بالشيء.

٢١. **سَمُجَ سماجة:** قبح فهو سمج وسميج.

٢٢. **احقوقف:** طال في اعوجاج.

٢٣. **المَرْقَعان:** الاحمق والقليل الحياء. رَقّع في السير: أسرع.

٢٤. **النِطاق:** ما يشد به الوسط. تنطّقت الأرض بالجبال: أحاطت بها الجبال كالنطاق.

٢٥. **حوادث الدهر وحدثانه وحادثاته:** نوائبه ونوازله.

## المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز

١٦ - ٢٠: جيد جداً

١١ - ١٥: مقبول




# عَوْدة أبٌ

كانت جانيت راي منفعلة، فقد وعدتها والدتها بأن تخبرها وأخاها توماس بأمر ما عند عودته من المدرسة. ظنت جانيت، وعمرها ستة أعوام، انها تعرف ماذا ستخبرها أمها: أبوها الطيار عائد الى البيت.

جلس الولدان جنباً الى جنب على السرير في منزل جدتهما في برمنغهام بولاية ألاباما حيث كانا يقيمان في غياب والدهما. أخيراً تكلمت الأم، قالت: "أبوكما لن يعود، لقد مات، وسيرعانا من الجنة.".

لم تصدق جانيت ما سمعت. فأبوها يرتدي بذلة طيران منذ سنوات. وهو أصعدها مراراً الى الطائرة، وحلّقا معاً ونظرا الى أسفل، الى دنيا دعتها جانيت "أرض الاقزام."

"أبي عائد الى البيت!" صرخت مراراً


Condensed from Tropic, The Sunday Supplement of the Miami Herald (June 21, '87),

وتكراراً. "انه دائماً يأتي الى البيت." هرعت الى الشرفة الامامية وبكت ساعات. ان أمها تستطيع ان تقول ما تريد، أما جانيت فتصغي الى الصوت الجديد في أعماقها. وهذا الصوت يقول: "جدوه!"

كانت جانيت في السنة الابتدائية الاولى عندما أسقطت طائرة توماس ويلارد راي (٣٠ عاماً) اثناء الغارة الفاشلة على خليج بيغز في كوبا عام ١٩٦١. وكانت حكومة الولايات المتحدة عينت راي لتدريب الطيارين الكوبيين المنفيين مدة ثلاثة أشهر ضمن قواعد سرية في غواتيمالا ونيكاراغوا. وكان عليه، اذا اقتضى الامر، أن يشارك هو في غارات جوية ضمن الهجوم. وكانت القوات المغيرة تظن أن واشنطن وعدت بدعم الهجوم، لكن الطائرات المقاتلة الامريكية لم تظهر أبداً. فاذا براي والرجال الآخرين أهداف غير محمية.

**خيبة بعد أمل.** لم تفهم جانيت أسباب الغارة، ولم تعرف شيئاً عن فيدل كاسترو رئيس وزراء كوبا آنذاك. كل ما ارادت ان تعرفه هو ماذا حدث لوالدها. وهي ظلت تلح على أمها واعمامها واخوالها وجديها بالسؤال: "هل هو سجين؟"

ولم يسَعْ أحداً من أسرتها أن يعطيها أي جواب، أو أن يؤكد لها أن والدها ميت.

ولم تتمكن جانيت من أن تنزع أباها من ذهنها، فصنعت له ليلا طائرات من ورق ليطير بها عائداً الى البيت. انه كان دائماً يعود من رحلاته فوق أرض الاقزام، أليس كذلك؟

بعد اختفاء راي بعشرين شهراً وردت أخبار تفيد أن كاسترو أطلق السجناء الذين اعتقلوا في الهجوم. وفيما الرجال ينزلون في قاعدة هومستيد الجوية في فلوريدا كانت جانيت تشاهد وصولهم على التلفاز وأنفها لا يبعد عن الشاشة الا سنتيمترات. أنعمت النظر ملياً بحثاً عن والدها. وعندما توارى آخر سجين محرَّر بدأت الصغيرة تذرف الدموع.

بعد ذلك، في منزل جدة أبيها، سمعت الكبار يتحدثون عنها. فهم كانوا قلقين لانها لا تتقبل وفاة والدها.

وحينما أدركت الجدة بيلي أن جانيت سمعت الحديث ضمتها اليها واستكنتا على أرجوحة الشرفة.

قالت الجدة: "أنا لا أعدك بأن الحياة سارة. ولكن مهما حدث فكافحي دائماً في سبيل ما تعرفين أنه صحيح. كافحي من أجل والدك."

انها نصيحة أخذتها الفتاة الصغيرة مأخذ الجد.

**حقيبة قصاصات.** على مر السنين كانت جانيت تقص مقالات الصحف المتعلقة بغارة خليج بيغز وتحفظها في صندوق. وبالتنصت الى أحاديث والدتها عرفت أسماء الطيارين الآخرين وأسماء أصدقاء والدها، وسجلتها في مفكرة.

ولما كبرت أخذت تقضي أيام عطلة الاسبوع في المكتبة العامة، تطالع قصص الاخبار القديمة وتنسخها. ولم تلبث ان اقتنت حقيبة تحفظ فيها قصاصاتها ومذكراتها. ولم يسلخها شيء مما قرأته أو سمعته عن الامل ان والدها ما زال حياً.

وازداد بحثها زخماً عندما نالت اجازة سوق وباتت تستطيع السفر على مسؤوليتها. لكن أسلوبها لم يتغير أبداً. فهي ظلت تسأل. أرادت ان تعرف كل شيء: الرقم على ذيل طائرة والدها، أسماء الرجال الذين طاروا معه، ساعة اسقاط الطائرة، ماذا كان يرتدي، كان عليها أن تعرف هل مات ام نجا، لكنها كانت تحتاج أيضاً الى صنع رجل من صور وذكريات ذاوية.

وخلال دراستها الجامعية اختارت أن تقضي عطلة الربيع متمشية في شوارع الحي الكوبي في ميامي بولاية فلوريدا.

كانت تسأل كل من يصغي اليها: "هل تعرف والدي؟ اسمه توماس راي، كان طياراً امريكيا، قتل في خليج بيغز. اتصل بي اذا ما عرفت شيئاً عنه، وسأدفع ثمن المكالمة." وتعطي الغريب رقم هاتفها.

كثيرون ممن لا يفهمون الانكليزية كانوا يُعرضون عنها أو يدفعونها جانباً، أما هي الشجاعة فكانت تعيد الكرة.

لم يكن لبحث جانيت جدول زمني. وهي حافظت على علامات دراسات جيدة، ولم تهمل حياتها الاجتماعية، وعاشت حياة عادية لطالبة جامعية. لكنها في الوقت نفسه ظلت تعمل لكشف السر الغامض.

انتفخت حقيبتها بالقصاصات القديمة وبالرسائل والصور. وهي كوَّنت شيئاً فشيئاً صورة عن الظروف التي أحاطت باختفاء والدها.

بحثت عن قدامى المحاربين الذين اشتركوا في غارة خليج بيغز، ولاسيما الطيارين. بعضهم ادعى انه سمع بوجود جثث هناك، وبعضهم قال انه رأى صوراً لابيها أخذت بعد وفاته. وكانت هناك اشاعات أن جثثاً أمريكية حفظت في معرض للجثث المجهولة الهوية في هافانا عاصمة كوبا.

كان معظم الجنود القدماء سعيدين بالتحدث عما عرفوا. أرادوا أن يساعدوا جانيت. واذ تذكروا المعارك الجوية كانوا يحركون أيديهم في الهواء، ومع الانفعال تزداد أصواتهم ارتفاعاً. أخبروا جانيت أن أباها كان بطلا قضى وهو يحارب. أما هي فكانت تريد برهاناً.

التقت أبناء الطيارين الكوبيين المنفيين الذين لم يعودوا من الغارة. وشعرت بقربى ذاتية معهم. وللمرة الاولى استطاعت أن تشرك في آلامها ومهمتها أناساً فهموها.

**لحظات أخيرة.** حينما التقت جانيت الضابط الطيار مايكل وينفر في قاعدة كريغ الجوية في سلما قرب بلدتها أحست أنها مرتاحة تماماً. كان وينفر ورفقاؤه الوطنيون المتحمسون كأبيها، مقصوصي الشعر ناعمي الوجوه يرتدون زي الطيران الاخضر. لم تتكلم كثيراً عن والدها وهي معهم، لكنها لم تحتج الى ذلك، لانهم أدركوا ما تريد وساعدوها.

وذات يوم علمت جانيت أن أباها كاد لا يشارك في الغارة بعدما قرر الرئيس الامريكي الراحل جون كينيدي الحد من تورط الولايات المتحدة. لكن مشقة المعركة والخسائر المثبطة للعزائم أرخت ثقلها على الكوبيين المنفيين. وعلى مر الاشهر ازداد الطيارون الكوبيون والامريكان تقارباً. وعلمت جانيت أن

القرار الاخير كان لوالدها: يطير أم يبقى في نيكاراغوا.

وقرر توماس راي ان يطير.

أنهى قصف أهدافه واستعد للعودة الى بلاده عندما أصيبت طائرته بقذائف من طائرة كوبية مقاتلة أجبرته على الهبوط القسري في حقل.

قد يكون مساعده المهندس الطيار ليو فرنسيس بيكر قتل نتيجة الهبوط، وفقاً لبعض الروايات. لكن راي خرج من الطائرة والمسدس في يده. وانهمر عليه رصاص رشاش أصابه في بطنه وأعلى جسمه. لكن الرصاصة القاتلة أطلقت على رأسه من مجال قريب.

مع أن جانيت غدت الآن شبه متأكدة من وفاة والدها فهي أرادت اقراراً رسمياً بذلك. أرسلت الى القصر الرئاسي في هافانا عشرات الرسائل والبرقيات، لكن كاسترو لم يجب أبداً.

**الصورة.** في ابريل (نيسان) ١٩٧٩ كانت جانيت تعيش مع زوجها مايكل وينغر في قاعدة هاهن الجوية في المانيا. وذات نهار مشمس ركبت سيارتها وتوجهت الى مكتب البريد.

وعند نقطة اشارة في طريق عودتها نظرت الى المغلفات. كان أحدها من بيتر وايدن، الرجل الذي كان يؤلف كتاباً عن خليج بيغز. وقد سبق أن تحدثا معاً قبل أشهر، وأخبرها أن لدى الحكومة الكوبية صور طيارين امريكيين متوفين، ووعدها بأن يرسل اليها نسخاً عنها.

كان المغلف ثقيلا وقاسياً كأنما يحتوي صوراً. خفق قلب جانيت واهتزت يداها عندما فتحت المغلف. وكانت الصور سوداء وبيضاء، ولم يبدُ وجها الرجلين واضحين تماماً.

لكنهما كانا واضحين كفاية.

وميزت جانيت الرجل الذي يرتدي قميصاً أبيض والدم على وجهه.

أخيراً وجدت جانيت البرهان الذي بحثت عنه كل تلك السنوات. ولم يبقَ لمهمتها الا هدف واحد أخير، الا وهو احضار رفات والدها الى مسقط رأسه.

في ذلك الصيف، بعد سنوات من المحاولة للحصول على مساعدة من الكونغرس الامريكي وبعد مئات الرسائل والبرقيات من جانيت الى كاسترو، أكدت الحكومة الكوبية وجود رفات توماس راي لديها. انه محفوظ في معرض للجثث المجهولة الهوية في هافانا. لقد حفظ مدة ثمانية عشر عاماً. وبعد أشهر من المفاوضات وافقت الحكومة الكوبية على اعادته.

**مأتم رسمي.** في مطار برمنغهام وقفت جانيت، الحامل منذ بضعة أسابيع، تنتظر الطائرة التي تقل نعش والدها والتي ستهبط في المدرج الذي أقلع منه توماس راي قبل ثمانية عشر عاماً.

هبطت الطائرة ونقل النعش الى عربة اسعاف. وفي الطريق انحنت جانيت على النعش المصنوع بخشب الصنوبر وفكرت في نفسها: يا أبي، أنا سعيدة بأنك في بلدك.

في ٨ ديسمبر (كانون الاول) ووري رفات توماس راي في مدافن فورست هيل في برمنغهام بمراسم عسكرية

كاملة. وحلّق فوق الرؤوس تشكيل من أربع طائرات حربية، ثم انسلخت واحدة عنها وتوارت في الافق تحية تقليدية لـ"رجل مفقود."

بقيت جانيت قرب ضريح والدها بعد انتهاء الجنازة ليكونا معاً للحظات. وكانت كتبت رسالة دستها في جيب زيه الرسمي الذي كان سيدفن به، أبلغته فيها كم كانت فخورة به.

في ٢١ يوليو (تموز) ١٩٨٠ ولدت جانيت صبياً سمته بيت، وهو اسم التحبب الذي كان أبوها ينادى به.

كان السابع عشر من ابريل (نيسان) ١٩٨٧، يوماً ربيعياً جميلا في ميامي. وقد طلب من جانيت ان تتكلم في ذكرى الغارة على خليج بيغز. ووراءها ارتفع نصب تذكاري للجنود الذين سقطوا هناك يضم اسم والدها.

تقدمت جانيت من المذياع، وكانت الخطيبة الوحيدة التي تكلمت الانكليزية.

وتأهب الجنود لتأدية التحية العسكرية لابنة الامريكي الذي مات في بلدهم.

لكن جانيت لما تنتهِ. فهنا جمهور كبير من محاربي خليج بيغز، مئات من الناس الذين يملكون مزيداً من التفاصيل عن حياة والدها.

جانيت بين الجموع وسحبت مفكرة من حقيبتها اليدوية وهتفت: "مرحباً، أتعرفون والدي؟"

**كانديس تورتل ■**



## قهوة أبي

اعتادت عائلتي ان تتناول فطور الصباح براحة وتروّ يوم الاحد. وكان أبي يغرق في مطالعة صحيفة الصباح وهو يحرك قهوته باستمرار محدثاً قرقعة بالملعقة. وتتحمل أمي هذا التشويش لافكارها مدة تطول وفقاً لمزاجها، ثم تنادي أبي بحدة أو تقول له بصبر: "أعتقد أنك أشبعت السكر تحريكاً يا عزيزي."

وذات صباح طالت القرقعة. فنهضت والدتي بهدوء عن المائدة وتناولت كوب والدي وصبت محتواه في الخفّاقة الكهربائية وأدارتها، ثم أفرغتها وأعادت كوب القهوة الى والدي، ومن دون أن تنبس بكلمة عادت الى قراءة مجلتها.

ومنذ ذلك الحين كف والدي عن القرقعة.

ل. د.

---

## حرب شعارات

علقت لافتة في واجهة متجر جاء فيها: "ما تحتاج اليه تجده عندنا."

وفي واجهة المتجر المقابل عبر الشارع لافتة جاء فيها: "ما لا تجده عندنا لا تحتاج اليه."

أ. س.

نحن نتخذ قراراتنا بعد تفكير عقلاني
ولكن هناك مصادر أخرى
للمعرفة لا يجوز أن نغفلها

# الحدس نصف العقل!

□ في اللحظات الأخيرة من الوقت الاضافي وصلت الكرة بتمريرة مفاجئة الى لاعب الوسط. وكان هذا يقف في المكان المناسب تماماً بعدما نجح في التحرّر من منافسه المباشر، فقذف الكرة نحو المرمى فاخترقته، وسجّل لفريقه هدف الفوز. لاعب الوسط ذاك كان غيرد مولر نجم كرة القدم الشهير الذي يتمتع بحاسة خارقة لـ"شمّ" الأهداف.

□ بعدما رفض مديرو أربع دور نشر مخطوطة كتبها دوغلاس هوفستادتر، حملها هذا الى دار نشر خامسة قبل مديرها المخاطرة. بعد مدة قصيرة فاز الكتاب "غودل، إشر، باخ: ضفيرة أزلية من ذهب"(★) بجائزة "بوليتزر" الادبية المرموقة، واصبح في وقت لاحق أحد أكثر الكتب رواجاً في العالم.

(★) Gödel, Escher, Bach: An Eternal Golden Braid

□ ذات يوم في العام ١٨٦٥ غفا الكيميائي الالماني أوغست كيكوليَ فون ستراد ونتز أمام الموقد في منزله، فرأى في الحلم أفاعي راقصة. وعندما عضّت أحداها ذنبها، أدرك فجأة أن جزيئات بعض المركّبات العضوية هي أيضاً حلقات مغلقة. وهكذا سجل اكتشافاً مهماً في الكيمياء الحديثة.

ما هي العناصر المشتركة بين تلك الاحداث الثلاثة؟

سرّها أن شخصاً ما فعل العمل المناسب أو فكر فيه في الوقت المناسب، على رغم أنه بعيد الاحتمال ومنافٍ للمنطق ولتجارب سابقة. إننا ننظر الى تلك القرارات التي تبدو مرتجلة وعفوية على أنها ضربة حظّ، ونعزو الى أصحابها حاسة سادسة، ونتذكر المرات التي خامرنا شعور باطني أو حس خفي لم يلبث أن تحقق. الا أن كل ذلك لا يتعدى إطلاقنا العنان لملكة متأصلة فينا لكنها غالباً مكبوتة أو مهملة. هذه الملكة هي الحدس.

**شرلوك هولمز.** الحدس هو ذلك الصوت الداخلي الذي يدفعنا في اللحظات الحرجة الى انتقاء أحد خيارين. نشعر أننا نعرف أمراً من دون أن نملك لهذه المعرفة تفسيراً. وبما أننا تعلّمنا أن نتكل على العقل، نجدنا نحجم عن اتخاذ القرارات "العاطفية"، وبذلك نهمل طاقة إدراكية نملكها جميعنا وربما كانت أداة مفيدة للوصول الى المعرفة.

وتاريخ العلوم زاخر بحالات حدس ثبتت صحّتها وأدت الى اكتشافات مهمة. أحد أشهر الامثلة على ذلك مثال عالم الفيزياء والرياضيات اليوناني أرخميدس في القرن الثالث قبل الميلاد، الذي جلس في حوض استحمام ورأى الماء يطفح فوق حافة الحوض، فأوحى اليه ذلك مبدأ إزاحة المياه الذي طبّقه على معضلات علمية أخرى.

وهناك عالم آخر أدرك أهمية الصوت الداخلي هو ألبرت أينشتاين الذي صرّح أن ذلك الصوت يساعده في فهم الافكار المعقّدة.

ان اعتماد الحدس لمعرفة الحقائق لا يعني التخلي عن المنطق، فالواحد مكمّل للآخر. الحدس يمدّنا بمعلومات حيوية يتولى العقل لاحقاً التحقق من صحتها. والعكس صحيح، إذ يمكن تقويم النتائج المنطقية بواسطة الحدس والبديهة.

بعد إغراق في التفكير واجراء تجارب كثيرة لا طائل فيها، يتوصل عدد كبير من الناس فجأة الى اكتشافات ربما بدت للآخرين مفاجئة وغير متوقعة. غير أن التبصّر المفاجىء هو في الواقع وليد جهد عقلاني وإحاطة تامة بالبيانات المتوافرة و"أنف" يشمّ الاستنتاجات الصائبة.

كان التحري الاسطوري شرلوك هولمز يعمل على هذا الاساس، وإلا فكيف علم في احدى القضايا أن القاتل هو أحد معارف الضحية؟ لقد اعتبر أن الكلاب لا تنبح لدى رؤية أشخاص تعرفهم. ولأن كلب الضحية لم ينبح إستنتج هولمز أن الدخيل لم يكن غريباً عن الدار ولا عن أهلها. هل ذلك التفكير عقلاني فقط؟ ربما بدا كذلك، لكن الحقيقة أن ما حوّل

تفكير هولمز الى الكلب لم يكن المنطق بل الحدس.

**الالهام والخبرة.** للحدس أيضاً قيمة كبيرة في الظروف التي تقتضي اتخاذ قرارات سريعة من دون اكتمال المعلومات، كما في الشؤون الاقتصادية والسياسية. صحيح أن هناك أموراً تساعد في التوصل الى قرارات، مثل دراسات السوق والاحصاءات السكانية والرسوم البيانية ومبدأ الأرجحية، وجميعها أساليب لا يسقطها رجل الأعمال أو رجل السياسة من اعتباره. إلا أن سر النجاح في حالات كثيرة هو الحدس.

وكثيرا ما يأتي الالهام العفوي محذّراً ومنبهاً. كم من مرة تأوهنا بعد عمل خائب مرددين: "كنت أعلم أنني سأمنى بالفشل." إنها حالات يكون فيها الصوت الداخلي مكبوتاً. واذ يصعب علينا تفسير الحدس، نرانا نعزو مثل هذه الاحداث الى المصادفة أو الحظ.

هل يمكن تشجيع الحدس وتنميته؟

أظهرت إحدى الدراسات أن ايحاءات كثيرة حصلت بعد فترة من الجهد العقلي المكثف عقبتها فترة استرخاء. وقد هبط الوحي على فنانين وباحثين وهم نائمون أو في نزهة من دون رفيق أو في قطار.

هناك عوامل عدّة قد تفسّر كيف أن فترات الراحة تشجع هبوط الالهام. ففي حالات الاسترخاء يتحرر العقل من قيود التفكير الواعي، لكنه يظل يعمل فيلتقط المعلومات التي تسوقها المصادفات ويعالجها بسلسلة من العمليات التلقائية. فتبين في اللاوعي ترابطات فكرية كان يفصل بينها التفكير المنطقي الصرف. ومن جهة أخرى، نلاحظ ان الاشخاص الذين ينكرون على أنفسهم فترات من الراحة لا يتركون مجالاً لهبوط الالهام.

والحقيقة الظاهرة هي أن الإلهام لا يهبط إلا في مجالات معيّنة. فالطبيب الذي يتمتع بحدس مرهف قد يكون عبقرياً في تشخيص المرض، لكنه ربما كان بليد الشعور في حياته الخاصة. ومدير التوظيف صاحب "الأنف المرهف" في ما يعود الى اختيار الموظف المناسب قد يخسر كل مدخراته في البورصة.

ألا يجوز اذاً أن نفسر الالهام بأنه تجربة أو خبرة مطبّقة على نحو سليم وصائب؟ لا شك في أن المعرفة الخاصة تساعد في حلّ المسائل. لكن الخبرة قد تشكل عائقاً أمام الالهام لانها تفضل المعالجة بالطرق التقليدية.

**شريك صامت.** لكن إصغاء المرء الى ذلك الصوت الداخلي قد ينطوي على بعض المخاطرة. فالخوف من اخفاق اقتراح غير مألوف أو من التعرّض لسخرية الآخرين هو شعور قوي في أوساط الخبراء. ومن الاسهل تقبّل الفشل بعد استنفاد جميع الطرق العادية لحل مشكلة ما. ولا ريب في أن الاصغاء الى صوت الوحي، إذا كانت في الأمر مخاطرة، يتطلب شجاعة وايماناً بمقدرة المرء الحدسية.

ويبدو أن النساء ينزعن الى إظهار هذه الشجاعة أكثر من الرجال. فمنذ طفولتهن يُشجَّعن على لفت النظر والتعبير بأسلوب توكيدي. أما الفتيان فيركز في

تربيتهم وتعليمهم على تنمية قدراتهم العقلية وتفكيرهم المنطقي. وهكذا يُعتبر الادراك "العاطفي" مقصوراً على النساء، لا بل امتياز خاص كما تشير اليه عبارة "حدس أنثوي" الشائعة.

ومع أن الإلهام لا يخضع للارادة، ففي الامكان أن نصبح أكثر تلقياً له. والسبيل الى ذلك هو امتصاص جميع المعلومات المتوافرة كما يمتص الاسفنج الماء. ولقد لاحظ الباحث الاداري الكندي هنري منتسبرغ أن القادة الناجحين يولون اهتماما كبيراً نواحي تبدو غير ذات أهمية، مثل لغة الجسد والثرثرة والاشاعات والتأمل الكسول. ويفضلون المقابلات الشخصية على التقارير الخطية. وفي هذا الصدد يقول الباحث بيتر سنج من معهد مساتشوستس للتكنولوجيا ان الشخصية الخلاقة هي التي تعترف بوجود ثغرات في المعرفة.

الخوف من الاخفاق يعوق العمل الملهَم الخلاق بمقدار ما تعوقه مقاومة التغيير أو كرهه. ومن جهة ثانية، تتيح معالجة المسائل بمرح وضحك فرصة للالهام العفوي. ولا شك في أن أفكاراً قيّمة كثيرة لم تر النور بل خنقت في مهدها بحجة أنها غير معقولة ولم يطبّقها أحد من قبل. وقصة الامريكي ادوين لاند خير دليل على بطلان هذه الحجة. فذات أمسية، أثناء عطلة أمضاها لاند وعائلته في نيو مكسيكو، سألته ابنته الصغيرة ما الذي يمنعها من التفرج للحال على الصورة التي التقطها في النهار. وكانت نتيجة هذا السؤال، الذي عبّر عن نفاد صبر طفولي، ابتكار آلة تصوير تظهر الصور على الفور واشتهار شركة "بولارويد" التي يملكها لاند في العالم أجمع.

عالمنا أصبح من التعقيد بحيث بات الاعتماد على العقل وحده وهماً كبيراً. والحقيقة أن في وسعنا أن نعالج مشاكلنا الكبيرة والصغيرة على نحو أفضل كثيراً اذا جعلنا الالهام شريكاً صامتاً في عملية الادراك الذهني.

**هيكو إرنست** ■



## نظام شيفرة

تلقت طالبة في كلية التجارة نتائج الامتحانات السنوية فكانت كالآتي: لغة انكليزية ٨٠/١٠٠، رياضيات ٨٥/١٠٠، ذلغ غلغ الاكلة تاكاتلة ٧٥/١٠٠. والموضوع الاخير يجب أن يقرأ: "طبع على الآلة الكاتبة."

د. ت.

---

أسوأ من الذنب هو عذر أقبح من ذنب نتوسله، بدلا من اعتبار الذنب تحذيراً من عمى بصرنا أو بصيرتنا.

س. ك.



**عندما كنت يافعاً**
**كنت أحصل على كل ما أريد**
**بقوتي وضخامة حجمي. كان ذلك**
**قبل أن يعلمني غلين أن "الحجم**
**يكمن في القلب والروح"**

# مزرعة الشباب



Illustration: Cliff Spohn

عندما التقيت غلين كانينغهام للمرة الاولى كنت في السادسة عشرة من عمري. وكنت مستأسداً على أترابي بوزني الذي بلغ ٩١ كيلوغراماً. جاءت بي أمي البائسة الى مزرعة غلين للشباب في تكساس وكانت ضاقت بي ذرعاً بعد وفاة والدي قبل سبعة أعوام. فقد بدأت طباعي تثير مخاوفها حين حطمت باب المنزل بضربة رفش.

عندما وصلنا الى المزرعة في ذلك اليوم من خريف ١٩٦٦ لم أستطع تصديق عيني. كانت هنالك خيول عربية في الحقل. وقرب المنزل القديم ذي الطبقتين كان قطيع من الاغنام ذات القرون الكبيرة، وعدد من الثيران والمعزى والايائل والطواويس والقرود. كما كان هنالك صبية من جميع الاعمار والاحجام والالوان.

كنت أحب العزلة. وعرفت أن المكان لن يناسبني فأردت أن ارحل عنه. لكن أمي أصرَّت على قرارها ولم تذعن لرغبتي.

عندما ترجلنا من السيارة رأيت رجلا يسير نحونا، فأدركت أنه صاحب المزرعة. كان طوله حوالى ١٨٠ سنتيمتراً، ومن بعيد شعرت بقوته. كانت يداه غليظتين خشنتين، ووجهه وجه مزارع لوحته الشمس، وعيناه كأنهما من فولاذ. صافحني، فأحسست قوة العينين قد تضاعفت بمصافحته القوية. وقال ببساطة: "اسمي غلين. أهلا بك."

"يمكنك أن تنجح!" استقبل غلين وزوجته روث ألوف الاولاد في مزرعتهما منذ استقرارهما هناك في الاربعينات. والاعتناء بالاولاد لم يكن بالنسبة اليهما مجرد عمل يؤديانه، بل ضرورة يستمدان منها الحياة.

لم يخططا لحياتهما هذه، ولم تكن حياة غلين تسير على مخطط. فهو ولد في أتلنتا بولاية كنساس في الرابع من أغسطس (آب) ١٩٠٩. وفي السابعة من عمره أصيب بحروق بالغة في المدرسة جعلت الاطباء يفقدون الامل بشفائه وتمكنه من السير على قدميه. لكن والده كان يشجعه قائلا: "لا تفقد الامل، اعمل على حل مشكلتك." وكانت أمه تدلكه يومياً لتساعده على استعادة قوة رجليه. وثابر غلين على هذا المنوال الى أن أصبح أعظم عداء أمريكي في جيله، وفاز بميدالية فضية في سباق الـ١٥٠٠ متر في دورة الالعاب الاولمبية عام ١٩٣٦.

عام ١٩٣٨ حاز غلين شهادة دكتوراه في التربية من جامعة نيويورك. وبعد انهاء خدمته في البحرية في الحرب العالمية الثانية، استقر مع زوجته روث في مزرعة تبلغ مساحتها ٣٤٠ هكتاراً في شمال شرق ويتشيتا بولاية في كنساس. في ذلك الحين حقق شهرة واسعة كخطيب ملهم، وكان يدعى على الدوام الى القاء خطب في حفلات التخرج وفي النوادي والمدارس في أنحاء البلاد. كانت عبارته الشهيرة: "يمكنك أن تنجح" تسحر المستمعين اليه كباراً وصغاراً. وبعد المحاضرات كان الاهل الذين يعانون مشاكل مع أولادهم يحوطونه من كل جنب. وسرعان ما وجد نفسه يقول لهم: "أجلبوا أولادكم الى مزرعتي لبعض الوقت."

وهكذا بدأ كل شيء.

كـان الاولاد المشـاكسـون و"غيـر المرغوب فيهم" يأتون للعيش مع عائلة كانينغهام أيـاماً وأسـابيع وأحيـاناً سنوات، في بيت يطفح حباً. كان هناك كثير من الاولاد اليائسين والخائبين. إلا أن غلين وروث لم يرفضا ولداً على الاطلاق ما دام هناك مكان له. وكان بين الاولاد متشردون ومروجو مخدرات ومدمنون وسارقو سيارات بلغ متوسط أعمارهم الرابعة عشرة. ولكن كان بينهم فتيان كبار اكثر رسوخاً في نمط حياتهم. وكنت أنا واحداً من أولئك الفتيان القلقين.

في ذلك المساء الاول أخبرني غلين عن توقعاته قائلا: "انتبه يا كين، هنالك أعمال معينة نؤديها هنا. نحن ننجز واجباتنا الدراسية على أكمل وجه. ننهض باكراً ونؤدي الاعمال اليومية. سوف يعهد اليـك بقسط مـن المسؤوليـة عـن الحيوانات."

لم أكن توليت أي عمل جدي طوال حياتي، ولم تكن لدي خبرة بالحيوانات. فشرح لي غلين كيف أطعمها وأسقيها، وختم حديثه قائلا: "... وسوف تعاقب اذا لم تنجز مهماتك على أكمل وجه."

**حب خشن.** كان آل كانينغهام شديدي الايمـان بأسلـوب معالجـة الفتيـان المضطربين من طريق تربية الحيوانات. ومثل سائر الاولاد في المزرعة عهد الي في الاعتناء بحصان خاص. كان غلين يدرك أن العمل الصعب يعيد الثقة الى النفس ويبعد التفكير في المشاكل الخاصة. وكـان يعلم أيضاً أن حب الحيوانات يصنع المعجزات.

كان غلين رجلا عنيداً وواقعياً يؤمن بالتأديب الجسدي اذا ما دعت الحاجة. لكنه كان في الوقت ذاته يظهر المحبة بالعناق وبروح المرح.

ومنذ وفاة والدي كنت أبحث عن انسان يضع لحياتي بعض الحدود.

بعد ظهر يومي الثاني في المزرعة كنت ألعب بقساوة مع الاولاد محاولاً ترويض محيطي. فرميت حبلا حول عنق ابنة غلين. وكانت في الثامنة من العمر. لم أكن أنوي ايذاءها، لكن الحبل ألهب عنقها فذهبت الى والدها باكية. ولم ألبث أن رأيت قامته المديدة في الباب وسمعته يناديني: "كين، تعال الى هنا." فرحت أختال أمامه ورمقته بنظرة عدائية وقلت له: "اذهب الى الجحيم."

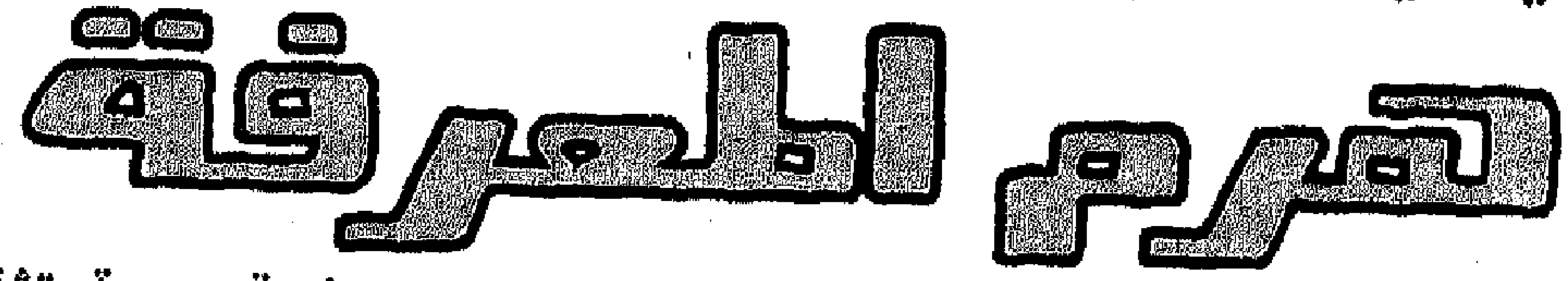
وسرعان ما أدركت أن تصرفي هذا لم يعبر عن الاحترام الذي يفهمه غلين. وعوقبت ذلك النهار على يدي رجل عرف معنى الحب الخشن وقيمة أسلوب الجَلْد التقليدي. كان طعم العقاب مراً، لكن غلين أحاطني بعده بذراعيه وقال بلطف: "كين، لا أستطيع ان أتركك تدمر نفسك. لقد أصبحت جزءاً من عائلتنا."

شعرت عندئذ أن شيئاً تحرك داخلي، ورغبت في الانتماء.

تركت فلسفة غلين أثراً عميقاً في أنفسنا وعلقت على كثيرين منا،لانه كان يطبقها في حياته اليومية. كان غلين دائماً أول المستيقظين صباحاً.

**درس في التسامح.** كانت روث أيضاً تملك طاقة لا تنفد. وما زلت أذكر كيف كانت توقع الحوالات في سريرها في

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات



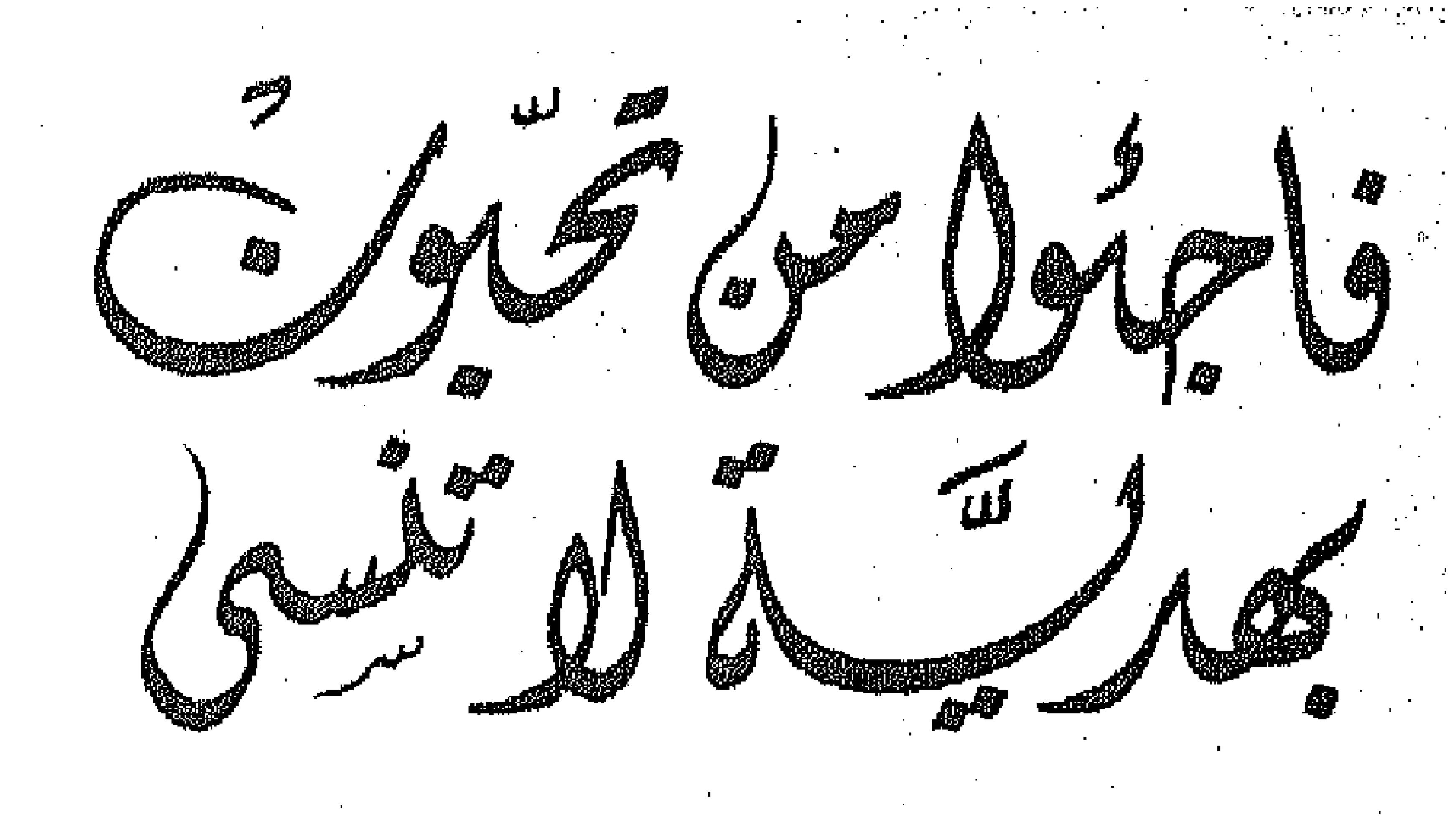

لعبة عربية تثقيفية مشوقة

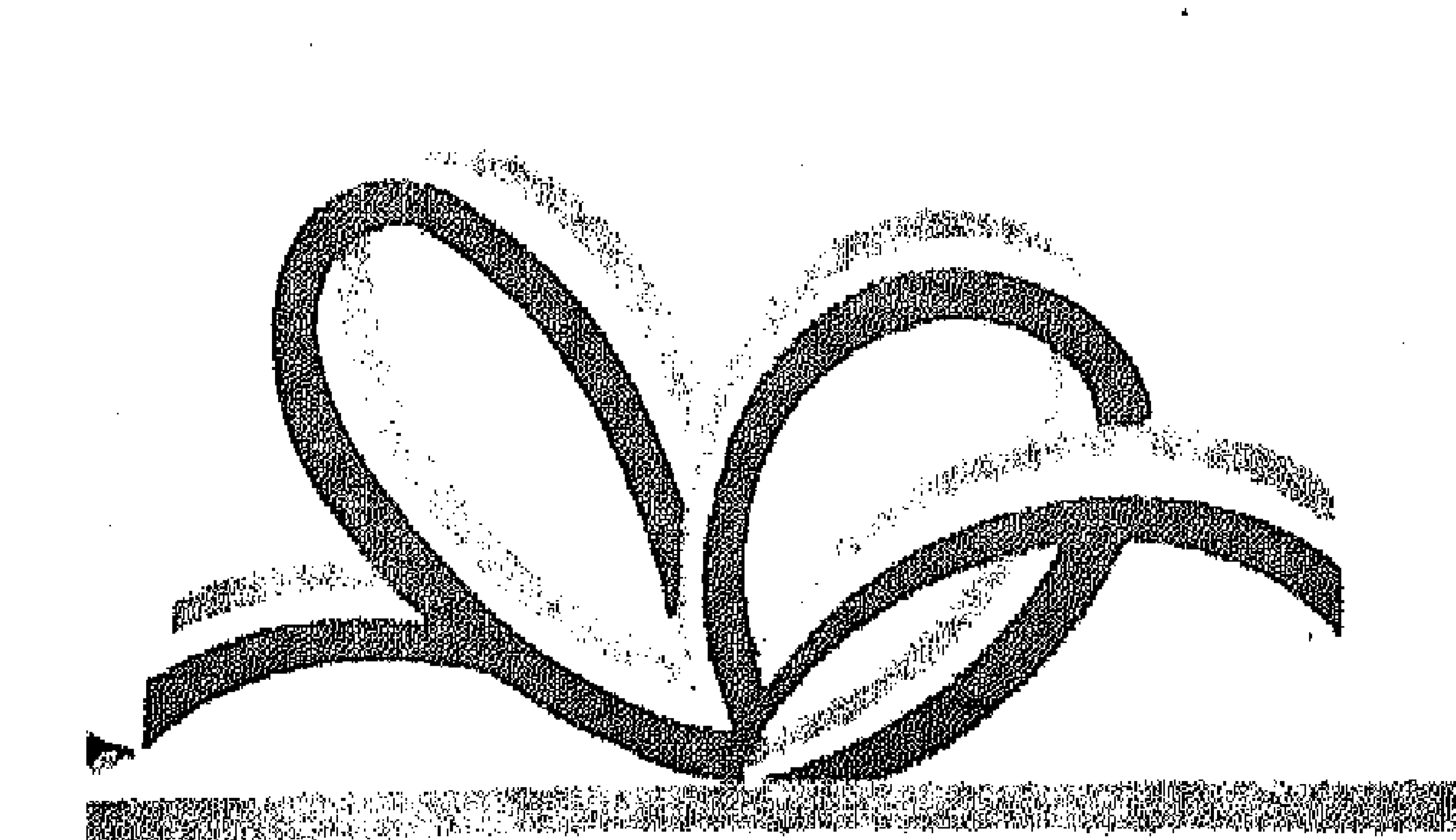
رياضة
تاريخ
فنون
جغرافيا
أدب
علوم

- هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة



هرم المعرفة تجدونها في جميع محلات الألعاب والمكتبات
انتاج: شركة انتاج وتسويق الألعاب التثقيفية ش.م.م. PROMEGA S.A.R.L.
تلكس: LE ٤٥٤٠٠ AJAKKA - (٠٩١) ...



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).

كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...

فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟

فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٨٩/٦/١ و١٩٩٠/٥/٣٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٥ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت لبنان
BANK ALMASHREK S.A.L.
P.O.BOX 1524
BEIRUT-LEBANON

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ______________

______________

عنوانه ______________

______________

المناسبة وتاريخها ______________

توقيع المهدي ______________

مع أخلص تمنياتنا

ساعة متقدمة من الليل لتدفع، مثلا، لصاحب شاحنة قطر بدل أتعابه في رفع سيارة أوقعها أحدنا في خندق. كانت تفعل ذلك وهي تعلم أن الرصيد في المصرف يكاد لا يفي بتأمين طعام اليوم التالي. والى ذلك كانت روث دائماً حاضرة لتبعد عنا كوابيس الليل وتهدىء من روعنا بمحبتها وصوتها الدافىء.

وكان كثير من الفتيان أخضعوا لرعاية عشرات المرشدين والعلماء النفسانيين الذين عملوا على معالجة عقولهم، لكن غلين وروث كانينغهام كانا يعملان على معالجة قلوبنا.

اشترى غلين مرة صندوقاً مليئاً بالأشراك وطلب منا ألا نلمسها. لكنني أخذت أسرق منها وأبيعها الواحد تلو الآخر من زميل في المدرسة في مقابل ثمن زجاجة مرطبات. وفعلت ذلك يوماً بعد يوم على رغم أن الندم كان يتأكلني.

وذات يوم رافقت غلين الى بؤرة حرق الاوساخ، فقلت له: "أريد أن أخبرك شيئاً."

التفت الي محدقاً كأنه أدرك ما يجول في خاطري، وسألني بنبرة ترتجف لها الفرائص: "ما الامر يا كين؟"

بعدما اعترفت له بالحقيقة سألني: "هل تذكر ماذا قلت لك انني سأفعل اذا أقدمت على عمل غير شريف؟"

أجبت: "قلت لي انك ستجلدني."

فقال: "إذاً ماذا علي أن أفعل الآن في رأيك؟"

أحسست الالم في داخلي الى حد لم أستطع معه الكلام، فقلت: "أرى أن تبدأ جلدي الآن."

انتظرت، لكنه لفني بذراعه قائلا: "أعتقد أنك عوقبت كفاية الآن. لنعد الى البيت ونتكلم." وفي غرفة الجلوس جلسنا محاطين بعدد من الاولاد، وتحدثنا عن الثقة واحترام الآخرين.

لن أنسى أبداً التسامح الذي أظهره لي غلين ذلك النهار حين قال: "الصدق هو أهم ما في الحياة. لا تحقر نفسك يا كين باعتبار الباطل صواباً."

**قوة الضحك.** مرت علينا أيام صاخبة في المزرعة. وفي رأيي أن روح غلين المرحة ساعدته على تخطي هذه الاوقات. كان يقول لنا: "الضحك يزود الروح قوة، ومن دون هذه القوة الروحية لا يمكنكم جبه الصعاب في حياتكم."

وكان الصرع الذي ينتابني أحد مشاكلي الخاصة. وقد انتابتني نوبات صرع قوية جعلتني أشعر بالخجل. لكن هذا الشعور لم يطل في بيت غلين. وبدأ ابنه جين، الذي كان في مثل سني، يمازحني حول هذه النوبات. وبعد فترة وجيزة أخذ غلين والآخرون يمازحونني أيضاً. فلم يمضِ وقت طويل حتى شعرت بالارتياح وبدأت أتقبل وضعي وأمازحهم كلما مازحوني.

كان غلين يشدد دائماً على أن في امكاننا تحويل ضعفنا قوة. وأصبحت نوبات صرعي فعلا تشكل قوة بالنسبة الي لانها تساعدني على اقناع الآخرين بقدرتهم على مواجهة مصائبهم.

وكان غلين يردد هذا المثل: "وقف رجلان على ضفة نهر. أحدهما اعتبر النهر مشكلة والثاني رأى فيه تحدياً. فمن

تظنونه وصل أولا الى الضفة المقابلة؟"

وآمن غلين أيضاً بمنطق الفيلسوف والشاعر الامريكي رالف والدو امرسون القائل بأن الهدية الحقيقية الوحيدة هي "أن تقدم جزءاً من نفسك." وكان غلين وزوجته وبناته الست وأبناؤه الاربعة مثالا دائماً على ذلك.

غرقت العائلة في الديون بغية المحافظة على المزرعة. وكانت فواتير البقالة والعلف واللباس والمؤن لخمسة وثلاثين فتى تفوق موارد المزرعة.

وكانت هناك قلة من الناس الاوفياء، وبينهم والدتي، تبرعوا بالمال للمزرعة. ولكن لأكثر من ثلاثين عاماً ظل غلين يدفع الفواتير من ريع جولاته الخطابية. وكان في معظم الاوقات يعود من هذه الجولات برفقة ولد محتاج آخر.

**هان دوري.** عندما بلغت السن الخامسة والعشرين، وبعدما عملت في مزارع أريزونا وكولورادو، قررت أن الوقت حان لاعادة ما أُعطيت سابقاً. كان غلين يقول: "ان كنت تملك في قلبك لحناً، فأنت تدين للعالم بأغنية." وهكذا درست صنعة السكاكين. وساعدني غلين على تأسيس حانوت، وظل يزورني باستمرار على مدى احدى عشرة سنة.

وكل يوم بعد المدرسة كان الاولاد يأتون من البلدة ويجتمعون في حانوتي ليراقبوني في عملي. ان الصبية يشعرون بميل نحو السكاكين. وكانت تلك بداية طبيعية. فرحت أعمل معهم وأصغي الى مشاكلهم. وتنقلت مع غلين في أنحاء البلاد وألقينا الخطب.

وفي العام ١٩٧٨، نتيجة الصعوبات المالية وتدهور صحة روث، أقفل آل كانينغهام مزرعتهم واشتروا منزلا في بلدة مجاورة. ولكن لم يطل الامر كثيراً حتى تعالت أصوات الاولاد مجدداً في مزرعة آل كانينغهام القديمة. ففي يونيو (حزيران) ١٩٨٥ قرر جودي وسندي براون ولورا وبريان ايلمور متابعة ما بدأه آل كانينغهام، فأعادوا فتح المزرعة. ووافق غلين وروث على العمل هناك كمستشارين. وعرض غلين أن يطوف في أنحاء البلاد لجمع المال.

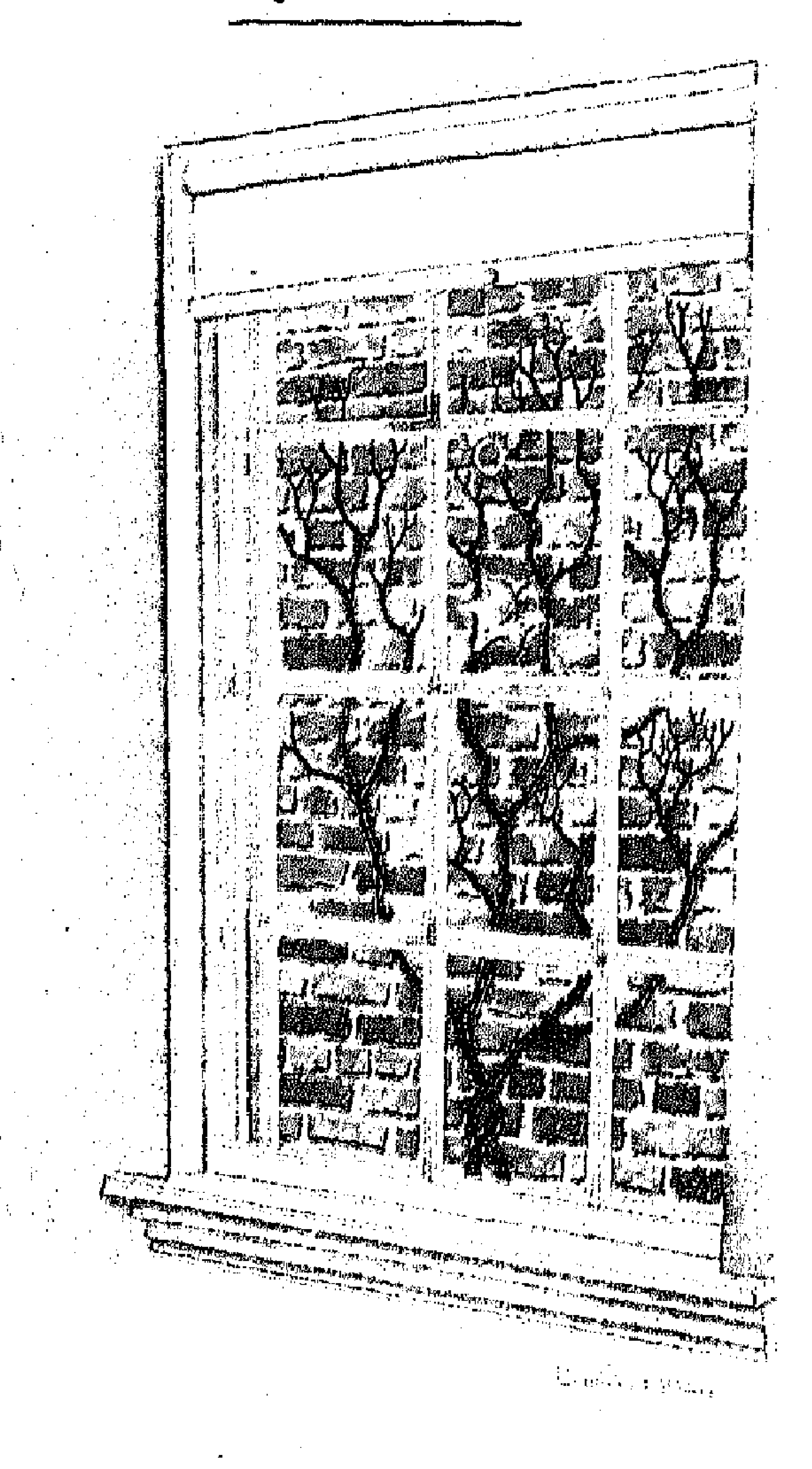
واليوم يأتي أولاد المزرعة الثلاثون كل يوم أحد للاجتماع في منزل جين ابن غلين. فأرى فيهم ذاتي وأصحابي قبل ٤٢ سنة. ومرة أسررت الى غلين: "لا أعتقد أننا كنا بهذه الرداءة التي يظهرها هؤلاء الاولاد." فابتسم غلين قائلا: "لا تقطع الامل. هناك خير داخلهم. ساعدهم على اكتشافه، ثم دعه يشع."

وبفعل ايمان غلين القوي لم يكن يهاب الموت. وفي السن الثامنة والسبعين كان لا يزال يذري التبن ويملأ خزانات المياه ويعتني بماشيته. وتوفي بنوبة قلبية في مارس (آذار) ١٩٨٨ بعد انهاء الاعمال المسائية في المزرعة، المكان الذي أحب أن يكون فيه دائماً.

كان غلين يعتبر نفسه انساناً عادياً. أما بالنسبة الينا، نحن الذين أعطانا الكثير، فهو ليس عادياً. لقد تأصل تأثير غلين وروث في ألوف الاشخاص، وسيسري من جيل الى جيل. وأعتقد أن غلين اعتبر هذا الميراث أهم سباق ربحه في حياته.

**كين وست** ■

## قصة قصيرة



# الورقة الأخيرة

**رأتها من خلال النافذة متشبثة بالكرمة. ستسقط قريباً بلا ريب، ثم تذهب هي ايضاً**

في ناحية صغيرة من "قرية غرينتش" في مدينة نيويورك تنقسم الشوارع أزقة صغيرة تنعطف في زوايا ومنحنيات غريبة. ويقطع الزقاق ذاته مرة أو مرتين. وقد اكتشف فنان احتمالا قيماً في هذا الوضع. قال: "لنفرض أن جابياً يحمل فواتير بحسابات أصبغة وورق وقماش رسم، فانه يجد نفسه هنا قد عاد أدراجه من دون أن يجبي قرشاً."

وهكذا يأتي أهل الفن الى هنا يفتشون عن نوافذ شمالية وعلّيات مائلة السقوف وأجور منخفضة.

في الطبقة العليا من بناء قرميدي ذي ثلاث طبقات كان محترف سو وجونسي. إحداهما من مين والاخرى من كاليفورنيا. وهما التقتا في مطعم محلي فوجدتا ان ذوقيهما متجانسان مما أدى بهما الى اختيار مسكن مشترك.

كان ذلك في مايو (أيار). وفي نوفمبر (تشرين الثاني) تسلل الى جالية الفن غريب بارد غير منظور يدعى ذات الرئة، يلمس بأصابعه القارسة واحداً هنا وواحداً هناك.

كانت جونسي، التي رقّقت دمها رياح كاليفورنيا، فريسة سهلة للداء. اضطجعت هناك، على سريرها الحديد الملوّن، نادراً ما تتحرك، تتطلع من خلال المربعات الزجاجية الصغيرة في النافذة الى المنزل القرميدي القريب.

أخبر الطبيب سو في الرواق: "حظها في النجاة واحد من عشرة. والامل الوحيد هو أن تزيد هي الحياة. لكنها مصممة على أنها لن تتحسن. هل من شيء في ذهنها؟"

Illustration: Denise Hilton — Putnam

قالت سو: "انها أرادت أن ترسم خليج نابولي يوماً."

"أن ترسم؟ كلام هراء. هل في ذهنها أي شيء يستحق التفكير فيه مرتين؟ رجل مثلا؟"

قالت سو ببرود: "رجل؟ وهل هناك رجل يستحق ذلك؟ لا يا دكتور، ليس ثمة شيء من هذا القبيل."

قال الطبيب: "حسناً، سأفعل كل ما يستطيعه العلم. ولكن عندما تبدأ مريضتي عدّ العربات في موكب دفنها فسأطرح خمسين في المئة من طاقات الطب الشفائية. أما اذا جعلتها تسأل عن الزي الجديد لمعاطف الشتاء، فأعدك بفرصة واحدة من خمسة، بدل واحدة من عشرة."

## "سأرسم ذات يوم"

بعد ذهاب الطبيب أشبعت سو محرمة ورق بدمع عينيها، ثم مشت مختالة الى غرفة جونسي حاملة لوح الرسم وهي تصفر.

كانت جونسي مضطجعة تتموج تحت اللحاف ووجهها نحو النافذة. فكفت سو عن الصفير ظناً منها أن جونسي نائمة.

بدأت سو ترسم، فسمعت صوتاً خافتاً يتكرر. فاسرعت الى جانب السرير. كانت عينا جونسي مفتوحتين على وسعهما، وهي تتطلع خارج النافذة وتعد عكسياً.

"اثنا عشر... أحد عشر... عشرة... تسعة... ثمانية... سبعة..."

نظرت سو خارج النافذة، ماذا هناك ليحصى؟ ليس هناك سوى ساحة مكشوفة موحشة وجانب مسدود من البيت القرميدي الذي يبعد ستة أمتار. وثمة كرمة قديمة ملتوية ذابلة حتى الجذور، معرشة الى منتصف الحائط القرميدي، وقد ضربت نسمات الخريف الباردة أوراقها حتى التصقت أغصانها شبه عارية بالقرميد المحطم.

سألت سو: "ما الامر يا عزيزتي؟"

فهمست جونسي: "ستة، انها تتساقط بسرعة الآن. قبل ثلاثة أيام كان هناك قرابة مئة آلمت رأسي وأنا أعدها. أما الآن فالامر هين. سقطت واحدة، ولم يبق الا خمس."

- خمس ماذا يا عزيزتي؟

"خمس أوراق على الكرمة المعرشة. وعندما تسقط الاخيرة يجب أن أذهب أنا أيضاً. عرفتُ ذلك منذ ثلاثة أيام. ألم يخبرك الطبيب؟"

قالت سو بسخرية مصطنعة: "أنا لم أسمع في حياتي مثل هذا الهراء. حاولي أن ترشفي بعض المرق، ودعي سو تعود الى الرسم فتكسب مالا تشتري به شراباً منعشاً لطفلتها المريضة وشرائح لحم لنفسها الشرهة."

قالت جونسي وعيناها مثبتتان على النافذة: "لن تحتاجي الى شراء شراب بعد الآن. ها قد سقطت ورقة أخرى. أنا لا أريد مرقاً. ان سقوطها يجعل الباقيات أربعاً. أريد أن أرى الاخيرة تسقط قبل أن يحل الظلام، ثم أذهب أنا أيضاً."

قالت سو: "حاولي أن تنامي. يجب أن أدعو بهرمان ليكون نموذجاً لعامل منجم أرسمه. لن أغيب أكثر من دقيقة."

كان بهرمان رساماً يسكن في الطبقة الارضية. وهو تجاوز الستين وله لحية

جليلة. انه فنان فاشل، يردد على الدوام انه يهيىء لرسم تحفة فنية، لكنه لم يبدأها بعد. يكسب بعض المال بالجلوس أو بالوقوف نموذجاً للفنانين الصغار الذين لا يستطيعون أن يدفعوا للمحترفين. هو عجوز شرس يحتقر النعومة في أي شخص ويعتبر ذاته حارساً للفنانتين الصغيرتين اللتين تعيشان في الطبقة فوقه.

وجدنه سو في غرفته الصغيرة المعتمة. ولمحت في احدى الزوايا قطعة قماش بيضاء مثبتة على منصة الرسم. أخبرته بهلوسات جونسي، وكيف أنها، عندما يضعف تمسكها الواهي بالدنيا، ستطير كورقة خفيفة هشة.

صرخ: "ماذا؟ هل ثمة أناس مجانين الى هذا الحد يظنون أنهم سيموتون لان الاوراق تسقط من كرمة لعينة؟ لم أسمع أبداً بشيء كهذا. لا، لن أقف نموذجاً لعامل منجم. كيف تدعين ذلك السخف يدخل عقلها؟ آه، تلك الصغيرة المسكينة، الآنسة جونسي."

قالت سو: "انها مريضة جداً وضعيفة والحمى جعلت الموت هاجسها. حسناً يا سيد بهرمان، اذا كنت لا تبالي بأن تكون لي نموذجاً فلا حاجة بك الى ذلك."

زعق بهرمان: "أنت كامرأة تماماً! من قال انني لن أكون نموذجاً؟ سيري، فأنا آت معك. يا الهي، ليس هذا المكان صالحاً لأن تضطجع فيه الآنسة جونسي وهي مريضة. سأرسم يوماً تحفة، وسنرحل جميعنا بعيداً. أجل."

كانت جونسي نائمة عندما صعدا الى الطبقة العليا. أرخت سو الستار وأومأت الى بهرمان بالتوجه الى الغرفة الثانية، هناك، من النافذة، رمقا بخوف الكرمة المعرشة، ثم نظرا واحدهما الى الآخر لحظة من دون أن ينبسا بكلمة. وكان المطر يهطل بارداً ممزوجاً بالثلج.

## "ارفعي الستار"

عندما استيقظت سو في الصباح التالي رأت جونسي تحدق بعينين بنيتين جاحظتين الى الستار الاخضر المسدول.

همست بلهجة آمرة: "ارفعيه، أريد أن أرى." أطاعتها سو على مضض.

ها! على رغم انهمار المطر وعنف الريح ما زالت هناك ورقة تقاوم على الحائط القرميدي. انها ما فتئت خضراء قائمة قرب عنقها، لكنها مصفرة ومدلاة بشجاعة من غصن يعلو عن الارض قرابة ستة أمتار.

قالت جونسي: "انها الورقة الاخيرة، ستسقط بلا ريب في الليل. اسمعي عصف الريح. ستسقط اليوم، وسأموت أنا."

قالت سو مشيحة بوجهها: "عزيزتي، عزيزتي، فكري فيَّ اذا كنت لا تريدين أن تفكري في نفسك. ماذا سأفعل أنا؟"

لكن جونسي لم تجب. ان أوحد ما في الدنيا نفس تستعد للذهاب في رحلتها الغامضة البعيدة. ويبدو أن الوهم أخذ يتملكها بحيث أن الروابط التي تشدها الى الصداقة والارض كانت تنحلّ.

انقضى النهار. وفي ضوء الشفق استطاعتا رؤية الورقة وهي ما زالت عالقة بعنقها. وفي الليل عصفت الريح ثانية وضرب المطر النوافذ.

وعندما بزغ النور أمرت جونسي ثانية برفع الستار.

الورقة المعرشة لا تزال هناك.

اضطجعت جونسي وقتاً طويلا تنظر اليها . ثم نادت سو التي كانت تحرك مرق الدجاج على موقد الغاز.

قالت جونسي: "ثمة شيء ما أبقى الورقة الاخيرة هناك لأعرف كم كنت شقية. انها لخطيئة أن أطلب الموت. يمكنك أن تأتيني الآن بقليل من المرق، وببعض الحليب الممزوج بشرابك المنعش. ولكن ناوليني اولا مرآة يد، ثم رضّي الوسادات حولي، وسأجلس وأراقبك وأنت تطبخين."

وأضافت: "يا سو، آمل أن أرسم يوماً خليج نابولي."

جاء الطبيب بعد الظهر، ورافقته سو الى الرواق وهو يغادر.

قال الطبيب ممسكاً يدها المرتجفة: "حظها خمسون في المئة. وبالتمريض الجيد ستفوزين. الآن عندي مريض ثان يجب أن أراه. اسمه بهرمان، أعتقد أنه فنان. انه مصاب بذات الرئة أيضاً. هو عجوز ضعيف، واصابته حادة، لا أمل له. لكنه سينقل اليوم الى المستشفى."

في اليوم التالي أخبر الطبيب سو: "صديقتك تجاوزت الخطر، لقد فزت. الآن، الغذاء والعناية هما كل شيء."

بعد ظهر ذلك اليوم دنت سو من السرير حيث كانت جونسي مضطجعة تحوك شالا صوفياً، وطوقتها باحدى ذراعيها.

قالت: "لدي شيء أقوله لك. مات بهرمان اليوم في المستشفى بذات الرئة. قبل أيام وجده البواب في غرفته وقد أقعده الالم، وحذاؤه وثيابه مبللة ومصقعة كالثلج. لم يعرف أحد أين كان. ثم وجدوا قنديلا مضاء، وسلّماً مسحوبة من مكانها، وفرشاة، ولوحة مزجت عليها ألوان خضر وصفر. أنظري، يا عزيزتي، الى الورقة الاخيرة المعرشة على الحائط. ألم تستغربي كيف أنها لم ترف ولم تتحرك عندما عصفت الريح؟

انها تحفة بهرمان. لقد رسمها ليلة سقطت الورقة الاخيرة."

**أو. هنري ■**

اسم مستعار للقصصي الامريكي
وليم سيدني بورتر (١٨٦٣ - ١٩١٠).



## اطفالنا

ما نحب في أطفالنا، أبعد من التعرّف النرجسي الى ذواتنا، هو أنهم يتيحون لنا أن نعيد طفولتنا، وخصوصاً ذلك الجزء منها قبل تشكل ذاكرتنا الواعية. والاطفال يحملوننا أيضا الى المستقبل ما وراء فنائنا، تماما كما حملنا أهلنا الى مستقبل لم يحيوا أبدا ليروه. الحب العائلي هو هذا الادراك السلالي للزمن، هذا الانتماء المشترك الى سلسلة من الاجيال. ويبدو انتقاصا من حبنا لاطفالنا أن نقول إننا نحبهم لصفاتهم ولما يتفردون به. نحن نحبهم لأنهم أطفالنا، ولاننا نتعاون على تجذير بعضنا بعضا في بعد زمني أطول من حيواتنا.

"ملحق التايمس الادبي"، لندن

# المتفوّق



تكوّمت التعجيزات في وجه الفتى المعاق فأصرّ على تخطيها جميعاً

خلال المباراة السنوية في كرة اليد التي اقيمت في جامعة أوغزبرغ في مينيابوليس بولاية مينيسوتا، كان فريق كونكورديا الضيف على وشك أن يهزم الفريق المضيف. وفي نهاية الشوط الرابع من المباراة كان فريق كونكورديا يهدد بالتسجيل من جديد. لكن دفاع فريق أوغزبرغ راح يلعب كأنه غير مدرك الفرق العظيم في النتيجة. فجأة بدأ يظهر مقاومة عنيفة ألهبت حماسة الجمهور. وبدا كأن فريق أوغزبرغ يخبىء انتصاراً باهراً عوض هزيمة نكراء.

وفي الملعب كان محور انتباه الجميع لاعب في الحادية والعشرين من عمره يدعى ديفيد ستيفنز. لم يكن قد دخل المباراة الا قبل بضع دقائق، وها هو يضج صخباً وحيوية ويهجم ويخترق خط هجوم فريق كونكورديا. ثم فقد احد لاعبي كونكورديا السيطرة على الكرة وهو يعدو بها، فارتمى ديفيد فوقها موقفاً الهجوم. ورفع الكرة بين يديه وسط هتافات رفقائه. وعلى الخطوط الجانبية للملعب كان أعضاء الفريق يحتدمون اهتياجاً، وهبّ الجمهور يهتف استحساناً. لقد حول ستيفنز أمسية بائسة لفريقه واحدة من تلك اللحظات الرياضية التي لا تنسى.

**تربية صارمة.** ديفيد لي ستيفنز معجزة في التصميم الشجاع. خلال الستينات استعملت عدة نساء حوامل، بمن فيهن ام ديفيد، عقاراً يدعى "تاليدوميد" لمعالجة غثيان الصباح.



Photo: © Daniel G. Endy

وعلمت بعد فوات الاوان أنه يسبب عاهات حادة في المولود الجديد. وولد ديفيد من دون وركين. وحيث يفترض ان تبدأ رجلاه كانت هناك قدمان فقط.

تخلت عنه والدته فوراً وعرضته للتبني. لكن قلة من الناس ترغب في تبني اطفال ذوي عاهات ناجمة عن الثاليدوميد. الا أن بي ستيفنز وزوجها بيل كانا يحبان الاولاد، وكانت لديهما ابنة في الرابعة عشرة اسمها شيري، وكانا يريدان ابناً. اخذا ديفيد كربيب، وبعد مضي ثلاثة أشهر تبنياه. وكان بيل ستيفنز يعمل سائق شاحنة، ولم يكن ذا مال وفير وقد حذّر آل ستيفنز من أن تربية ديفيد تستلزم أموالا طائلة، وأن ديفيد قد يمضي حياته في كرسي للمقعدين، وربما كان متخلفاً عقلياً. وعلى رغم ذلك تبنته العائلة.

لا تتذكر شيري أن أخاها أبدى أي اشارة الى ضعف عقلي، بل انه حاول أن يدب قبل معظم الاولاد في سنه. تقول: "كان رد فعلي الغريزي ان اساعده، لكن والدتي كانت تصر على ان يتعلم القيام بأموره بمفرده. وسرعان ما صار يعدو في أرجاء المنزل. كان طفلا سعيداً."

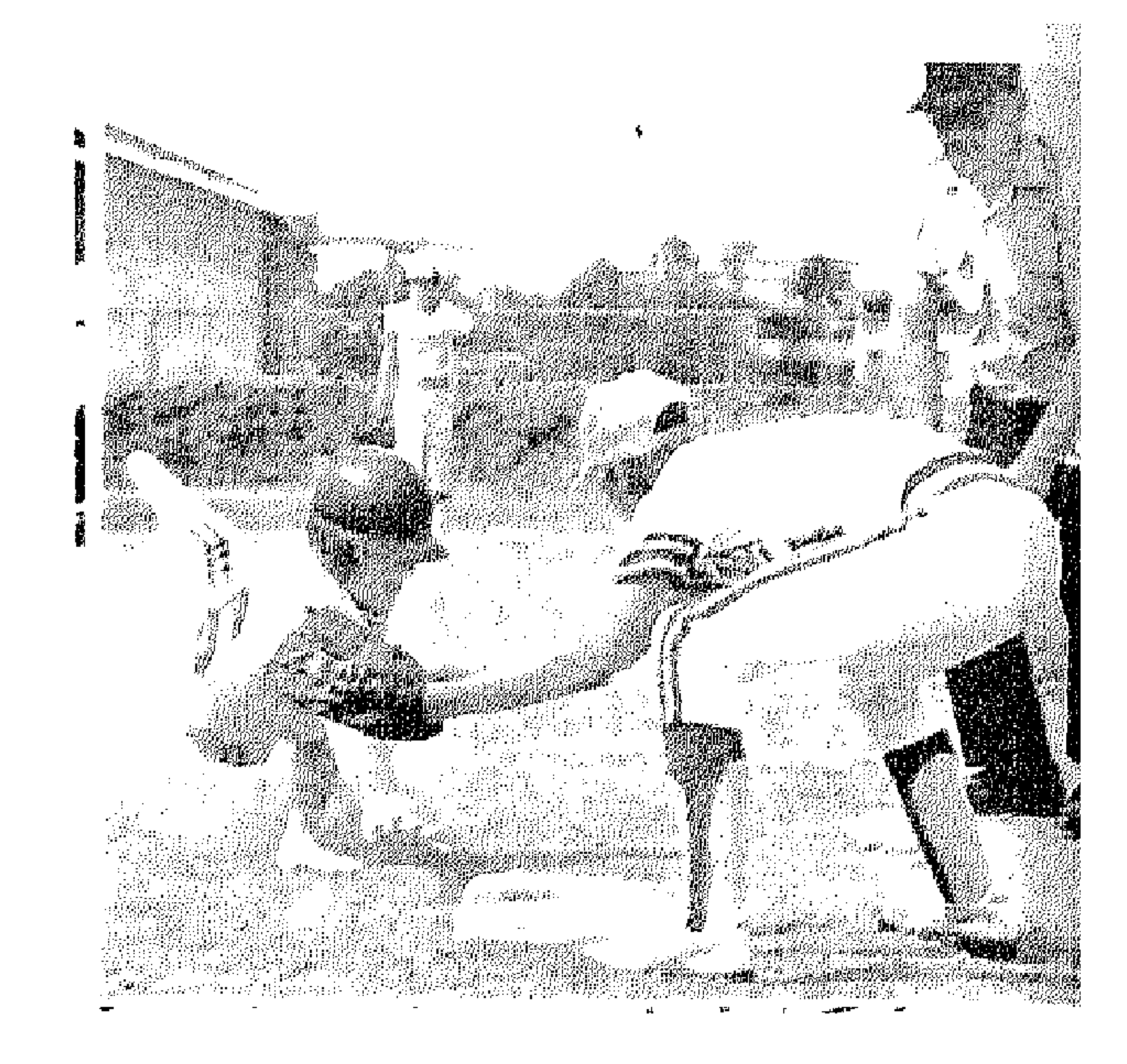
مارس بيل وبي ستيفنز على ديفيد ذلك النوع من التربية الصارمة التي ترسم حياة كثير من الناس الناجحين. فرضا عليه قواعد صارمة في التصرف، كما حضناه وأحباه. كانا أول من اخبره أن معظم الناس يولدون بأرجل، أما هو فلم يولد كذلك، وأن عليه مواجهة الحياة كما هي ومحاولة الحصول على أفضل ما يمكن أن تقدمه اليه. كانا مصممين على جعله لا يعتمد على أحد الا في الحالات الضرورية، لذا رفضا وضعه في كرسي المقعدين. ولدى بلوغه الثالثة أخذ الى مستشفى شراينرز للاولاد المقعدين في سالت ليك سيتي، ووُضع في جهاز يشبه السلة، مجهز بساقين ثابتتين لتعطياه الطول التقريبي الطبيعي لمن هم في مثل سنه. وكان كلما كبر أبدلت الساقان بأخريين أجد وأطول.

**في الملعب.** عندما بدأ ديفيد حياته المدرسية بدا واضحاً انه كان قائداً، اذ كان دعم عائلته غرس فيه ثقة بالنفس مدهشة. وعندما يتعين على رفقاء صفه التحضير لحدث خاص كانوا يعتمدون عليه في ادارة العمل. وكلما انضم تلاميذ جدد الى الصف طلب منه معلموه مصادقتهم وادخالهم الجو.

وفي سنته الابتدائية الخامسة، بعد سنوات من الدفع بواسطة يديه وذراعيه، أصبح جسمه على درجة عالية من النمو. كان في امكانه ان يقبض على قضيب افقي منصوب ويرفع جسمه ٣٥ مرة حتى يصل ذقنه الى مستوى القضيب، محطماً رقماً قياسياً في مدرسته. كما كان يقطع مسافة ٤٦ متراً في سباق قصير في ١٧،٥ ثانية وهو يعدو كعنكبوتة على يديه وقدميه.

وذات يوم اعطاه صديق قفاز بايسبول (كرة القاعدة) فتعلق ديفيد بهذه اللعبة. ولم يلبث ان تعلق بالرياضة عموماً. وأصبح هدافاً مميزاً في فريق هوكي ربح ١٤ مباراة وخسر ثلاثاً.

كان يحرس مرمى كرة القدم على



ركبتيه، لكنهُ كان يخلع ساقيه الاصطناعيتين ليلعب كرة السلة. وفي المرحلة الدراسية المتوسطة كان عضواً في فريق كرة السلة. يقول: "لم أكن من لاعبي الهجوم، اذ كان من السهل صد ضرباتي. لكنني كنت قوياً في الدفاع، استطيع الاقتحام بين أرجل اللاعبين وسرقة الكرة منهم."

عندما أنهى ديفيد المرحلة المتوسطة قرر أهله الانتقال الى بلدة ويتمان في أريزونا حيث سُجل في مدرسة ويكنبرغ الثانوية. شعر ديفيد بالوحدة بعدما ابتعد عن أصدقائه. لكنه أدرك أخيراً أن عليه التكيف والظروف والا فلن يقبله العالم.

طلب اذن أمه في ممارسة لعبة كرة اليد، فقالت ضاحكة: "طالما ظننتُ أنك لا تستطيع ممارسة هذه الرياضات، وكنت كل مرة تثبت أني مخطئة. وهذا يزيدك قوة."

عندما ظهر ديفيد على أرض الملعب بقميصه الرياضي وسرواله القصير صعق فيكتور سميث مدرب منتخب الجامعة وبدا عليه القلق. يقول سميث: "لم أصدق ان في امكانه اللعب، ولم يكن يسعني أن أقضي كل وقتي مهتماً به. وكل ما تمنيته هو الا يصاب بأذى. كان ديفيد يُرى وسط كل شيء، يصد الهجمات ويمسك الخصم الحامل الكرة ويمرر الكرة الى زملائه. كان يرفض أن يتراجع، وكان يفعل حسناً كلما سنحت له الفرصة." وهو أظهر روحه المرحة عندما قال مازحاً انه يريد الرقم ١/٢ على قميصه.

**"أخرجوه!"** في المباريات كان لاعبو الوسط الذين يلعبون ضده يصعقون عندما يكتشفون أنهم يواجهون خصماً بلا ساقين. كان ديفيد يتفادى محاولات صده ويلاحق حامل الكرة مستعملا ذراعيه القويتين. وفي احدى المباريات استطاع أن يمسك الخصم الحامل الكرة سبع مرات من غير مساعدة أحد، كما استطاع أسقاط الظهير الربعي مرة.

وفي سنته الجامعية الثانية شارك في جميع مباريات منتخب الدرجة الثانية. وبعد ذلك لعب مع منتخب الدرجة الاولى لمدة سنتين.

كان سميث، وهو مدرب المصارعة أيضاً، يميز الرابح عندما يراه، فأقنع ديفيد بالانضمام الى فريق المصارعة. وفي محاولاته السبع الاولى هزم ديفيد بسرعة مما ثبَّط عزيمته. لكن مدربيه ظلوا يشجعونه ويعملون معه حتى تمكن في سنته الجامعية الاخيرة من ربح ٢٨ مباراة من أصل ٣٢. وهو سجل ٦٢ عملية اسقاط للخصم، وكانت هذه النتيجة

الافضل في تاريخ المدرسة الى ذلك الوقت، وأتى تصنيفها الرابعة في تاريخ المصارعة المدرسية في البلاد.

بقي سميث مقرباً من ديفيد الذي لا يزال يزوره. يقول: "لقد علمني درساً مهماً. فقبل معرفتي به كنت أتحاشى ذوي العاهات، فجاء هو ليبدل موقفي. أظهر لي أن ليس من سبب يدعو الى عدم الارتياح في حضورهم."

كان ديفيد لاعباً ماهراً في البايسبول أيضاً. وبسبب قصره (يبلغ طوله ٩٧ سنتيمتراً) كانت المساحة التي يستطيع أن يضرب فيها ضيقة جداً. وخلال سنته الجامعية الاخيرة سجل رقماً قياسياً على مستوى الولاية هو ٥٠٠ هدف. كان "يسرق" الاهداف مفاجئاً الجميع.

خلال احدى المباريات الكبرى حان دوره في الضرب، وكانت النتيجة متعادلة. فاذا بأحد المتفرجين المناصرين للفريق المنافس يشن هجوماً كلامياً صائحاً: "أخرجوه من الملعب بحق السماء! هل هذه مزحة؟ هذا عار على البايسبول!"

لم يكن ديفيد تعرض لهذا النوع من الاهانة في السابق. تمالك نفسه وتقدم نحو المكان المخصص للضارب. استمر التهجم اللاذع المهين. تطلع ديفيد نحو مدربه جو كنريك فرأى وجهه ممتقعاً. رفع المضرب بهدوء وقذف الكرة. وبعد لحظات وقف ملوحاً بقبضته في الهواء. لقد حقق نقطة وأخرس معذبه. وربح فريقه المباراة.

عندما كان ديفيد في السنة الاخيرة في المدرسة الثانوية تأثر أحد خريجي جامعة أوغزبرغ، ويدعى جوليان فوس، بأخلاقه وذكائه وطبعه، فقدم اليه منحة دراسية كاملة. ولكن بعيد دخول ديفيد جامعة أوغزبرغ توفي أبواه المريضان. كانت تلك أكبر ضربة تلقاها في حياته. لكنه لم يلبث ان رجع الى الجامعة وهو أكثر تصميماً على النجاح.

انه يتخصص الآن بالاعلام والاذاعة والى ممارسته كرة القدم، عمل مدرباً مساعداً لمنتخب الدرجة الثانية في كرة القاعدة. وهو يعمل ٣٥ ساعة في الاسبوع محرراً ومنتجاً في دائرة الرياضة في احدى محطات التلفزة المحلية.

يقول ديفيد بعزم: "أستطيع القيام بأي شيء ارغب فيه." وهو يرفض أن يصنف معاقاً. ولم يقبل بتقديم طلب للحصول على لوحة لسيارته تحمل شعاراً خاصاً بالمعاقين. يقول: "تلك هي للناس الذين يحتاجون اليها. انني أتابع دراستي بدوام كامل وأحصل على علامات جيدة، كما انني ألعب كرة القدم، وأمارس وظيفة بدوام كامل أيضاً. ان من يفعل كل ذلك ليس معاقاً." والعالم لا يشك في ذلك أبداً يا ديفيد لي ستيفنز.

جون هابل ■



ينبغي لكل جيل أن يتكسر كموجة عظيمة على شاطىء الماضي. فالشباب الذي لا يجمح هو عبء على تقدم شعبه.

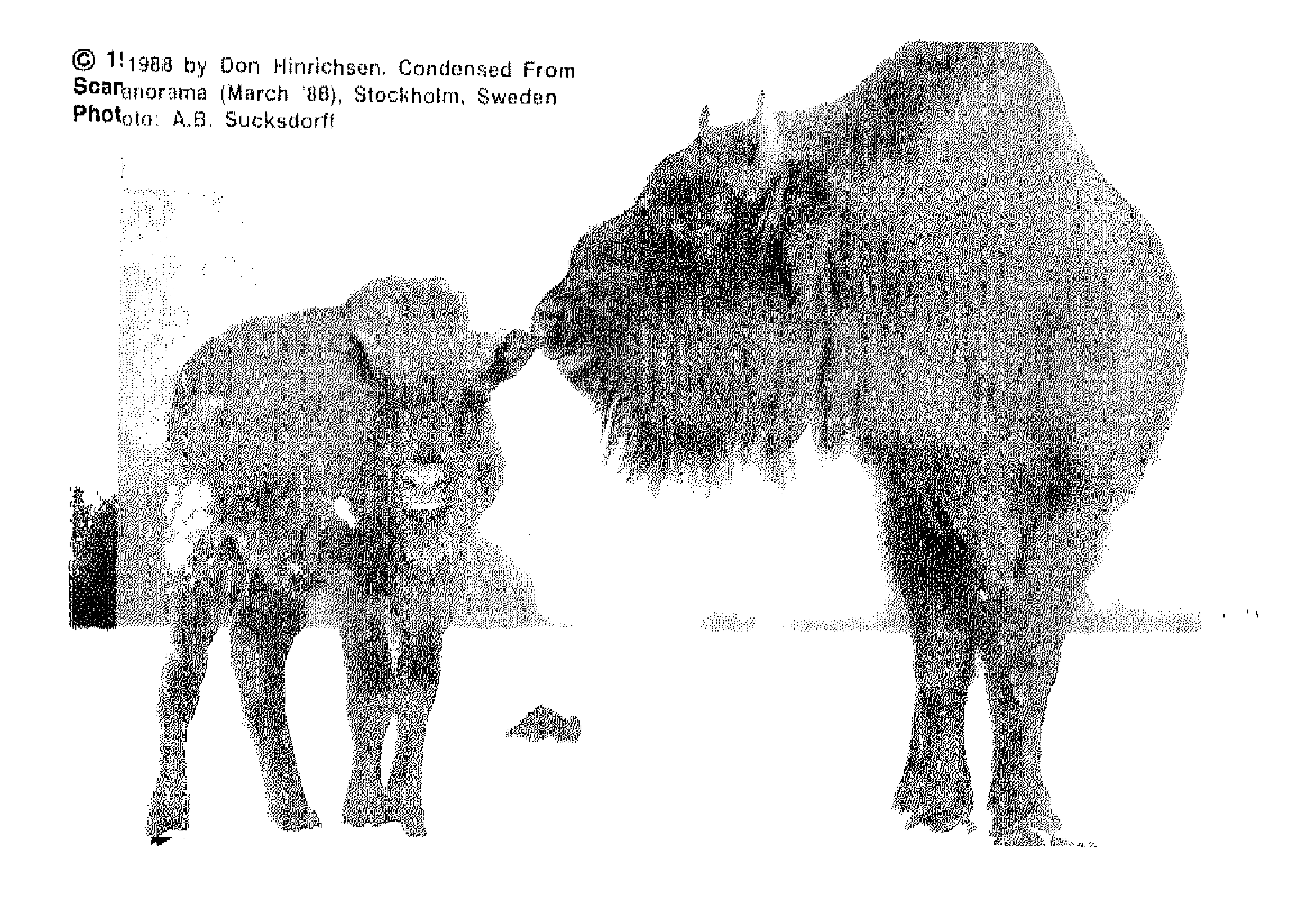
# الجاموس الاوروبي ينجو من الانقراض

## اضخم حيوان ثديي في أوروبا يعود الى مرتعه في هذه البرية بين بولونيا والاتحاد السوفييتي

انقضت بضع ساعات مذ انطلقنا بسيارة الـ"جيب" مندفعين عبر متاهة من الدروب الضيقة في الغابة، وبعضها لا يعدو كونه ثلمين في التربة الرملية الطرية. السائق عازم على تجنب الاخاديد التي قد تكسر محور العجلات والجذور المكشوفة التي قد تتسبب في الاصطدام بجذع شجرة مائلة. لذلك تشبث بعجلة القيادة بكلتا يديه كسائق في سباق. من العسير رؤية اي شيء من خلال الستارة الخضراء في الغابة الماكثة حولنا.

نتوقف بين فينة وأختها. نطفىء المحرك مصغين الى أصوات الغابة. ونتصت بعمق لسماع صوت حيوان واحد





هو الجاموس (*) الاوروبي سيد غابة بيالوفيزا في بولونيا.

دليلي جيرزي داكيفيتش وهو رئيس مركز توالد الجواميس في المتنزه الوطني في غابة بيالوفيزا. تطاول من شباك السيارة وعيناه دامعتان من برد الصباح الباكر، وأجال نظره بحثاً عن علائم لهذه البهيمة البالغة الضخامة.

لشد ما يناسبني أن أسعى وراء هذا الحيوان الفريد في هذه البقعة الفريدة في العالم. وهي آخر غابة في أوروبا باقية على حالها البدائية، وتقع شمال شرق بولونيا وتنفرش على مساحة ١٢٥٠ كيلومتراً مربعاً من القفر على شفير الحدود البولونية - السوفييتية.

وبفضل نأيها وتمتعها بحماية الاسر الملكية البولونية وقياصرة روسيا، لم تمتد الفأس الى أقسام كبيرة منها. وهي تبدو اليوم كعهدها قبل ألفي عام حين كان البر الاوروبي فلاة غير آهلة.

**قطيع في الغابة.** حالما اعتادت عيناي الالوان الزيتونية للشجيرات المورقة وصلنا الى مرج مشمس بديع أطلّ من ظلام الغابة كواحة مشبعة بالنور واللون. وباشارة من داكيفيتش أوقف السائق السيارة. لقد عبر قطيع من الجواميس هذا السبيل قبل نحو نصف ساعة. والى آثار حديثة للحيوان، ثمة دلالات هنا وهناك من غصون مهشمة وجذوع عارية قشر لحاؤها وعشب مدوس وأوراق ممضوغة ومبصوقة.

سرنا الى أجمة كثيفة ونحن نخطو بتوق وحذر. انه موسم النزو، والثيران عدوانية شرسة الطباع. وما كنا نرغب في مواجهة ثور هائج في هذا الموقع المغلق. واذ خرجنا من الأجمة توقف المرشد بغتة. انحنينا لنلقي نظرة عبر غبش النبات. وعلى بعد ١٥ خطوة شاهدنا القطيع الذي كنا نقتفيه. وبعد برهة حددنا موضع الثور، اذ بدا جثمانه الهائل متوارياً جزئياً خلف شجرة. وكان كل ما في عهدته بقرات إناث.

كنا شديدي القرب منها فحدقت الينا كل عين. لكن القطيع لم يبال بوجودنا. واذ نهضنا للتراجع جنحت بقرة في اشارة جلية الى أنها منزعجة فشرع الثور يهزّ رأسه الكث. فهمنا مراده فتقهقرنا الى خارج حزام الامان قانعين بالجلوس والمشاهدة من بعد.

تخطل القطيع متكاسلا باستكانة، ولم تند منه حركة كثيرة اذ كان يخلد الى الراحة بعد التجمع طلباً للكلأ. وطعامه من الربيع الى الخريف يتألف من الأعشاب وأوراق الشجر والشجيرات، فضلا عن لذائذ أخرى كفطر العسل والبلوط. ومن دأب الجواميس التجمع للرعي من الفجر حتى الظهر، وتعاود ذلك عند الغسق، ملتمسة المأوى في الاجمات الكثيفة والبقاع المنعزلة من الغابة العراء، وذلك بغية هضم غذائها والاستراحة. أما الآن فقد اكتفى الثور من رؤية البشر مدة عشرين دقيقة، وأخذ يستنهض البقرات. فما كان منا إلا أن تراجعنا بعجل.

لاحقاً، في مقر المتنزه بقرية بيالوفيزا، علّل داكيفيتش احترامه لهذه الحيوانات الكسولة: "قد تبدو خرقاء غير

(*) Bison

مؤذية، لكنها قد تعدو في اثرك بسرعة تفوق ثلاثين كيلومتراً في الساعة، كقطار شحن، وتثب الى ارتفاع متر ونصف متر. إني أعني ما أقول، فقد تعقبتني غير مرة".

ومن الواضح أن هجومها مميت. فالثور يزن نحو طن ويبلغ ارتفاعه مترين، فيما يراوح وزن البقرة بين ٦٥٠ كيلوغراماً و٧٠٠ كيلوغرام. يقول داكيفيتش: "الفرار من أمامها غير مجد. ولكن ليتذكر المرء أن غالبية هجماتها لا يقصد منها القتل بل الانذار بالابتعاد".

**عراك حتى الموت.** الجاموس الاوروبي مفطور على الحياء والتنسك، مؤثراً عزلة الغابة على صحبة البشر. ومن بين نحو ١٠٠ ألف زائر يطأون المتنزه والغابة في بيالوفيزا لا يرمق سوى قلة جاموساً برياً. فمعظم الزوار يكتفون برؤية القطيع الصغير داخل حظيرة خاصة للتوالد، وهو اجراء احتياطي في حال نزول كارثة غير واردة في الحسبان بالقطعان البرية.

وسلوك الثيران تنسُّكي معظم أيام السنة، وهي لا تنضم الى قطعان البقر إلا حين النزو. وفي الفترة الواقعة بين أغسطس (آب) واكتوبر (تشرين الأول) تتزاحم كبار الثيران وضخامها على التزواج. واذ ينشب القتال تتعارك بضراوة حتى النهاية. وقد أخبرنا تشسلاف أوكولوف في متنزه بيالوفيزا الوطني: "انها، كالملاكمين الحسني التدريب، تسعى الى مواطن الضعف في خصومها وتعمل على استغلالها". وقد يدوم العراك اكثر من ساعة قبل مقتل أحد الثيران، أو اصابته بجرح بالغ، أو رضوخه بفعل الارهاق، فيتقهقر متثاقلا الى أن يتعافى وينخرط مجدداً في العراك.

والبقرات، بعد فراغها من النزو، تتألب معاً وتقوم بشؤونها في الفترة المتبقية من السنة. وتولد العجول ما بين شهري مايو (أيار) ويونيو (حزيران). وفي وسع الابقار التي تراوح أعمارها بين عامين و٢٠ عاماً أن تلد عجلا كل سنة. وترضع العجول حليب أمها الدسم بين ستة أشهر وثمانية، ويزيد وزنها بسرعة قبل فصل الشتاء. وينفق نحو ٢٥ في المئة من العجول في السنة الأولى من جراء الشتاء القارس في المنطقة، حيث تتدنى الحرارة الى ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر. وتبلغ الجواميس حجمها الكامل في فترة تراوح بين ثماني سنوات وتسع. وهي تعمِّر ٣٠ عاماً كحد أقصى.

**حملة انقاذ.** هاجرت الجواميس الاولى الى أوروبا قبل عشرة آلاف عام آتية من مواطن أسلافها في آسيا. ولطالما آثرت المناطق الكثيفة الشجر. واذ استقرت أوروبا في السنوات الألفين الماضية، تقلصت أعداد الجاموس. فاختفى من بريطانيا وفرنسا في القرن الحادي عشر، وبات شبه منقرض في بقية أوروبا الغربية في منتصف القرن الثامن عشر. وفي مطلع القرن التاسع عشر كانت الجواميس الوحيدة الباقية في أوروبا كلها تعيش في غابة بيالوفيزا التي غدت محمية ملكية قبل نحو قرنين.

وفي الحرب العالمية الأولى احتلت الجيوش الالمانية بيالوفيزا وارتادت



الغابة بحثاً عن الاخشاب وزيت التربنتينا والراتنج. وخلال فترة الاحتلال، منذ العام ١٩١٥ حتى انتهاء الحرب، قتل الألمان قرابة ٦٠٠ جاموس في الغابة للافادة من لحومها وجلودها وقرونها. وبحلول العام ١٩٢١ لم يبقَ سوى جاموس واحد في الغابة، لقي مصرعه على يد أحد الصيادين. وبدا كأن الستار أسدل على المصير المحتوم لهذا الكائن البديع.

لكن علماء بولونيين، وعلى رأسهم البروفسور يان زتولكمان، قادوا حملة على نطاق عالمي لانقاذ الجاموس الاوروبي من الانقراض، وذلك باعادة ادخال هذا الحيوان غابة بيالوفيزا. وفي العام ١٩٢٣ أنشأت جماعة من العلماء البريطانيين والألمان والبولونيين والاسوجيين "الجمعية الدولية لحماية الجاموس الاوروبي". وبعد تنقيب وتقفٍ وافيين عثر على ٥٤ جاموساً في حدائق الحيوان والحظائر الخاصة.

ولكن تعيَّن الانتظار الى العام ١٩٢٩ حين تمكنت بولونيا من شراء بقرتين من أسوج (السويد) وثور من ألمانيا لتتناسل في الاسر. وفي العام ١٩٢١ أفرزت البقاع الأجمل في غابة بيالوفيزا كحمى خاص. وفي ١٩٣٢ أعلن افتتاح متنزه وطني على

Photo: K. Backstrom

مساحة حوالى ٤٧٤٧ هكتاراً من هذه البقعة الوادعة.

**خطر الانسان.** هناك أكثر من ألفي جاموس أوروبي في العالم اليوم، وينتظم أربعون في المئة منها في ٣٤ قطيعاً سارحاً في بولونيا والاتحاد السوفييتي.

لكن بقاء الجاموس معلق بخيط واه. وفي رأي تشسلاف بوتشيك رئيس معهد بحوث الثدييات في الاكاديمية البولونية للعلوم في بيالوفيزا: "كل الجواميس الاوروبية الاصيلة متحدرة من ١٣ حيواناً فحسب، ويعود ٤٦ في المئة من تركيبها الوراثي الى ذكر واحد وأنثى واحدة". ودلالة ذلك أن مستقبل هذه البهيمة يكتنفه الريب. كما أن اصابة الجواميس بمرض لا مناعة لديه ضده قد تمحق القطعان البرية.

ويضيف تشسلاف أوكولوف: "ان ما يشغل بالنا أكثر مما عداه هو تأثير الانسان على هذا الكائن. لقد تدبرنا الأمر في المتنزه العام في بيالوفيزا وغابتها لصون منطقة واسعة من الموطن الأصلي للجاموس. ولكن الى متى سنحفظ هذه البقعة القفر من غائلة الانسان؟"

وللابقاء على منطقة بيالوفيزا أرضاً برية أحيط المتنزه العام بنطاق واقٍ حيث لا يسمح إلا بنشاط زراعي وحراجي محدود. وقرية بيالوفيزا ذاتها التي يستخدم أهلها الفحم الحجري الملوث للتدفئة أيام الشتاء الطويلة، تود لو تفيد من خط أنابيب الغاز السوفييتي فتخفض من تلوث هوائها. وقد وضعت مشاريع لانشاء مصانع لمعالجة مياه المجاري المبتذلة لكي يتسنى استيعاب الاعداد المتزايدة من زوار المتنزه.

العلماء البولونيون مستبشرون خيراً بمستقبل الجاموس الاوروبي. وحقٌّ لهم، اذ بجهودهم نجا الجاموس من الانقراض. وما دامت غابة بيالوفيزا ماثلة ببهائها البدائي، وجهود صونها مستمرة، فثمة أمل أن يبقى ساكن الغابة متربعاً على عرشه.

**دون هنريكسون** ■



## رجل سهل الارضاء

وضعت النادلة أمام الزبون الجالس بقربي صحن البيض المقلي الذي طلبه، واعتذرت لأن عليه أن ينتظر الخبز المحمّص اذ انها أحرقته وستحمّص غيره.

فقال لها: "بل ائتيني بالخبز المحروق، فأنا أحبه هكذا."

– لكنه يكاد يكون أسود...

"ما همك؟ هذا مطلوبي."

وعندما أتته بشرائح الخبز المبالغ في تحميصها التفتت اليّ وقالت مازحة: "أخيراً وجدت الرجل الذي أستطيع أن أطبخ له."

ك.ك.

# إحياء مدينة رومانية

## لقد أحيي تاريخ المانيا في هذا الموقع الاثري الفريد

ظلت المدينة القديمة في المرج الواسع في منطقة الراين السفلي مقلعاً رفيعاً وملائماً. وقد بدأت أطلالها تزول عندما نقل غزاة القرون الوسطى حجارها لبناء بيوت وجسور وصرح رائع الجمال. ولم تمضِ فترة قصيرة حتى اختفى كل أثر للمدينة.

إلا أن "المدينة الضائعة" احتفلت بعودتها في صيف ١٩٧٧. واليوم تزدحم شوارعها بالناس الذين تأخذهم الدهشة أمام المدرَّج والاسوار العريضة. ويعجّ النزل بالركاب. لقد أنقذ التنقيب العلمي وإعادة الاعمار المضنية موقعاً تاريخياً فريداً في ألمانيا الغربية: مدينة كولونيا أولبيا تريانا الرومانية التي تعرف اليوم شعبياً بمتنزه كزانتن الأثري.

هذه المدينة القديمة التي بناها الامبراطور ماركوس أولبيوس تريانوس قبل نحو ١٩٠٠ عام هي الوحيدة في شمال جبال الألب التي تبرز تصميم مدينة رومانية. قال غاندولف برخت مدير المتنزه: "تذهب معظم الآثار الرومانية في ألمانيا ضحية قيام المدن الحديثة

فوقها. أما في كزانتن فيمكنك أن تعرف تماماً كيف كان المجتمع الروماني في ألمانيا القديمة."

**مدينة "عصرية".** لا يستغرق الوصول من كزانتن الى التحصينات الرومانية سوى خمس دقائق في السيارة. ومثل جميع الزوار أوقفت سيارتي في بستان ظليل كان في القدم مجرى لأحد روافد نهر الراين. وقبل أن تحوّل الفيضانات مجرى النهر نحو الشرق في القرن السادس عشر، كان النهر يجري على امتداد أسوار المدينة. كولونيا أولبيا تريانا هي اليوم محاطة باليابسة، لكنها كانت في الماضي مرفأ ناشطاً وكان كثير من زوارها يأتونها على متون السفن.


دخلت المدينة عبر بوابة المرفأ الصغير. السور المرمم جزء من التحصينات الاصلية التي كانت تمتد أربعة كيلومترات في شكل شبه مربع حول المستوطنة. ويرتفع السور سبعة أمتار، وهو بأبراج المراقبة والتحصينات فيه يوقع في النفوس اليوم رهبة تعادل تلك التي كانت تخالج القبائل الجرمانية التي عاشت في المنطقة.

ولفتني بناء من طبقتين. انه مركز الاستعلامات الذي بني فوق جدران نزل روماني. ويؤمن هذا المركز كل ما يحتاج اليه المرء في تعرفه على المدينة، من مطبوعات ونماذج وعينات من الحجار وعرض لشرائح مصورة (سلايد) تعطي الزوار انطباعاً حقيقياً عما كانت الحياة في المدينة القديمة.

كانت لسكان كولونيا أولبيا تريانا مقاييس حديثة، اذ نجد في بيوتهم غرفة جلوس وغرفة طعام وغرف نوم وحمامات. ويُبرز نظام للتدفئة المركزية قنوات لتمرير الهواء الساخن داخل السقف والجدران. وتحت الشوارع شبكة مجارٍ، وهناك قطع من الأنابيب التي استخدمتْ لهذا الغرض معروضة في مركز الاستعلامات.

**وجبة رومانية.** سألت برخت: "كيف لعلماء الآثار أن يعرفوا ما إذا كانت أجزاء الجدران التي نبشوها تعود الى دكان أو بيت، وما إذا كان المبنى مؤلفاً من طبقة أو طبقتين؟" فأجابني: "اتبع المهندسون الرومان أسلوباً استعمارياً شبه موحّد. ويشبه تصميم أسس كولونيا أولبيا تريانا أسس المباني الرومانية التي اكتشفت في أمكنة أخرى في أوروبا، مما يجعل عملية الترميم سهلة نسبياً."

وما أن دخلت النزل الكائن في الطبقة الأرضية من مركز المعلومات حتى شعرت كأنني عدت الى العصر الروماني. فجدران غرفتي الطعام مزدانة برسوم زاهية الألوان مستوحاة من فسيفساء أنقاض فيرولاميوم شمال لندن. وسألتني نادلة ترتدي ثوباً رومانياً: "أتودُّ تناول طعام عصري أم روماني؟" فاخترت الروماني. ولم تنقضِ برهة حتى قُدم اليّ اللون الأول من الطعام، وكان يخنة فطر طيبة المذاق. أما الطبق الرئيسي فكان لحم عجل مع البصل. ثم جاءتني النادلة بحلوى الاجاصِ أكلتها بتلذذ. أما الشراب فكان مطيباً باليانسون وله مذاق سلس غريب. هكذا كان يفضله الرومان.



والمتنزه اليوم مركز ابحاث علمية بمقدار ما هو معرض تربوي. وفي أحد مواقع التنقيب رحت أراقب ستة طلاب آثار ينزعون بلطف طبقة سميكة من الوحل عن أساس جدار حجري عمقه متران تحت الأرض. وأشرف أستاذ على عملهم بعناية. وقد قال لي البروفسور كريستوف برنارد روغر في ما بعد: "الى الآن لم يُدرس سوى جزء صغير من المرج. سيحفر علماء الآثار في هذه المنطقة قروناً عدة".

إلا أن الترميم يعادل التنقيب أهمية. وتدل مجموعة من الأعمدة الكورنثية على اعادة بناء هيكل في المدينة. ويكشف نموذج رافعة خشبية كيف كان المهندسون الرومان يحركون صخوراً أو مداميك يصل وزنها الى خمسة أطنان لتثبيتها في أمكنتها.

**مجد داثر.** المستوطنون الأوائل في كولونيا أولبيا تريانا، الذين عاشوا قرابة العام ١٠٠ ميلادية، لم يكونوا بنائين بل جنوداً. فقد اتبعت روما سياسة بناء مدن جديدة كمواقع أمامية لامبراطوريتها الواسعة كما أمنت هذه المدن في الوقت نفسه مكاناً مثالياً للجنود الذين أحيلوا على التقاعد. وهكذا عاشت عائلات من أصل سلتيكي وجرماني جنباً الى جنب مع جنود رومان.

وتوقفت حروب التوسع بعدما أصبح نهر الراين يشكل الحدود الثابتة للامبراطورية. وبدأ عهد من السلام. وازدهرت تجارة نهرية وصلت ما بين الموانىء على طول نهر الراين من بال الى كولونيا.

ونمت المدينة التي في السهل. ولم تمضِ مدة قصيرة حتى بلغت مساحتها ٧٣ هكتاراً وبلغ عدد سكانها ١٥ ألفاً. وتقاطع فيها شارعان رئيسان هما كاردو مكسيموس وديكومانوس مكسيموس قسما المدينة أربعة أنحاء يضم كل منها عدداً من البيوت والابنية الادارية والحمامات الشعبية. وشيدت فيها هياكل رائعة.

وفي النصف الثاني من القرن الثالث كانت الجيوش الرومانية تتقاتل على خلافة الامبراطورية عوض أن تحمي الحدود. فاقتحم الفرنج المدينة ونهبوها. وبقيت المدينة بعد ذلك عشرات السنين بعدد قليل من السكان، الا أنها لم تسترجع مجدها الغابر. لماذا لم تُشيد أبنية على أنقاض المدينة في القرون الوسطى كما كانت الشعوب الاوروبية تفعل بالمستوطنات الرومانية في أرجاء أوروبا؟ ولماذا بنيت مدينة أخرى تبعد عنها مئات الامتار الى الجنوب؟

الجواب يكمن في مقبرة.

هناك أسطورة تقول انه في القرن الرابع قُتل جنديان رومانيان مؤمنان ودفنا في المقبرة خارج جدران كولونيا أولبيا تريانا. وما هي الا فترة وجيزة حتى أصبح قبرهما مزاراً. فأخذ المستوطنون الجدد معظم حجار المدينة القديمة لبناء مدينة كزانتن، ونما العشب فوق أسس كولونيا أولبيا تريانا.

ومضت قرون. وفي أوائل القرن التاسع

(فوق) شرفات المدرج تتسع لثلاثة آلاف مشاهد.
(في الوسط) نموذج لرافعة خشبية رومانية.
(أسفل اليسار) عالم آثار يكشف حائط أساس.
[illegible]

عشر عمد فيليب هوبن، الكاتب العدل في مدينة كزانتن وهاوي المغامرات، الى التنقيب عن معالم الحضارة الزائلة. وفي العام ١٨٢٠ أنشأ متحفاً قرب بيته عرض فيه النقود المعدنية والخوابي والمصابيح والمجوهرات التي عثر عليها خلال عملية تنقيب استغرقت ٣٠ عاماً. الا أن كل هذه القطع البالغ عددها ٤٥٠٠ بيعت في مناقصة فنية في كولونيا وتوزعت في مجموعات خاصة وعامة.

**ترميم المدينة.** انقضى نحو ٨٠ عاماً قبل أن يعاود متحف الراين في بون التنقيب في ذلك المكان. ونبش علماء الآثار حائط مدرّج المدينة وأجزاء من المرفأ وأسساً وطرقاً في الجانب الشرقي من المدينة. الا أن الاوان كان فات لانقاذ كولونيا أولبيا تريانا. فقد اختارت الحكومة الجانب الغربي من المدينة مركزاً للتطوير الصناعي وبني مصنع للاسمنت.

وفي أوائل السبعينات خططت مشاريع لانشاء حديقة للرياضات المائية هددت مناطق أوسع من المدينة. الا أن روغر الذي كان يشغل منصب مدير التنقيب في كزانتن رد الهجوم متسائلاً: "لمَ لا تخصص الاموال المرصدة لتحويل الانقاض الرومانية مجمعاً سياحياً؟"

وكان الفضول حول المدينة القديمة بلغ درجة كبيرة. فمئات الاشخاص يطوفون في المرج في نهاية الاسبوع وهم يلجّون في سؤال المنقبين عن آخر اكتشافاتهم. وأقنعت تصاميم المتنزه الاثري هايزن تراوتن المسؤول عن مدينة كزانتن، فنظم حملة حماسية لدعم الفكرة.

وجمع مبلغ أولي بلغ نحو عشرة ملايين مارك (نحو خمسة ملايين دولار) خصصت لشراء الارض وترميم المدينة الرومانية. وفي العام ١٩٧٣ وُضع الموقع في حماية متحف الراين في بون. وافتتح المتنزه الاثري في السابع من يونيو (حزيران) ١٩٧٧. وقد زار المكان منذ ذلك الحين مليونان ونصف مليون شخص أتوا لرؤية أعمال التنقيب والترميم. وخصص أكثر من ٤٥ مليون مارك (نحو ٢٣ مليون دولار) لاعادة بناء معمل الاسمنت المسلح ومزرعتين في مكان آخر.

مشيت على الجادة الرملية متوجهاً نحو المدرّج. كان هذا المدرج البيضوي يتسع لـ١٢ ألف مشاهد يحتشدون لمشاهدة العبيد والاسرى والمجرمين يقاتلون دبباً أو ثيراناً أو يصارع بعضهم بعضاً. وقد تم اليوم ترميم الحلبة وعدد من المقاعد تتسع لثلاثة آلاف شخص. الا أن التسلية أضحت أكثر أماناً الان. فالمهرجان الصيفي السنوي يتضمن حفلات موسيقية وعروض باليه وهو أعاد الحشود الى المدينة.

أخبرتني الدليلة ماري لويز كريبر متذكرة عرض باليه "بحيرة البجع" لتشايكوفسكي: "كان القمر بدراً ونسيم عليل يهز شجر الحور. وتناهى الى السامعين قرع أجراس برج الساعة في كزانتن القديمة وكأنه جزء من المسرحية. كان ذلك رائعاً حقاً. ان المتنزه الاثري يجذب الزوار ويؤمن لهم كل المعلومات اللازمة. الا أنه، قبل كل شيء، يحمي جزءاً مهماً من تاريخنا".

**روي فرغسون** ■



# السرير الرقم ١٠

ملخص من كتاب

بقلم سو باير و ماري زيمث شوميكر



# السرير الرّقم ١٠

**استيقظت سو باير ذلك الصباح في فراشها الوثير في منزلها الخاص في هيوستن بولاية تكساس. وما ان مرّت ٤٨ ساعة حتى وجدت نفسها مقعدة في غرفة "العناية الفائقة" في السرير الرقم ١٠. كانت رهينة مرض فاتك نادر الحدوث، أعجزها عن الكلام والتنفس والحركة.**

**وتركز تفكيرها على أمر واحد: أين تجد القوة والايمان للتحرر من سجن جسدها؟ هنا روايتها.**

شعرتُ بوخز خفيف في أصابع قدميّ فلم أر في ذلك ما ينذر بالخطر، لكنه كان شعوراً غير عادي. ولم يكن لدي في ذلك الصباح متسع للقلق اذ كان علي الذهاب الى مدرسة ابنتي الثانوية بصفتي المسؤولة عن "الامهات المتطوعات" هناك.

تساءلت عما يسبب الوخز في أصابع قدميّ. وطمأنت نفسي أنْ لم يكن هناك طبعاً أي داع الى القلق. وفيما أكمل زوجي بيل حلاقته ارتديت ثيابي وأكملت هندامي ونزلنا الى المطبخ لتناول فطور الصباح.

سكبت لبيل كوباً من عصير الليمون وآخر لي، وتناولت علبة رقائق الذرة من الخزانة وبدأت تحميص الخبز. ثم رشفت العصير بحكم العادة.

واذا بي أحس العصير يحرق لساني وشفتيّ. فقلت في فكري: يا للغرابة!

واكتمل تحميص الخبز فدهنته بالزبدة وحملت الأطباق والرقائق والخبز المحمّص والعصير الى الطاولة. ورشفت من العصير ثانية فشعرت بالحريق كالمرة الاولى. فرأيت في ذلك مجرد وهم من ثمار خيالي. وكيف لا وقد حضّرت العصير في الليلة السابقة.

راقبت بيل وهو يشرب عصيره فسألته: "هل تجده حسناً"؟ فنظر الي مندهشاً، فأضفت: "انه يحرق لساني وشفتيّ."

فقال: "أما أنا فأجده ممتازاً."

ثم تذوقت الرقائق فوجدتها طبيعية.

غادر بيل البيت الى عمله، وتمنّيت لو لم يكن ذلك النهار يوم الاثنين. لقد كان أمامي عمل مرهق بعد عطلة نهاية الاسبوع، وساءلت نفسي علامَ انخرطت في صف المتطوعات.

كانت الساعة السابعة والدقيقة الخامسة، فجمعت الاطباق ووضعتها في غسّالة الصحون وهرعت فارتديت ملابسي.

انه الاول من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠، وكان هواء الصباح في هيوستن عاطراً لدى توجهي الى المرآب. ضغطت دواسة الوقود فأحسست الوخز في قدميّ. وتوقفت في المحطة لتزود الوقود، وتحدثت مع العامل هناك، لكن افكاري كانت بعيدة عن التركيز. هززت رأسي وأخذت أفرك أصابع يدي لأوقف الوخز الذي بدأ فيها هي أيضاً، وحرّكت كذلك أصابع قدميّ.

في المدرسة عبرت القاعة الرئيسية الى المكتب، فبدا الرواق أكثر عتمة من المعتاد مع أن كل المصابيح كانت مضاءة. وبدت القاعة أطول مما عهدتها.

شعرت بالارتياح حين جلست في مكتب المتطوعات. أخذت بطاقتي التعريفية ورحت أصارع دبّوسها الذي أبى أن ينغرز في سترتي. وأحسست فجأة تعباً شديداً عزوته الى الطقس والى الاسترخاء في عطلة نهاية الاسبوع.

اشتد الوخز في أصابع يدي وقدمي وأصبح أكثر الحاحاً، انما لم يكن لدي وقت للتوقف والالتفات طويلاً الى هذه المضايقات. فانهمكت في تلقي الاتصالات ونقلها وتسجيل الملاحظات والرسائل. وكان رنين الهاتف متواصلاً، وشعرت بأن قدرتي على الكتابة تزداد صعوبة.

وما ان أزفت الساعة العاشرة حتى تعذر علي الاستمرار في تجاهل حالتي. نهضت الى حجرة الاستراحة كي أدعو احدى المعلمات لتلقي اتصال هاتفي، ووجدتني أجاهد بقوة للعودة الى مكتبي.

رحت أراجع أسماء الاطباء الذين وعتهم ذاكرتي. ولم يكن لعائلتنا الا طبيب أطفال وطبيب نسائي لا حاجة بي اليهما ذلك النهار. فمرّ في فكري طبيب والدتي الدكتور لوهمان الاختصاصي بالطب الداخلي، وكانت عيادته قريبة وهو يعرفني اذ كنت أرافق أميّ.

اتصلت بزوجي وقلت له: "انني لست على ما يرام، وأراني في حاجة الى طبيب."

وما هي الا دقائق حتى وصل بيل، وتبعه الدكتور لوهمان الذي عاينني للحال. وأظهر الفحص أن كل شيء كان طبيعياً مما أدهش الطبيب. لكنه وجد مفتاحاً للحل حين ذكر بيل أنني في الاسبوع المنصرم أصبت بفيروس معوي. فاستنتج الطبيب أن علتي ربما كانت جفافاً (١) أو اختلال توازن في الذوائب الكهربائية (٢). فوصف لي الراحة وتناول

(١) Dehydration

(٢) Imbalance of electrolytes

الكثير من السوائل، وأضاف: "اذا لم تتحسن حالتك قبل الخميس فسنجري بعض فحوص الدم."

وكانت أمي تسكن في الجوار، فذهبت الى منزلها لقضاء فترة ما بعد الظهر، وخلدت الى الراحة بحسب توصية الطبيب.

في ذلك المساء حضّرت ابنتي اليزابيت طعام العشاء، وسرعان ما انقضت السهرة. ولم أجد صعوبة في صعود السلم الى غرفة النوم. وارتحت في سريري متيقنة أنني سأستيقظ في الصباح معافاة تماماً وقد زال كل احساس بالوخز.

وفي الصباح عندما رن جرس المنبّه نهضت نعسانة وتوجّهت متثاقلة الى الحمام. وما ان تناولت كوباً من الماء وحاولت الشرب حتى وقفت مصعوقة والكوب في يدي. كنت عاجزة عن البلع.

## عالم كوابيس

أسرع بي زوجي الى المستشفى حيث كان الدكتور لوهمان حجز لي سريراً. ناولتنا الموظفة المسؤولة الاوراق المطلوبة وناولتني قسيمة لتوقيعها. لكن يدي جمدت بالقلم فوق القسيمة وعجزت عن التوقيع. فهتفت في سري: ما الذي أصاب جسدي يا ترى؟

أقبل تقنيون وممرضات الى غرفتي وضبطوا وزني وحرارتي وضغط دمي. وتأخر وصول الدكتور لوهمان الى الحادية عشرة بسبب انتظاره نتيجة الفحوص التي لم تنبئ بشيء. فطلب الدكتور مونكيل لاستشارته في أمري، وهو طبيب أعصاب بارز.

وطوال النهار حاولت الممرضات حملي على الاكل والشرب، ولكن من دون جدوى فقد عجزت عن ابتلاع أي شيء. وجاء الدكتور مونكيل أخيراً في السابعة مساء، وكان مؤكداً أنه سيحل لغز علّتي. فدقق في ارتكاساتي العصبية التي رآها حسنة، ثم وخزني بدبوس. قال: "في هذه المرحلة يمكنني أن أقدّر العلة بأحد ثلاثة: تصلّب مضاعف أو وهَن عضلي أو متلازمة "غيان - باريه" (٣). وعلينا الانتظار الى الغد لاجراء فحص لسائل النخاع الشوكي، وبعد ذلك نعرف السبب".

واذ غادر الطبيب أخذت أردد أسماء العلل التي ذكرها، وكل منها يثير الهلع. فجأة أظلمت الدنيا في عيني وكأني غرقت في برد وظلام. فتطلّعت الى الليل في الخارج وهتفت في أعماقي: يا الهي، أريد الذهاب الى البيت. واعترتني رعدة فطوقني بيل وقال لي ونحن نغالب دموعنا: "سيكون كل شيء حسناً، أنا أعلم ذلك".

في العاشرة والنصف دخلت رئيسة الممرضات وقالت بكلمات مدروسة: "أرى من الافضل يا سيد باير أن ننقل زوجتك الى غرفة العناية الفائقة".

سمعت عبارة "العناية الفائقة" فهتفت جزعة وقد كاد يخونني النطق: "لا، بحق السماء، لست في حاجة الى العناية الفائقة". ورجوت الممرضة وبيل أن يستجيبا لطلبي.

(٣) Multiple sclerosis, myasthenia gravis, or Guillain — Barré syndrome



قلت له: "اذا نُقلت فلن تستطيع البقاء معي." فهمس: "لا بد من ذلك، فقد عجزت عن الاكل والشرب طوال النهار. يجب أن تنقلي الى هناك لكي يتمكنوا من الاعتناء بك."

أحسست كتلة من الضيم تتكون داخلي اذ جمعت أمتعتي وقدمت الممرضة بكرسي لمقعدين جلست فيه. وسرنا في القاعات الساكنة الخافتة الانوار كأننا نسير تحت أجنحة الموت.

فتح بيل الباب الى غرفة العناية الفائقة. فتطلعت حواليّ فرأيت عدداً من الأسرة في مهاجع صغيرة مجزأة على امتداد جدران غرفة كبيرة. وكل من المهاجع مفتوح على الغرفة الرئيسية حيث مركز التمريض. وكان المرضى في معظم الاسرة مربوطين الى أدوات وآلات، وهسيس أجهزة التنفّس يملأ المكان. وعلى رغم صلاتي الحارة أن أعفى من الاحتجاز هناك فقد وضعت على سرير كتب فوقه رقم على الجدار.

تلك كانت بداية حكايتي مع "السرير الرقم١٠".

قال لي ممرض شاب اسمه بروس وهو يساعدني الى سريري: "سأكون ممرضك في المناوبة المسائية. عليك الآن أن ترتدي قميص نوم". والتفت الى بيل قائلاً: "يمكنك أن تأخذ جميع أمتعتها الى البيت. فهي لن تحتاج الى شيء ما عدا فرشاة أسنان".

حين عاد بروس طلب مني أن أستلقي. وتناول أنبوباً بلاستيكياً وأولجه في حلقي. فتقيأت، فأخرجه قائلاً: "أريدك أن تعرفي تماماً ماذا سنفعل حين تسوء حالتك".

لم أصدق أن ما حلّ بي حقيقي. فلا بد من أنه مجرد كابوس رهيب. وطلب مني بروس أن أنزع خواتمي. فرجوته أن يستثني خاتم الزواج الذي لم يسبق أن نزعته. فرفض جازماً: "عليك أن تنزعيه هو أيضاً".

نزعت خواتمي والغصة تملأ قلبي. وكدت أنفجر باكية حين أعطيتها زوجي من دون أن

أقدر على التطلع اليه. فجمعها في كيس أعطاه اياه بروس، وهمّ بالانصراف.

استبدّ بي الجزع لمفارقة بيل وعصفت بي المخاوف. فهو كان حصني الأمين وملاذي والصخر الذي ألقي عليه رجائي وأستمدّ منه قوتي وأهرب اليه فأدفن فيه خيبتي وكآبتي. لقد فوجئنا بما جرى وكأنه من نسج الوهم والخيال. أما الآن فقد حان موعد ذهاب بيل، وهو أمسك يدي وألقى علي نظرة أخيرة ورحل. فغلبني اليأس وشعرت بفراغ هائل كأن كل ما في العالم رحل معه وانتهى.

## لا شيء يتحرك!

في الصباح التالي أخذت عينة من السائل الشوكي في عمودي الفقري. ثم أدخلت احدى الممرضات قثطرة (ميلاً) في مجرى البول، ووُصلتُ بأنبوب حقن وريدي لتغذيتي.

وصل بيل في الحادية عشرة والنصف قبل الظهر. فحاولت الجلوس لكنني عجزت عن ذلك. وقبلني فأردت أن أقول له "اني أحبّك"، لكن شفتيّ بقيتا مطبقتين لأن الشلل كان يتعاظم باطراد. حفض بيل بصره وقال بصوت متهدج: "اتصل بي الدكتور لوهمان وأطلعني على نتيجة التشخيص. إن مرضك، يا عزيزتي، هو غيان - باريه".

وتابع: "ليس لدي كثير من المعلومات عن هذا المرض، ولست واثقاً بأن هناك من يعرفه جيداً. يقال انه نادر الحدوث. وقد عرف الدكتور لوهمان حالة واحدة أخرى، وكانت خفيفة الوطأة. لكن حالتك قد تكون أشد خطورة".

فندت عن شفتيّ كلمة "لا!" طويلة، خفيضة، مثقلة بالرهبة. "لا!لا!لا! "

فشبك بيل يده بيدي بحنان وقد بان قلق شديد في محياه وأضاف، محاولاً طمأنتي: "مررت بالممرضة المداومة في شركتنا، فقرأت لي ما جاء في أحد كتب الطب عن مرض غيان - باريه، وهذا مفاده..."

وأخرج ورقة من جيبه وقرأ: "انه التهاب يصيب الاعصاب، ويأتي عادة على أثر عدوى سابقة كالفيروس المعوي الذي أصابك. وهو يحدث شللاً، بدءاً بالرجلين صعوداً الى أعلى بسرعة".

يجيز قانون زيارات المرضى في غرفة العناية الفائقة ثلاث زيارات في اليوم تدوم كل منها ١٥ دقيقة. وانتهت مدة زيارة بيل فقبلني مودعاً وقال انه سيعود في الخامسة والنصف مساء بصحبة أمي وابنتنا اليزابيت.

تساءلت عن مدى قدرة والدتي وابنتي الصغرى على مواجهة كل هذه المشاكل. وكنت وزوجي قررنا ألا نطلع ابنتنا الكبرى كاترين على خطورة مرضي، اذ كانت عاكفة على التحضير لامتحانات الفصل الدراسي الأول في الجامعة.

أما الآن فلن أزيد من قلق والدتي وابنتي الصغرى، وسأحاول جهدي أن أظهر مبتهجة لدى قدومهما لزيارتي.

حين دخلت اليزابيت غرفتي كانت تبتسم مؤكدة لي بابتسامتها الدافئة الصادقة أنني سأشفى. لكن ما بدا على وجه أمي لم يخف علي.

كانت أمي متصفة دائماً بالقوة ولكن في تلك اللحظة كانت صدمتها لرؤيتي أقوى من أن تحتمل. فاستأذنت بحجة رغبتها في افساح مكان لبيل. وشاهدتها تخرج مصعّدة آهات صامتة والحزن يحني قامتها.

بعد مغادرة أهلي الغرفة دخلت ممرضتان تجران عربة محمّلة رزماً وأنابيب بقصد ربطي الى جهاز تنفس اصطناعي. فأولجتا أنبوباً في انفي وصولاً الى رئتي لتسهيل التنفس.

الى هذا الدرك اذاً بلغت اصابتي. لكني كنت منهكة الى حد جعلني لا أبالي.

استيقظت بعد ساعات فهالني ما أنا فيه. كانت رقبتي مرتخية ورأسي منحرفاً جانبياً، وسمعت صوتاً غريباً عرفت أنه صوت جهاز التنفس. حاولت الكلام فلم يصدر مني أي صوت. واشتد ذعري اذ أدركت أنني لا أستطيع طلب النجدة.

كانت احدى الممرضات اتصلت ببيل وأخبرته أنني رُبطت الى جهاز تنفس، فاذا به يظهر فجأة قرب سريري ويسألني عما اذا كان الانبوب يضايقني. لكني عييت عن الجواب، فلم أقدر أن أحرك فمي الا بارتعاشة جانبية خفيفة. كذلك عجزت عن تحريك رأسي ويدي وأي عضو آخر في جسمي.

سيطر علي الخوف وغمرني الاحباط. وقرأ بيل ذلك في عيني المتسعتين هلعاً فقال لي: "انك تطرفين بعينيك. فهلا طرفت مرة واحدة علامة أنك قادرة على ضبط حركة جفنيك؟"

أرغمت نفسي على الهدوء. ثم طرفت عيني مرة ببطء.

فابتسم بيل: "حسناً جداً. والآن، يبدو أن فمك يميل الى جانب واحد. حاولي أن تحركيه. ثم اطرفي بعينيك مرة واحدة علامة قدرتك على ضبط ذلك أيضاً".

حركت فمي بجهد. ثم طرفت بعيني. فصاح بيل: "عظيم! ستعني طرفة عينيك أنْ نعم، وارتعاشة فمك أنْ لا. هل تتضايقين كثيراً من الانبوب في حلقك؟"

هكذا تمكنت من الاتصال ببيل والاجابة عن أسئلته الكثيرة. إنما كنت اتساءل بمرارة في قرارتي: ماذا لو فقدت القدرة على تحريك عيني وفمي؟ وكأن بيل أدرك ما يجول في خاطري فقال لي: "لنصلِّ يا سو."

أخذ أصابعي المشلولة وحنى رأسه على سريري وصلينا بصمت. فشعرت في تلك اللحظة الوجيزة بسلام وطمأنينة يغمران كياني.

## حروف الابجدية

صباح اليوم التالي تفحصت كل جزء من جسمي. فوجدت أن رجلي وأصابع قدمي لا تتحرك، وأني عاجزة عن تحريك رقبتي وفمي، وجذعي خامد لا يتحرك الا بفعل التنفس الاصطناعي.

فيا للمصيبة! كيف أقدر على التفاهم مع بيل وأنا عاجزة عن تحريك فمي؟ تسارعت دقات قلبي. انه لا يزال يخفق على الاقل.

عادني بيل في السابعة والنصف وسألني: "هل نمت جيداً في الليل؟"

فرفرفت جفني بفزع ظاهر.

فقال لي: "اطرفي بعينيك كما اتفقنا اذا كنت تعنين نعم، وحركي فمك اذا كنت تعنين لا."

ولما أعدت رفرفة جفني أدرك أني عاجزة عن تحريك فمي. فقال: "لنجرب هذا اذاً. اطرفي بعينيك مرة ايجاباً ومرتين نفياً."

وكرر سؤاله: "هل نمت جيداً في الليلة الماضية؟"

طرفت بعيني مرة، وتوقفت لحظة ثم طرفت مرتين.

فقال بيل مبتسماً: "نعم ولا. أليس هذا ما تقصدين؟" فطرفت مرة أن بلى.

مرّ الوقت بسرعة وحان موعد انصراف بيل فقال لي: "سأعود في الحادية عشرة."

وحين عاد أخذ يفرك يديه مبتهجاً. فعرفت أنه اهتدى الى فكرة مدهشة.

قال: "ان أجوبتك نعم ولا غير كافية. فهلا فكّرت في كلمة تودين أن تنقليها الي؟"

فأطبقت جفني لحظة طويلة علامة الايجاب، وانتقيت كلمة "حار." ومن خلال سلسلة من طرفات عينيّ مكّنت بيل من تهجئة الكلمة.

فكان سروره عظيماً وهتف: "حار! تعنين أنك تشعرين بالحرّ." وكنت فعلا أشكو من الهواء الحار الذي ينفثه جهاز التنفس قريباً من سريري.

ولمس بيل جبيني: "أنت ساخنة حقاً." ومسح العرق عن وجهي ورقبتي. "هل تريدين أن أنزع هذه البطانية عنك؟"

آه، نعم، أرجوك افعل.

سررت لمعرفتي أنني قادرة على التفاهم مع بيل وابلاغه ما أحتاج اليه. ونعمت بهذا السرور لبضع دقائق بعد انصرافه.

ثم دخلت الممرضة المناوبة لتضبط أنبوب التقطير الوريدي. فرأتني مكشوفة من دون غطاء فقالت: "لا بد أنك ترتجفين من البرد يا سو." ثم غطتني جيداً وانصرفت.

وخطرت لي فكرة نقلتها الى بيل بالتهجئة، مفادها أني في حاجة الى لائحة بأسئلة مكتوبة. ففكّر قليلا ثم وضح له قصدي. فسألني: "تريدين لائحة كتبت عليها أسئلة كي تستطيعي ابلاغ العاملين في المستشفى بحاجاتك؟"

أجبت بطرفة عيني. ونقلت اليه الكلمات - الاسئلة وهي: حار؟ بارد؟ أدِر الراديو؟ أسكت الراديو؟ أقلب؟ ويقتضي أن تكون جميعها أسئلة تجاب بنعم أو لا.

في اليوم التالي جاءني بيل ومعه لائحتي التي علقها على الجدار خلف سريري.

في الايام الاوائل لدخولي المستشفى أُخضعت لاجراءات صعبة غالباً ما كنت أتجنب مواجهتها بالهرب الى عالم الخيال والتمني. فيغيب عني الاطباء والممرضات المتحلقون حول سريري، وأرجع الى الماضي فاحتمي بعذوبة ذكرياته من مرارة الحاضر.

ها أنا أعود بالذاكرة فأرى نفسي قد أتخرج في جامعة ساذرن ميثوديست، وأعمل في دائرة المحاسبة في شركة "شل"، وأنضم الى فريق البولينغ في الشركة. وذات يوم

جمعة كنا نتبارى ضد فريق بين أعضائه لاعب يدعى بيل باير. فأغاظتني مهارته الهائلة اذ كان المجلّي دائماً، وفي كل رمية كان يسقط جميع القوارير الخشبية. الا أنه كان شاباً وسيماً فلم أتمالك عن الاعجاب به. وفي اليوم التالي فتشت في سجل الشركة لأكتشف شيئاً عن بيل باير...

سمعت طبيباً يقول لي: "سوف نشق الرغامى" (٤).

حاولت ألا أصغي، لكنني شعرت بابرة تخترق حنجرتي وبألم شديد ثم بخدر وأيد خشنة تعبث بي. فأغمضت عيني لاطرد هذا الواقع المؤلم. وامتزجت الاحلام بالحقيقة. واذا برؤية ضبابية بيضاء غامضة تهزني، وسمعت صوتاً يهتف بي: "سو... سو."

عدت الى واقعي، فرأيت الاطباء قد هيأوا أنبوباً طلبوا من أحد الممرضين ادخاله من أنفي الى معدتي. وحاول الممرض مرة بعد مرة أن يولجه من دون جدوى بسبب بثرة داخل أنفي. كنت كلعبة بين يديه، وكانت تلك اللحظات كابوساً رهيباً من العذاب والغضب والخوف. كل ذلك والممرض صامت كأبي الهول لا يتكلم ولا يطمئنني ولا يعتذر عما يسببه لي من ألم وشقاء، كأنه كان يعتبرني فاقدة الوعي. أخيراً، بعدما أسقط في يده، كفّ عن المحاولة وتولى أحد الاطباء العملية.

## استقرار

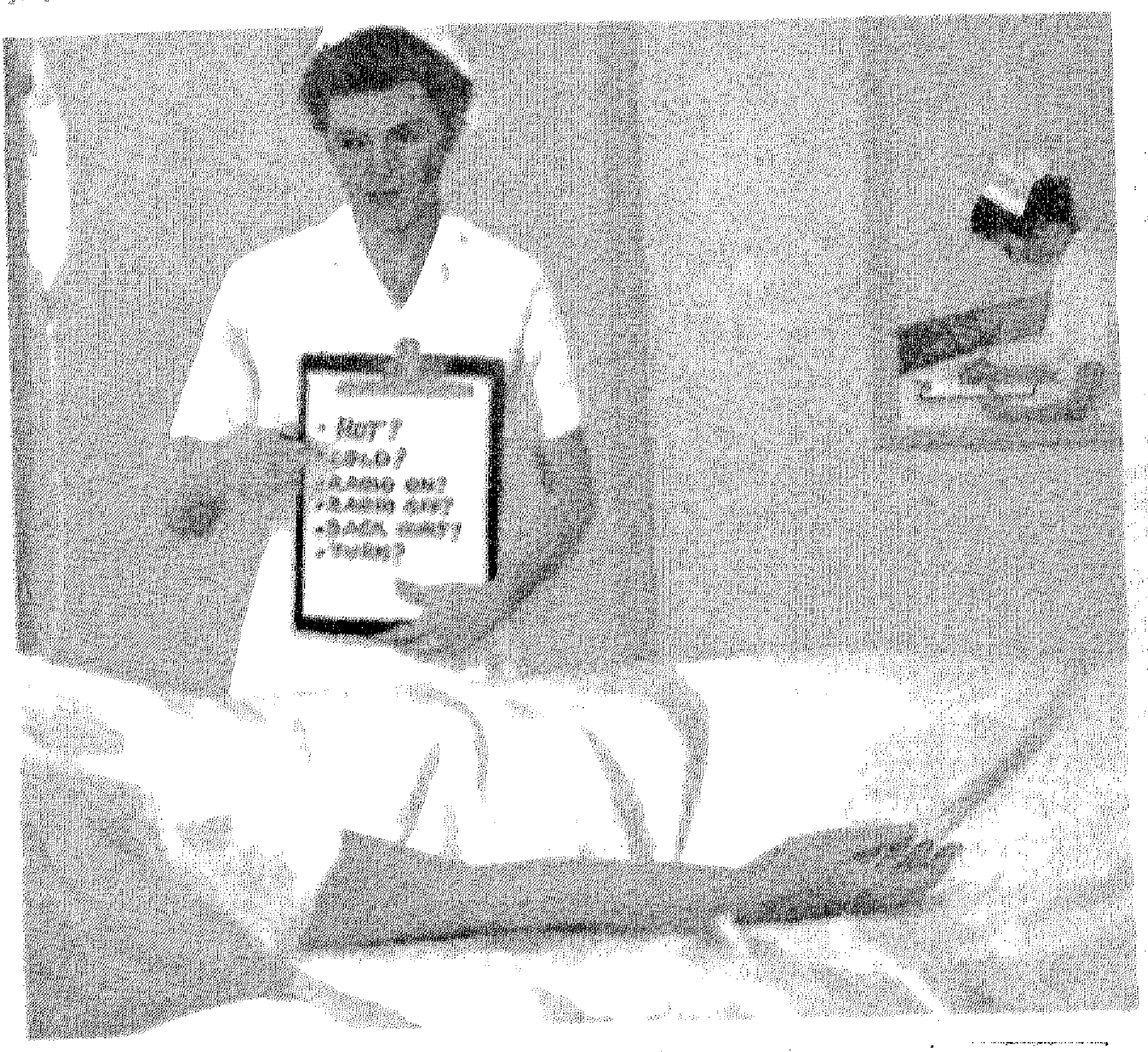
منذ ذلك الحين بتُّ أتلقى تغذية مكمّلة عبر أنبوب الانف – المعدة، وعبر أنبوب تقطير وريدي تحت الترقوة مغروز في كتفي بديلا من الانبوب الذي كان في ذراعي. كان وزني ينخفض على نحو مفرط، ولذا عمد الاطباء الى امدادي بالغذاء بأسرع ما أمكن.

وأصبح لدي أنبوب لكل وظيفة: أنبوب الانف – المعدة، والانبوب تحت الترقوة، وأنبوب التنفس، وقثطرة مجرى البول وأربعة مجسّات تصلني بأجهزة المراقبة في مركز الممرضات.

وكلما غادرني بيل في المساء كان الانقباض يعصر نفسي. فكم من ساعات فراغ مخيفة قضيتها وحيدة. وحين يتركني الممرضون كان ينتابني خوف شديد لعجزي عن التحرك وطلب المساعدة. ومن وقت الى آخر كان أحدهم يأتي ليقلبني أو يضبط أنبوب التقطير الوريدي أو جهاز التنفس أو يدفع بمحلول غذائي في أنبوب الأنف – المعدة. وكنت أرى حالي مفجعة حقاً.

لكني أخذت أعنف نفسي لانتفاء ما يبرر الاغراق في الخوف والقلق. فلدى الممرضات أجهزة للمراقبة، وهن يعرفن أني لست في حاجة الى شيء. وليس في وسعهن البقاء كل الوقت مع شخص مثلي عاجز حتى عن النطق. فقد يذهب ذلك بعقلهن. ثم ان الدكتور لوهمان يعودني كل يوم ويقرأ لائحتي ويصدر تعليماته. وهو يرى أن حالي مستقرة – أي أنها غير خطرة – وأن هذا المرض الوبيل يجب أن يأخذ مجراه. وعلى رغم ذلك كنت لا أزال خائفة.

(٤) الرغامى هي القصبة الهوائية.



بعد الدورات الصباحية كان الاطباء يجزمون بأن حالي مستقرة ولا تبعث على القلق. ووددت لو استطعت أن أصرخ في وجوههم: "هاي! تمهلوا لحظة، لو كنت مستقرة وفي حال حسنة فلا داعي الى ابقائي في غرفة العناية الفائقة."

تفرّست في وجوههم جميعاً وتساءلت هل بينهم من يهمّه الاتصال بي.

بعدما علق بيل لائحة الاسئلة فوق رأسي ازددت أملا، وأحسن بعض العاملين في المستشفى استخدامها ووجدوها مفيدة. لكن كثيرين منهم تجاهلوها كلياً. كنت في نظرهم كائناً صامتاً جامداً لا يعي شيئا ولا يحتاج الى شيء.

لكن الحظ كان يسعدني أحياناً، خصوصاً حين توكل العناية بي الى الممرضة فيكي. فهي كانت مرحة ممتلئة حيوية ونشاطاً ومنفتحة تود البوح بمكنونات صدرها. وفيما كانت تغسلني بالماء الحار والصابون كانت تضحك وتتكلم مع كل المرضى في الغرفة. كانت كشعاع دافىء ينسكب على حجيرتي المقفلة فينيرني ويبعث فيَّ الأمل. وهي أخبرتني عن زوجها وروت لي قصصاً مضحكة عن حياتها البيتية.

ومع الوقت توضّح الامر لي. فعرفت أن وحدة العناية الفائقة ليست مكاناً لاقامة طويلة. والعاملون فيها مدربون على العناية بالحالات الفائقة الخطورة، وهم ليسوا مجهَّزين للسهر على حاجات مريضة طويلة الامد وعاجزة كلياً. فعاهدت نفسي، إن شفيت، أن أوفر مساعدة لمن هم مثلي: مرضى يائسون عاجزون عن الحركة سأتكلم باسم العاجزين عن التكلم على حالهم.

في المرة الأولى حين انطلق جهاز انذار التنفس اعتراني خوف شديد لانه كان قريباً جداً مني. في البدء كان الانذار يحرك الموظفين فيهرعون الي حالا. انما مع التكرار، ولدى معرفتهم أني "مستقرة"، باتوا يتباطأون غير مبالين كثيراً بطلباتي. وكانت أمور صغيرة تسبب انطلاق الانذار، كارتخاء المجسّ المرتبط بأنبوب الترقوة. وكانت صعوبة تحريكي حائلا دائماً دون بقاء المجسّات موصلة بالقوابس.

ذات ليلة رن جرس الانذار خطأ فيما كان الممرض بروس جالساً يدرس. فتطلع الي كأنه يقول: لماذا تزعجينني؟ وأتى ليضبط الجهاز فلم يجد أي خطأ فأعاد المجس الى مكانه.

وتكرر انطلاق جهاز الانذار وتكرر ضبط الموصل وعيل صبر بروس. فتركه أخيراً يرن في أذني قائلا: "إنك بخير، وعليك التكيف مع هذا الواقع."

وبعد برهة خلتها دهراً هرع اختصاصي بالتنفس الى حجرتي وسأل: "كم من الوقت مضى وجرس الانذار يرن؟ ولماذا لم يستدعني احد؟" وكان سؤاله موجهاً الي.

حين قدم بيل أخبرته بحادث جرس الانذار وبحوادث مماثلة وقعت في المستشفى ودلّت على عدم احساس العاملين بواجبهم الذي يدعوهم الى معاملة المرضى برفق وعطف وتلبية حاجاتهم. ولكن صعب على بيل تفهم خيبة المرضى من الاهمال واللامبالاة. فكيف يقدر ارتياح المرضى وحاجتهم الى أن يقلبوا حين يغلب عليهم التعب والوجع، لا عندما يحين الموعد المقرر لهذه الخدمة أو عندما يطيب لاحدهم أن يقلبهم بحسب مزاجه. فالمريض انما هو كائن بشري يحتاج الى الاستئناس بأمثاله. والاهتمام به ومؤانسته يشبعان رغبة عميقة في نفسه، فينتعش وتغيب عنه المرارة.

[illegible]

عادت كاترين من الجامعة. وكان بيل في حيرة من أمره كيف يهيئها لعيادتي. سيصدمها تحولي الشديد وكثرة الاجهزة والانابيب الموصولة بي.

صُعقت كاترين لدى وقوفها بجانب سريري. وجاهدت لاخفاء صدمتها وإن لم تصدق ما رأته عيناها. ولكونها تجيد التمثيل فقد غلّبت ارادتها. وبعد برهة صمت ابتسمت واشتركت معي بحماسة في تهجئة الكلمات. بعد أشهر أخبرتني والدتي أنها اجهشت في البكاء بعد مغادرتها المستشفى، وانهارت قائلة: "أنا لا أصدق أن تلك هي أمي."

وذات صباح جاء بيل ووقف صامتاً عند مؤخر السرير. كان في عينيه بريق وفي يده وردة. فاغرورقت عيناي، لكن نفسي أشرقت غبطة وحبوراً.

بعد زواجنا كنت دوماً ألمّح الى بيل أن ما من أحد قدّم الي ورداً. وبعد سنوات من التلميح العقيم أدركت أن تلك الطريقة لا تجدي أبداً مع بيل باير. فهو كان يحب أن يفاجئني. وأخيراً، في عيد فالنتين (٥) ذات سنة، أهدى الي ست غرسات ورد، احداها من نوع "تيفاني" وهي ذات لون زهري فاتح ويفوح منها أريج رائع.

رجوت ألا يتنبه الممرضون الى هذه الوردة المقطوفة من حديقة منزلي. وخشيت أن تؤخذ مني عملا بالنظام الذي يحظر ادخال نباتات حية الى وحدة العناية الفائقة لاحتمال تسببها في التلوّث.

ولحسن الحظ فات الجميع الانتباه الى الوردة اليتيمة بجانب سريري. وحرص بيل على احضار وردة ناضرة كل بضعة أيام.

وبعد أسابيع اسرّت الي ابنتي اليزابيث: "غالباً ما أرى والدي يدخل غرفتكما بعد العشاء ويختلي بنفسه. وأسمعه يبكي، فأقف أمام الباب أهم بالدخول. لكني لست أعلم ماذا أقول له لاعزيه. غير اني أعرف أنك ستشفين. وهو يعرف ذلك أيضاً. أليس كذلك يا أمي؟"

نعم يا اليزابيث، انه يعرف. ولولا ايمانه بالله وبشفائي ومحبته لي لما استطعت التحمل ولما لاح لي أي أمل عذب.

## هدية ميلاد

ليلة الميلاد جاءني الثلاثة، بيل واليزابيث وكاثرين، تعلو وجوههم ابتسامات مشجعة ومعهم شجرة بلاستيك صغيرة لا يتجاوز ارتفاعها ٣٠ سنتيمتراً طولا. انها هدية الميلاد.

أثار في حنانهم حزناً لحالي. لكني لجمت دموعي وحاولت الظهور مظهر الامتنان.

وكان على بيل والفتاتين الالتحاق ببعض الاصدقاء لتمضية سهرة العيد. فاختصروا زيارتهم. لكني وددت لو انهم لا يغادرونني أبداً.

كانت ليلة الميلاد سيئة جداً في ما اختص بي، اذ كانت الممرضة المناوبة جديدة وقليلة الخبرة ولا تفهم ما أريد نقله اليها بعينيّ. ودأبت على سؤالي وهي تقلبني مراراً وتكراراً عما اذا كنت مرتاحة. وأنا لم أكن مرتاحة في أي وضع رتبته لي. فقضيت ليلتي ساهرة أعد الساعات وأترقب فريق المناوبة الاكثر خبرة في الصباح.

في السابعة صباحاً قدم بيل ووالدتي واليزابيث وكاثرين ليتمنوا لي ميلاداً سعيداً. فسردت لهم ما عانيته طوال الليل من قلق وسهاد، فغابت عنهم أمارات البهجة التي أرادوا مواجهتي بها صباح العيد، وغامت وجوههم كمداً ورثاء لحالي.

كرهت نفسي لما فعلت.

وحين عادوا الي بعد ساعات كنت أكثر مرحاً، فانفرجت أساريرهم وراحت اليزابيث وكاثرين تحدثانني عن الهدايا التي تلقتاها. ولا شك في أن بيل كان يتذكر مثلي كيف كانت ابنتانا الصغيرتان تندفعان الينا لكي نرى هداياهما في العيد.

(٥) عيد فالنتين هو عيد العشاق.

وقدم زائرون آخرون لمعايدتي. وبعد المجاملات المعتادة أخبرني أحدهم وقد بدا مكتئباً: "ان صديقتنا نانسي تخضع أيضاً للمعالجة في وحدة العناية الفائقة بعد اصابتها بنوبة قلبية. ويحسن أن تصلي لشفائها، فلا ندري أتبقى على قيد الحياة أم لا."

أحزنتني حال نانسي التي كنت تلقيت منها بطاقة معايدة لبضعة أيام خلت. لكن مصابها حمل الي بعض العزاء لادراكي أنني لست الشخص الوحيد الخاضع للعناية الفائقة.

وزاد اهتمامي بمراقبة المرضى الاخرين الذين كانوا يدخلون وحدة العناية الفائقة من غرف العمليات أو من قسم الطوارئ. وتمنيت لو قدرت على الكلام لاشجع المستوحدين منهم وأبث فيهم الامل والثقة بالشفاء، خصوصاً بعدما ابتليت بالاهمال واللامبالاة واختبرت مبلغ الانتعاش الذي يشعر به المرضى حين يلقون في المستشفيات معاملة انسانية حقة مشمولة بالعطف والشفقة. لكني شعرت بالمرارة والاحباط لكوني مشلولة، وزادني احباطاً عجزي المطلق عن الحركة والكلام.

ومرت بذهني كلمات ذاك الصديق الذي طلب مني أن أصلّي لنانسي، فعلمت أني قادرة على الصلاة للمرضى هنا. وغمرني شعور جديد أنار ظلمة اليأس الذي عصر نفسي. فعلى رغم عجزي يسعني أن اكون عوناً للمرضى بالابتهال الى الله تعالى لشفائهم.

### [illegible]



بعد مرور أسبوع فقط على دخولي وحدة العناية الفائقة بدأ يعودني رجل يرتدي سترة مختبر زرقاء وتعلو وجهه بسمة هي أكثر البسمات التي حظيت بها في حياتي دفءاً واشراقاً. كان الرجل يدعى تشارلز، وهو اختصاصي بالمعالجة الطبيعية. وقد منحته ثقتي منذ اللقاء الاول. وكان يأتي مرتين يومياً لمعالجة جريان الدم في جسمي، فيدلك يديّ ورجليّ وأصابعي.

وفي كل يوم كنت أفحص طاقتي الجسدية. كنت على قناعة أن في امكاني التحرك اذا ما ركزت بقوة وشددت عزيمتي. وأثمرت فكرتي. فبعد أسبوعين أحسست بعضلة في ركبتي تنتفض، فاعتقدت أننيَ نجحت. وأثارني هذا

الاكتشاف الذي توافق مع ما أكده لنا بعض الاطباء من أن مرض "غيان – باريه" يبلغ مستوى يستقر عليه، ثم يبدأ المريض العودة الى حاله الطبيعية. فهل يصح ذلك علي؟ وهل بدأتُ طريق العودة الطويلة؟

كنت مغتبطة أنتظر بصبر نافد لكي اخبر بيل النبأ السارّ. فحالما وصل تهجأت له كلمتي "رجلي تتحرك،" وجعلت العضلة تنتفض لكي يرى بعينه.

فصاح: "هاي! إنها تتحرك حقاً. أعيدي تحريكها!"

ولكن صعب علي كبت شعوري بالخيبة حين توالت الايام من دون تحسّن.

كنت طلبت من بيل أن يبتكر شيئاً كإشارة او زر كهربائي لدعوة الممرضات. وأخيراً جاء ذات يوم ومعه رزمة فيها أجراس مجلجلة مربوطة بسلسلة وضعها بعناية على فخذي. ثم قال: "حركي ذلك العضل." ففعلت، وسقطت السلسلة وجلجلت الاجراس. وكانت ممرضة مارة من هناك فتوقفت وسألت ما سبب الصوت. فأخبرها بيل بالامر، وشرح لها وللموظفين الآخرين أن الاجراس ستكون اشارة دعوتي اياهم. وبيّن لهم كيف يعيدونها الى وضعها الصحيح.

وعلى رغم هذا الاختراع المبدع استمرت مخاوفي ولم تهدأ. واستيقظت ذات يوم، فاذا بممرضة قد أتت لضبط جهاز التنفس ففصلت جهاز الانذار لكي لا ينطلق أثناء عملها ونسيت أن تعيد ربطه.

شعرت بالخوف ينهشني. ماذا لو كان هناك خطأ في ضبط جهاز التنفس؟ فأنّى لي أن ألاحظ ذلك وكيف أنبه الممرضات اليه؟

كنت مستلقية على جنبي. فحاولت أن أنظر نزولاً لاتحقق مما اذا كانت رئتاي تعملان. وقد كنت اتنفس فعلا، اذ لولا ذلك لغبت عن الوعي.

حدّقت الى جهاز التنفس، فبان في حال حسنة. لكني خشيت الا يكون كذلك، فأخذ قلبي يخفق بسرعة.

لمحت بطرف عيني حركة فقلبت الاجراس، ولكن أحداً لم ينتبه الي. وبقيت أكثر من ساعة لا سبيل لي الى طلب المساعدة. وانتظرت وجِلة الى أن أقبل أحدهم.

أومأت بعيني الى جهاز الانذار، ففهم الممرض وأعاد ربطه. فرحت أبكي. فمسح الممرض دموعي وقال: "سأتأكد من أن الموظفين سيعيرون هذا الأمر انتباهاً أكثر."

ولكن هل سيفعلون ذلك حقاً؟

في نهاية ديسمبر (كانون الاول) لاحظ أحد الاختصاصيين بالمعالجة الطبيعية بعض القوة في رئتيّ. لكن بطء الاستجابة على أثر انتفاضة عضلة رجلي جعلني أتحاشى التأثر والابتهاج لعلامة صغيرة. وفي اليوم التالي توقفت الرئتان عن كل حركة تلقائية. ولكن بعد يومين ظهرت دلائل على قدرتهما على العمل، فسمحت لنفسي ببعض التفاؤل.

في ١٥ يناير (كانون الثاني) تحرك رأسي قليلاً، انما بارادتي. وكان بيل يجري بحثاً عن طبيعة مرض "غيان – باريه" في مكتبة كلّية الطب في بايلور. فشرح لي كيف

يهاجم المرض غلاف الاعصاب الخارجية، وأحياناً الاعصاب ذاتها فيتلفها ويسبب الشلل.

وتعود ألياف الاعصاب الى النمو ببطء بمعدل ٢،٥ سنتيمتر في الشهر. ونظراً الى طول قامتي البالغ ١٨٣ سنتيمتراً سيستغرق اكتمال النسيج وقتاً طويلاً.

## خطوات الى الامام

فيما زادت قدرة رئتي على مساعدة جهاز التنفس قليلاً بدأ المعالجون يعدّون قوة الجهاز لفترات قصيرة لكي تعمل رئتاي بجهد أكبر. وكان هذا الوضع الجديد مخيفاً، اذ كان الجهاز يتوقف ليدفعني الى التنفس. واذا مرّ عدد معين من الثواني لم أتنفس فيها كفاية، وكانت تبدو لي كأنها الابدية، زودني الجهاز بضع تنفسات ثم توقف ثانية.

أرهقني هذا التنفس غير المنتظم وأستنزف قوتي.

وتدريجاً، كل ثلاثة أيام أو أربعة، كان يخفض عدد "التنفسات في الدقيقة" بواسطة الجهاز. وأخيراً في يناير (كانون الثاني) ١٩٨١ عدلت الممرضتان المفضلتان لدي، هاربيت وكاي، سرعة جهاز التنفس بحيث أتنفس لفترة وجيزة من دونه.

لكني لم أشعر أن ثمة جديداً قد حدث. فقالت لي كاي مشجعة: "انك تفعلين حسناً يا سو، ركزي على التنفّس."

هتفت هاربيت: "أنظري، أنها تتنفس قليلاً."

ومرت دقيقة، ثم نصف دقيقة.

فهتفت الاثنتان: "ثابري يا سو، لا تتوقفي. ها أنت تتنفسين. حاولي لثلاثين ثانية أيضاً."

ثم أعادت كاي ربطي بجهاز التنفس وأعلنت: "تنفّسّ لدقيقتين! لقد نجحت!"

كانت تلك لحظة مجيدة حاسمة نقلتني من جحيم اليأس الى نعيم الامل بالحياة الطبيعية والانعتاق من عبودية جسدي.

لقد خطوت خطوة الى الأمام في طريق الشفاء. وسَرَت عدوى ابتهاج ممرضتّي في أرجاء المستشفى وكدت لا أقوى على انتظار موعد قدوم بيل في المساء لأزف اليه الخبر. وحين جاء لم أبادره بأي تذمر أو شكوى. وقبل مغادرته طلبت منه بالتهجئة أن يضمّني، فأزاح غابة الانابيب والاجهزة من حولي. وحين شدّني اليه انهملت دموعه.

سرت قُدُماً في طريق الشفاء. وبدأت أجلس في كرسي المقعدين لبناء قوتي. في اليوم الاول بقيت في الكرسي لمدة ٣٠ دقيقة.

واذ جلست تمكنت أخيراً من رؤية رجليّ وذراعيّ. فراعني ما شاهدت. قدر تشارلز وزني بـ٤٠ كيلوغراما. وكانت عظامي ناتئة من كل الجهات، وتلك كانت مشكلة تضايقني حين أكون مضطجعة وتزداد لدى جلوسي، اذ يتركز ثقلي في مساحة ضيقة. فبعد بضع دقائق في كرسي المقعدين كانت عظامي النافرة تخز جلدي الهزيل.

وازدادت قدرتي على الجلوس في الكرسي حتى بتّ أستطيع البقاء لمدة ساعتين ونصف ساعة في منتصف فبراير (شباط).

وكانت الخطوة التالية نزع الانبوب المغروز تحت الترقوة والذي ظل يغذيني على مدى شهرين. فشعرت بارتياح هائل، ليس فقط لخلاصي من الانبوب وإنما أيضاً لخلاصي من روابط المجسّات التي غالباً ما أطلقت جهاز الانذار.

وبعد أسبوعين قطعت مرحلة مهمة اذ أستطعت البلع وان قليلاً. ومضت عدة أيام قدم الدكتور مونكل بعدها وأخذ لائحتي ودرسها.

وسأل: "ماذا قدمتم اليها من الاكل والشرب منذ بدأت الابتلاع؟"

أجابت الممرضة: "لا شيء في علمي."

فقال: "اعطوها بعض رقاقات الثلج." وكانت فكرة رقاقات الثلج رائعة، ووقفت اليزابيث مأخوذة مترقبة.

أقبلت الممرضة حاملة كوباً من الثلج المسحوق ومدّت يدها نحو الدكتور مونكل لا تدري ماذا تعمل، فأخذ من الكوب رقاقة صغيرة وضعها على لساني. كانت الرقاقة باردة رطبة ولذيذة، لكني أخذت أفكر في طريقة ابتلاعها. ركّزت كل تفكيري وأغمضت عيني منعاً للتشتت. واذا بي أحسّ عضلات حنجرتي تتحرك في منتهى البطء، وتنزلق رقاقة الثلج ذائبة فيها. فيا للحدث المثير! ها قد اجتزت مرحلة سعيدة أخرى في كفاحي الطويل، وسعادتي تفوق الوصف.

قال الدكتور مونكل للممرضة: "أعطيها كل ساعتين بعض رقاقات الثلج وأي شيء يسهل عليها تناوله."

سررت جداً لكون اليزابيث شهدت الحدث المثير، وهي غالباً ما شهدت أموراً سيئة. وقالت: "أكاد أعجز عن وصف غبطتي، ولا يسعني الانتظار لأخبر والدي النبأ السار."

في ٩ مارس (آذار) تنفّست من دون مساعدة جهاز التنفّس منذ الصباح الباكر حتى المساء، وكنت من قبل أتنفس من دونه إنما مدعومة بالأوكسيجين. وفي اليوم التالي قررت التخلي كلياً عن التنفس الاصطناعي.

في تلك الليلة كان تنفّسي خافتاً ضعيفاً لكنه لم يتوقف فقد بتّ أقدر أن أنام وأتنفس تلقائياً. وبعد يومين أخرج جهاز التنفس من حجرتي وصرت مؤهلة للخروج من غرفة العناية الفائقة الى غرفة عادية.

لازمني التعب في كل الاوقات وعرفت أني أعاني مشكلة. فأمر الدكتور لوهمان باجراء فحص بالاشعة السينية (اكس). فتبين أنني مصابة بذات الرئة. قيل لي: "انها اصابة خفيفة ليس فيها ما يقلق." ومع ذلك فقد غرقت في اليأس لدى اعادة جهاز التنفس الى حجرتي بعدما شارفت الخروج من غرفة العناية الفائقة.

بلغت القرارة في هذه المأساة التي تأبى الا أن أبقى صريعة المرض. ورحت أتساءل: هل من نهاية؟ وهل سيتاح لي التخلص من هذه البراثن المرعبة؟

مّر شهر مارس (آذار) وعبقت الطبيعة بأنفاس الربيع وزاد اعتمادي على التنفس

الطبيعي، الى أن حلّ ١٧ ابريل (نيسان) وتقرر نقلي الى غرفة عادية في قسم العناية المتوسطة.

على رغم صراعي أشهراً طويلة في غرفة العناية الفائقة فقد كانت لي فيها ذكريات عاطفية مؤثرة لأناس عطوفين حقاً، كعاملات التنظيف. فقد كنّ يربتن يدي مطمئنات حين يدخلن حجرتي. وقالت لي احداهن: "كنت البارحة أصلي لك."

وأخيراً أقبل تشارلز وجرّني في كرسي المقعدين خارج الغرفة.

أُدخلت الغرفة الرقم ٢١٩. فلقيت أمي وبيل في انتظاري. وزادت سعادتي حين لاحظت أن هناك نافذة الى جانب سريري، نافذتي أنا!

أمضى بيل تلك الليلة نائماً في غرفتي على الأريكة. وللمرة الاولى منذ أربعة أشهر ونصف شهر شعرت بعالمي الصغير مستكناً دافئاً آمناً.

كانت ممرضات خاصّات يقمن على خدمتي، هنّ إيلين وايفون في بحر الاسبوع، ومارجان في نهاية الاسبوع. وحين تأتي إيلين في السابعة صباحاً أتناول فطوري وأدويتي عبر الانبوب. وتبدأ على الاثر المعالجة الفيزيائية. ويحين وقت الغداء فتدفع ايلين ما أمكن من الطعام في فمي وحنجرتي لكي تتحرك الاعصاب. لكن ذلك كان مؤلماً جداً وبطيئاً. وبعد ذلك أعود الى المعالجة الفيزيائية.

واذ بدأ بعض أجزاء جسمي يتحرك طلب مني تشارلز تأدية بعض التمارين في الليل.

كنت أنام عادة طوال الليل، مع انقطاعين قصيرين حين كانت الممرضة تقلبني بحسب التعليمات. وابتكر بيل طريقة تمكنني من طلب الممرضات، وهي مفتاح كهربائي رَبَطه بحاجز سريري بالقرب من مرفقي ووصله بزر استدعاء الممرضات. وبلمسة من مرفقي الذي غدوت قادرة على تحريكه قليلا، كان ضوء الاستدعاء ينبعث في غرفتي وعلى بابها وفي مكتب الممرضات.

وذات يوم، وقد يئست من رؤية شعري الطويل المبعثر، وجدت إيلين حلاقاً قصّه لي وهندمه. ولدى انتهاء القصّ قال: "انظري الآن كم تبدين أنيقة."

وأدار الكرسي غير مكترث لاحتجاجي. وتطلّعت في المرآة فرأيت صورتي للمرة الاولى بعد خمسة أشهر. فهالتني حالي المريعة وكاد يغمى علي. فقد كان نحولي مخيفاً ووجهي هزيلا ملتوياً الى جانب واحد تشده عضلات تالفة، وأنبوب المعدة يمتد من منخري الأيسر الى تحت ذقني.

حاولت رفع يدي لالمس جلدي، لكني عجزت عن تحريكها. فقلت في نفسي: لا بأس، لم يبقَ شيء من المرأة التي أذكرها.

كان العلاج الفيزيائي يدوم ساعتين في الصباح وساعتين بعد الظهر. وكانت عضلاتي كلها تلفت، فتعين علي وعلى تشارلز أن نعيد القوة الى كل منها، مما يعني تحريك المفاصل أولا.

خلال أشهر الشلل الطويلة تكونت في المفاصل ترسّبات كلسيوم اقتضى تحللها كي استعيد قدرتي على التحرك. كنت استجمع قواي وأستعد لتحمل الالم حين يدفع تشارلز كتفي ويحلحل تصلّب المفاصل، ويدفع بأطرافي الى أبعد ما أمكن ويقسو فيزيد في دفعها قليلا.

كنت أجاهد للاحتفاظ برباطة جأشي وتفادي الانهيار. لكني كنت أعاني آلاماً مبرّحة لا قبل لي بتحملها، فأصرخ من شدة العذاب وتنسكب دموعي مدرارة كل يوم.

في ١١ مايو (أيار) بعد الانتهاء من جلسة المعالجة بعد الظهر أجلسني تشارلز على الطاولة، ورفعني بيديه القويتين لكي تتدلى رجلاي عن جانب الطاولة في محاولة لكي أتمسك بطرفها وأقف لوحدي.

وقال وهو يبتسم: "حان الوقت يا سو لتتمرني على الوقوف." وأمسك جنبيّ بيديه وساعدني على النهوض ببطء. فتمكنت من الوقوف بعد جهد مضن. تأثرت لهذا الانجاز المدهش وطفحت عيناي بالدموع وارتسمت ابتسامة الظفر والرضى على شفتي.

وقفت متمسكة بالطاولة نحو دقيقتين ثم أسندني تشارلز وقعدت. وكانت تلك وقفتي الاولى، فاحتفل المعالجون الفيزيائيون بهذا التطور العظيم.

تبعت ذلك احتفالات بانجازات لاحقة. ولكن خلال تناوب هذه الاحتفالات كنت أعاني الكثير من الاوجاع والخيبة.

في ١٤ مايو (أيار) أزيل أنبوب الرغامى من حنجرتي، وأخبرت أني سأستعيد قدرتي على الكلام حالما يندمل الثقب فيها.

واذ وافاني ذلك اليوم المرتقب عجزت عن التفكير في ما أقوله، ولم أكن على يقين مما اذا كان صوتي سينبعث. ووقف بيل في الباب مترقباً، متلهفاً، صامتاً، في قلبه صلاة وفي عينيه وجل.

وبعد تردد طويل ناديته: "هاي، بيل!" فكانت تلك لحظة خالدة في تاريخ حياتي جاءت مكافأة لما عانيته من عذاب نفسي وجسدي. وكدت أطير فرحاً. فتبسّم بيل وتبسّمتُ انا وغلب علينا التأثر فبكينا.

وحين آذنت زيارته بالانتهاء انحنى ليقبلني. فقلت له هامسة وقلبي يفيض غبطة: "أحبك."

قال: "لكم انتظرت آملا أن أسمعك تقولين لي هذا، يا سو."

## الخطوة الاولى

بعدما كان تشارلز سندي وعضدي وصديقي في البداية، أصبح آمراً يوكل الي الاشغال الشاقة.

ذات يوم ساعدني فوقفت على قدميّ. وأمرني: "حسناً، يا سو، إرفعي قدمك وامشي خطوة واحدة."

فركزت جهدي على كل عضلة ومفصل في قدمي اليسرى. فأبت العضلات والمفاصل

أن تتحرك في البداية، لكنها عادت فاستجابت ببطء لاوامري: فخطوت خطوة واحدة!

"والآن حاولي الخطو بالقدم الاخرى."

كرّرت المحاولة، فركزت كل فكري وقوتي وأصدرت الاوامر الى قدمي اليمنى. جررتها ببطء قليلا جدا، إنما كانت تلك خطوة.

هتف تشارلز: "لقد نجحت يا سو، لقد نجحت! كثيرون في هذا المستشفى راهنوا على أنك لن تستعيدي تحركك، لكنهم على خطأ. فقد مشيت!"

ولكن في مقابل كل طلعة كانت هناك نزلة. ففي ١٥ يوليو (تموز) بعد انقضاء سبعة أشهر ونصف شهر شعرت بأنني ما زلت عاجزة بائسة وأسيرة مرضي. في غرفة العناية الفائقة تغلبت على الخوف والحنق والتذمّر، والآن أكافح للتغلب على كآبتي ولرفع معنوياتي المنهارة بفعل أوجاع المعالجة.

وفي سبتمبر (أيلول) كانت هناك خطوة مهمة أخرى. فقد التقطت شوكة بيدي الاثنتين، ووضعت شيئاً في فمي. وأحضرت لي مارجان كوباً ذا مسكتين فأصبح في امكاني الشرب من دون مساعدة أحد. ولفت مسكة فرشاة الاسنان بقماش فصار في إمكاني القبض عليها.

وتسارعت البدايات السعيدة. وكان أول استحمام محيياً، وأول همبرغر لذيذاً جداً. وبدأت أمشي في أرجاء المستشفى. وساعد الاجهاد في تقوية رئتي، وما لبثت أن بدأت أمشي في ممرات الجناح حيث غرفتي من دون توقف للراحة.

في أكتوبر (تشرين الاول) مُنحت اذناً بقضاء أول عطلة أسبوع خارج المستشفى، تبعته أذونات أخرى. وأخيراً قرر الدكتور لوهمان انني أصبحت مؤهلة لمغادرة المستشفى، لكنني أحتاج الى ممرضة لخمسة ايام في الاسبوع للعناية بي وبعلاجي ولأخذي في أوقات منتظمة الى المستشفى لتلقي العلاج الفيزيائي الضروري. وما ان علمت الممرضة مارجان بذلك حتى انبرت فعرضت أن تكون ممرضتي.

وهكذا بتّ جاهزة للعودة الى البيت نهائياً.

كان يوم الجمعة ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ يوم سعدي. فقد أوصلت الى غرفتي كعكة حلوى كبيرة رائعة، وعم الخبر المستشفى أن سو، بعد اقامة نحو سنة، هي الآن على أهبة مغادرة المستشفى. فاحتشد الموظفون في غرفتي للاحتفال بالحدث السعيد ولتهنئتي على خلاصي. وتأثرت بعاطفتهم النبيلة وشكرتهم ممتنة.

غادرت المستشفى وكأني عصفور طال سجنه فانطلق في سماء الحرية يبسط جناحيه لأشعة الشمس الدافئة ويسكب روحه تغاريد شجية ساحرة. شكراً لله المبدع، خالق الكون والجمال.

وما ان لمحت منزلنا حتى خفق فؤادي تأثراً. وكانت الشجرة الكبيرة أمامه ملفوفة بشريط أصفر رمز ترحيب بعودتي. وأغصانها كأنها أكف مرفوعة بابتهال الى الله لشفائي. وغمرتني النشوة. وضمّني المنزل. وكانت ليلة فرح وشكر. لقد بات في امكاني أخيراً بناء قوتي وحياتي طليقة من قيود المرض.

مرت سبع سنوات على مغادرتي المستشفى. وما زلت أندهش لتقدمي. فها أنا اليوم (١٩٨٩) قادرة على استخدام عضلات كانت لستة أسابيع خلت عديمة الفائدة.

لدى عودتي الى البيت كنت لا أقوى على المشي من دون عكازات ولا على قضاء حاجاتي الخاصة وارتداء ملابسي. كنت كطفل صغير، أتلقن كل شيء مجدداً.

في مايو (أيار) ١٩٨٢ شعرت بأنني بتُّ قادرة على ضبط شؤوني الخاصة وأن الوقت حان للاستغناء عن ممرّضة، إذ بفضل تدريب مارجان صرت قادرة على خدمة نفسي والقيام بمعظم الاعمال المنزلية.

الا أني بقيت أعاني مشاكل في التوازن. وفي ابريل (نيسان) ١٩٨٣ غلبت علي الحماسة فخطوت في منعطف من دون أن يكون هناك ما أستند اليه. فسقطت أرضاً وانكسر مرفقي مما قهقرني.

وحتى بعد مرور خمس سنوات لم يمكنني أن أنهض عن الارض فأركع على ركبتيّ ثم أستوي واقفة من دون مساعدة. لكنني قادرة على ذلك حالياً، وتوازني في تحسن مطرد. في استطاعتي تحريك أصابع قدمي، لكنني أعجز عن عقفها لاتمكن من حفظ توازني. وفي الخارج أضع رجلي في مشبكين بلاستيكيين، لكن تشارلز أكّد لي أنني سأستغني عنها حالما أصير قادرة على رفع أصابع قدمي وعقفها.

أركب دراجة ثابتة "أقطع" بها كيلومتراً ونصف كيلومتر يومياً. وأقضي ٢٠ دقيقة على الارض أمرّن خلالها كل أعضاء جسمي. وأسبح ساعة كل مساء في الفصول الدافئة.

ويعتريني بين الفينة والاخرى شعور بالأسى لما أعجز عنه، ثم لا ألبث ان اعود بالذكرى الى ما كنت فأشعر بالعزاء. واني أحمد الله الذي أسبغ علي نعمة الشفاء، وأشكر عائلتي وأصدقائي الذين واسوني وعضدوني بمحبتهم وصلواتهم فعدت الى حياة تكاد تكون طبيعية، بل هي حياة مميزة!

**سو باير وماري زيمث شوميكر ■**

ترجمة الياس عقل

**تلقي سو باير حالياً محاضرات في الهيئات الطبية والاجتماعية حول أهمية العناية الانسانية العطوفة بمرضى المستشفيات. وكتابها "السرير الرقم ١٠" هو ضمن المقررات الدراسية في عدد من كليات الطب والعلاج الفيزيائي.**

---

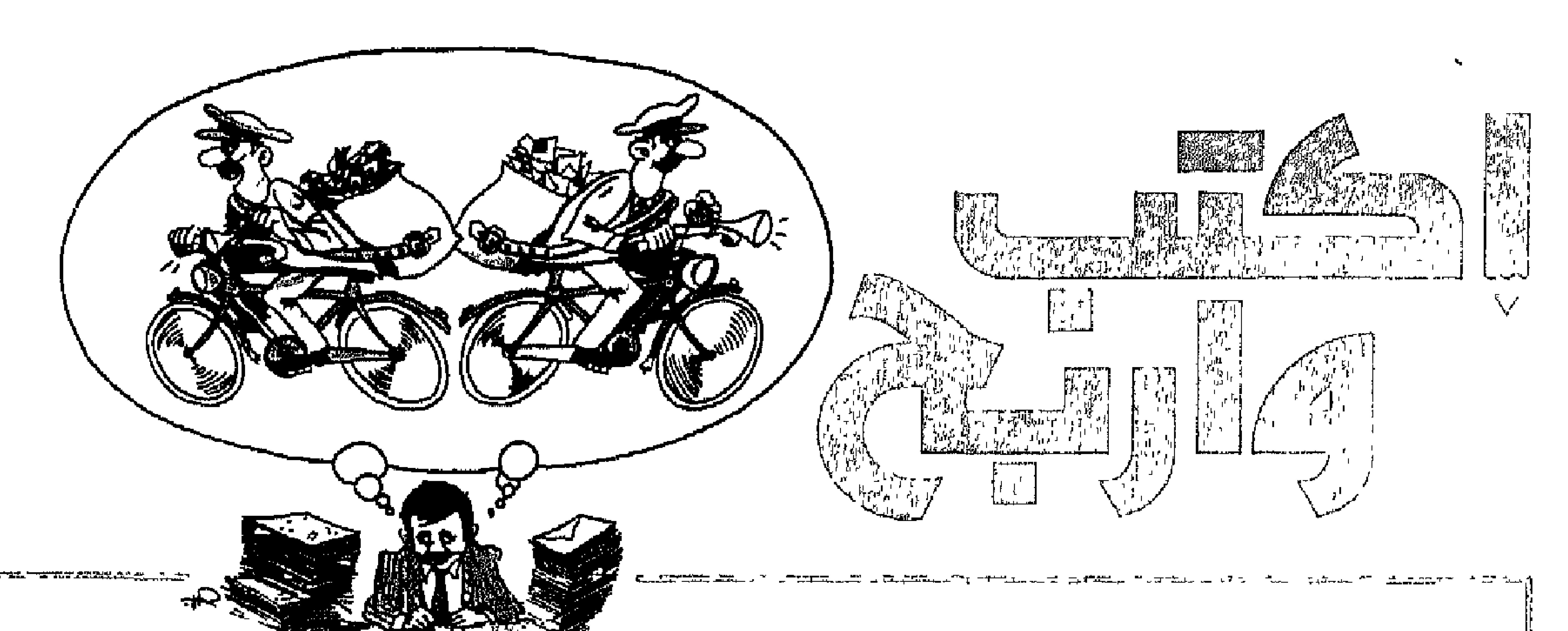


## المال لا يصنع الرجال

لا قيمة كبيرة للمال. فمن يملكه هو القيِّم، واذا لم يكن كذلك فحري به أن يكون فقيراً. فلا شيء أكثر اثارة للاشمئزاز من مغفل يملك مالاً.

خ. ف.

# اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

**صور من الحياة:** القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

**تأملات معاصرة:** مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

**حديقة أفكار:** أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

**الضحك خير دواء:** تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

**السدات:** هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

## شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفدا [illegible]



"سهرة الببغاوات" مائية للرسامة الأمريكية بربارة والاس